سلسلة الرسائل الجامعية
(٨)

الشفاعة عند المثبتين والنافين

دراسة مقارنة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

دراسة وتحليل
د. عفاف بنت حمد بن عبد العزيز الونيس

تقديم
أ. د محمد بن عبد الرحمن الخميس

الناشر
دار التوحيد للنشر
الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب رسالة علمية، تقدمت بها المؤلفة إلى قسم الدراسات الإسلامية، تخصص عقيدة، بكلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض، وذلك لنيل درجة "الدكتوراه".

ونوقشت في عام ١٤١٩هـ وأُجيزت بتقدير ممتاز

الشفاعة
عند المثبتين والنافين

ح دار التوحيد للنشر والتوزيع ، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر

الونيس، عفاف بنت حمد بن عبد العزيز

الشفاعة عند المثبتين والنافين-دراسة مقارنة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة-.

عفاف بنت حمد بن عبد العزيز الونيس - الرياض ١٤٢٧ هـ.

٥٣٠ص ، ١٧ x ٢٤ سم - (الرسائل الجامعية، ٨)

ردمك ٢-٠-٩٨٤٧-٩٩٦٠

١- التوبة(الإسلام) ٢- العقيدة الإسلامية ٣- أهل السنة

أ- العنوان ب- السلسلة

ديوي ٢٤٠ ١٤٢٧/٦٧١٥

رقم الإيداع: ١٤٢٧/٦٧١٥

ردمك: ٢-٠-٩٨٤٧-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

الناشر

دار التوحيد للنشر

المملكة العربية السعودية- الرياض - ص.ب ١٠٤٦٤ الرمز البريدي ١١٤٣٣

هاتف وناسوخ - ٤٢٨٠٤٠٤ - ١ ٩٦٦ ٠٠

البريد الإلكتروني: E-mail:dar_attawheed.pub.sa@naseej.com

الصف والإخراج دار التوحيد للنشر هاتف وناسوخ - ٤٢٨٠٤٠٤-١ ٩٦٦ ٠٠

إهداء

أقدم هذا الجهد المبارك هدية مني إلى

أبي أمي زوجي

أبنائي

(غادة، خالد، منيرة)

وفقهم الله ورزقنا وإياهم ووالديهم شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

آمين

المؤلف

رجب/ ١٤٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن موضوع الشفاعة والتوسل والتبرك من المسائل العقدية التي

تنازعت فيها الأفهام؛ واختلف فيها الأنام؛ فمنهم من قد غلا في فهمها، ومنهم من قد جفا؛ فباسم الشفاعة والتوسل والتبرك عُبِدت الملائكة، والصالحون، والقبور، والأشجار، والأحجار، فوضعت في غير موضعها التي وضعها الشارع.

وهذا شأن أهل البدع من عباد القبور، والرافضة، ونحوهم من الغلاة؛ فلم يلتزموا بالنصوص الشرعية، بل اتبعوا أهواءهم، وخالفوا منهج السلف الصالح، وفهوم السلف من الصحابة والتابعين.

وقابل هؤلاء الغلاةَ الجفاةُ الذين أنكروا الشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ، وأنكروا التبرك والتوسل المشروع، وجفوا في فهومهم حتى أنكروا النصوص الثابتة، أو حرفوا ما لا يمكنهم إنكاره، مجانبين فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم.

وأهل السنة والجماعة، السائرون على طريقة الصحابة، هم أهل العدل والوسط بين الغلاة والجفاة؛ فأثبتوا من الشفاعة ما أثبته الله ورسوله، وردوا ما رده الله ورسوله.

فلفظ الشفاعة من الألفاظ التي تغير مفهومها عما كان عليه في عرف الصحابة، ولغتهم، وقد تغير هذا المفهوم لدى كثير من الناس فترى أحدهم يدعو رسول الله ﷺ أو يدعو عبداً صالحاً يطلب منه ما لا يطلب إلا من الحي القيوم سبحانه وتعالى؛ كأن يطلب منه شفاء مريضه، أو يطلب منه نزول المطر، أو يطلب منه الولد، أو يطلب منه المدد، إلى غير ذلك من المطالب.

ولا نزاع بين جمهور الأئمة من أهل السنة أنه يجوز أن يستشفع بالنبي عليه الصلاة والسلام في الدنيا في حياته، ويجوز أن يسأل منه الشفاعة في حياته وهو لا يملكها وإنما يطلب من الله فيعطيه أو يمنعه؛ وكذلك يشفع عليه الصلاة والسلام يوم القيامة لأهل الكبائر من أمته الذين استوجبوا النار ليدخلوا الجنةَ بشفاعته عليه الصلاة والسلام كما ثبت بذلك الخبر المتواتر، وله عليه الصلاة والسلام يوم القيامة أنواع من الشفاعات، منها العام، والخاص.

ولم ينكر هذه الشفاعة إلا الخوارج والمعتزلة بناء على أصلهم المعروف من أن صاحب الكبيرة مخلد في النار مع الكفار، وهو أصل باطل مصادم للنصوص كما لا يخفى[1].

وليس المقام مقام تفصيل، لأن التفصيل في ثنايا الرسالة التي بين أيدينا، والتي هي بعنوان:

الشفاعة عند المثبتين والنافين دراسة مقارنة

في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

للباحثة/ عفاف بنت حمد الونيِّس

والباحثة وُفقت في اختيار الموضوع، حيث إنها تصدت لجمع شتات

---

(١) انظر: مجموع رسائل الشيخ محمد بن علي بن أمان في العقيدة والسنة ص١٣٤ وما بعدها.

المادة العلمية في هذه الرسالة، وجمع كلام أهل السنة في موضع واحد، وكلام المخالفين والرد عليهم، وإبطال شبههم، ومقالاتهم، على ضوء فهم السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

فأسأل الله التوفيق للباحثة، والمزيد من العناية بالعقيدة الإسلامية الصحيحة والذب عنها، وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه/

أ.د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

أستاذ العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

١٤٢٧هـ - ١٤٢٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١][1].

---

(١) وهناك قول قوي أنها سنة في الخطب الكلامية لا في الكتب والرسائل وقد رد أبو غدة على الألباني في رسالة خاصة يؤيد هذا الرأي وهو مسبوق إليه من بعض العلماء ومن أقوى الحجج في تأييد هذا الرأي أنه لم تعرف هذه الخطبة في مقدمات كتب السلف وأول من ابتدأ بها بعض كتبه الطحاوي رحمه الله فهذا يدل على إجماعهم على تركها قبله في مصنفاتهم وإنما يُبدأ في الرسائل بالبسملة والحمد ونحو ذلك سواء بخطبة الحاجة أو غيرها، أما أن تكون هي بخصوصها سنة في المكتوب فلا، والله أعلم.

أما بعد:

فمن أجل العلوم علم العقيدة؛ لأنه يتصل في موضوعه بالبحث في الله عز وجل، ورسله عليهم السلام، واليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء، ومعرفة الله عز وجل هي أول ما يجب على المكلف، وشرف أي علم يكون بشرف موضوعه وحسبك من علم موضوعه الله عز وجل ورسله واليوم الآخر.

ولما كان الإيمان بالله واليوم الآخر من أولى الواجبات على العبد حرصت على أن يكون موضوع بحثي لنيل درجة الماجستير هو في هذا المجال وعنوانه: **(الشفاعة عند المثبتين والنافين، دراسة مقارنة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة)**.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

لموضوع الشفاعة أهمية جليلة وأسباب وجيهة دعتني لاختياره أوجزها فيما يلي:

١ - أن الشفاعة من الموضوعات التي يزداد المؤمن بقراءتها حبًا لرسول الله ﷺ، وهو صاحب الوسيلة والدرجة الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى.

٢ - أن الشفاعة تتعلق بمصير الناس في الآخرة سواء كانوا من أمة محمد ﷺ أم من غيرها.

٣- أن أهل السنة والجماعة أدرجوه في كتب العقيدة، فقل أن تجد مؤلفًا ألف في العقيدة إلا وقد عقد مؤلفه كتابًا أو فصلًا في الشفاعة، وهو داخل تحت الإيمان باليوم الآخر، وتحت الإيمان بالغيب الذي مدح الله تعالى المؤمنين به فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾[البقرة:٣].

٤ - بيان خطأ الشيعة القائلين بأن حق الشفاعة بعد الموت لأوليائهم، وهذا الأمر انتشر وعم في هذا الزمان.

٥ - أن فيه دعوة العصاة والمنحرفين عن طاعة الله إلى عدم اليأس من رحمة الله، فإذا عرف العاصي أن رحمة الله واسعة في الشفاعة عاد إلى ربه وأناب[١].

---

(١) قد يَرِد على هذا أن العاصي إذا علم بشفاعة النبي ﷺ لأهل المعاصي قد يتساهل في اقترافها طمعًا في الشفاعة. لكن لعل مراد الباحثة أن فيه دعوة القانطين من العصاة من رحمة الله تعالى إلى عدم اليأس من رحمته وذلك إذا علموا أنه جل وعلا يقبل شفاعة الشافعين فيهم. والله أعلم.

٦- الرد على المعتزلة النافين للشفاعة في أهل الكبائر بناء على أصلهم الفاسد في الوعد والوعيد.

٧- دحض شبه الخوارج في جعل مرتكب الكبيرة في النار خالدًا فيها.

٨- ذكر الفرق بين أقسام الشفاعة الدنيوية والأخروية، المقبولة والمردودة لأنه أصل ضلال كثيرين.

٩- وأخيرًا رد أصل شبه المنكرين في أن الشفاعة ثابتة بخبر الواحد، وبيان فساد هذه الشبه بإثبات أن أحاديث الشفاعة متواترة، وأن خبر الواحد حجة في العقائد والأحكام معًا.

منهج البحث

أما عن منهج البحث في هذه الأطروحة، فيتلخص فيما يلي:

أولًا: جمع النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، وما كان منها يحتاج إلى تفسير أو إيضاح حاولت شرحه قدر المستطاع، ثم نظرت في كتب السلف وأقوالهم، ونقلهم عن الرعيل الأول من الصحابة والتابعين، ثم انتقلت إلى أقوال من بعدهم حتى تتم الفائدة.

ثانيًا: تصنيف وترتيب أقوال الفرق وأدلتهم وحججهم، وأصل قولهم كلًا على حدة، كل هذا قدر الوسع والطاقة، مع توثيق النصوص وردها إلى مصادرها الأصلية ما أمكن.

ثالثًا: في مناقشة الفرق أحاول قدر الإمكان أن لا أتعرض للأشخاص بل للأقوال، والرد على أصل شبه كل فرقة؛ لأن العبرة برد القول لا القائل.

رابعًا: صدرت بعض المباحث بتعريفات لغوية واصطلاحية لتوقف فهم المراد عليها.

خامسًا: عزوت الآيات القرآنية إلى سورها وذكر رقم الآية.

سادسًا: خرجت الأحاديث الواردة في البحث من كتب السنة المعتبرة، فما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بتخريجه منها وما كان في غيرهما فإني أذكر من رواه من غير استقصاء مع نقل كلام المحدثين في درجته ما أمكن.

سابعًا: ترجمت لبعض الأعلام الذين نقلت عنهم في البحث.

ثامنًا: شرحت الألفاظ الغريبة في البحث، وكذا العبارات الغامضة.

تاسعاً: ضبط الآيات القرآنية بالشكل وكذلك الكلمات التي تحتاج إلى ذلك.

عاشراً: لتسهيل الاستفادة من البحث، وسهولة الاطلاع على بعض المعلومات قمت بوضع فهارس لما يلي:

- الآيات.
- الأحاديث.
- المصادر والمراجع.
- موضوعات البحث.

خطة البحث

المقدمة.

التمهيد، ويشمل على:

- تعريف الشفاعة لغة.
- تعريف الشفاعة اصطلاحًا.

الفرق بين الشفاعة والاستشفاع.

لفظ الشفاعة في القرآن.

لفظ الشفاعة في السنة.

الفصل الأول: الشفاعة عند الشيعة، وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: التعريف بهم.

المبحث الثاني: قولهم في الشفاعة.

المبحث الثالث: أدلتهم.

الفصل الثاني: الشفاعة عند الخوارج، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بهم.

المبحث الثاني: قولهم في الشفاعة.

المبحث الثالث: أدلتهم.

الفصل الثالث: الشفاعة عند المعتزلة، وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: التعريف بهم.

الفصل السابع: الشفاعة عند أهل السنة والجماعة، وفيه خمسة مباحث:

بين يدي الفصل ويشتمل على:

أولًا: التعريف بأهل السنة.

ثانيًا: منهج أهل السنة والجماعة في تلقي العقيدة وتقريرها.

المبحث الأول: أدلة ثبوت الشفاعة عندهم، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القرآن.

المطلب الثاني: السنة.

المطلب الثالث: الإجماع.

المبحث الثاني: أقسام الشفاعة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الشفاعة الدنيوية.

المطلب الثاني: الشفاعة الأخروية.

المبحث الثالث: شروط الشفاعة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإذن للشافع.

المطلب الثاني: الرضا عن المشفوع له.

المبحث الرابع: أنواع الشفاعة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ وغيره.

المطلب الثاني: الشفعاء غير النبي ﷺ.

المبحث الخامس: أسباب الشفاعة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأسباب الجالبة للشفاعة.

المطلب الثاني: الأسباب المانعة للشفاعة.

وختامًا :

فإني أتقدم بالشكر الجزيل ـ بعد شكر الله تعالى ـ لكل من كانت له يد في إتمام هذا البحث، وإخراجه بهذه الصورة، وأخص بالشكر كلا من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التي احتضنتنا صغارًا، ولم تبخل عنا كبارًا، وجامعة الملك سعود ممثلة في كلية التربية قسم الدراسات الإسلامية التي منحتني الفرصة للدراسة.

هذا وما كان في هذا العمل من صواب فمن الله، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله العليم رب العرش العظيم أن لا يحرمنا أجره، وأن يجزي فضيلة الدكتور محمد طلعت أبو صير، المشرف على الرسالة خير الجزاء، ولا أنسى أن أشكر كلا من: الشيخ د.عبد الرحمن المحمود، والشيخ د.خالد الرومي، والشيخ د.محمد عبد الحافظ عبده، والشيخ د. محمد أبو الغيط الفرت على ما قدموه من نصح وإرشاد خلال فترة العمل في الرسالة، فأسأل الله العلي القدير أن يفتح علينا وعليهم ووالدينا من معين فضله وإحسانه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد

ويشتمل على:

أولا: تعريف الشفاعة.

ثانيا: الفرق بين الشفاعة والاستشفاع.

ثالثا: لفظ الشفاعة في القرآن.

رابعا: لفظ الشفاعة في السنة.

تعريف الشفاعة:

إذا كان موضوع البحث هو (**دراسة مقارنة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة**) فإنه من المهم أن نبدأ بتعريف الشفاعة، ويساعد على التعريف أن نبحث أولا في الكلمة واشتقاقاتها لمعرفة معناها اللغوي، ثم بعد ذلك يكون التعريف الاصطلاحي.

وللتعريف اللغوي أصول:

قال ابن فارس[(١)]: "الشين والفاء والعين أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين ومن ذلك الشفع خلاف الوتر تقول: كان فردا فشفعته"[(٢)].

قال الله جل ثناؤه: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾[الفجر:٣].

وقال الجوهري[(٣)]: "الشفع خلاف الزوج، وهو خلاف الوتر"[(٤)]

---

(١) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي (٣٢٩-٣٩٥هـ)، كان والده فقيها شافعيا لغويا أخذ عنه، وقد بلغ حبه للغة أن ألف بها ضروبا من التآليف، وكان يستحث معاصيره على ذلك، له مؤلفات كثيرة منها المجمل-جامع التأويل، والمقاييس الذي أخذنا منها هذا النص. انظر: الأعلام للزركلي (١/ ١٧٣)، ط: الثاني.

(٢) مقاييس اللغة ص(٥٣١)، باب الشين والفاء وما يثلثهما، تحقيق شهاب الدين أبو عمر، ط: الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، دار الفكر.

(٣) هو إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، صاحب الصحاح أصح معجم عربي أول من حاول الطيران، ومات في سبيله، وأصله من بلاد الترك. انظر: الأعلام (٢/ ٣٠٩).

(٤) الصحاح المسمى تاج اللغة وصحاح العربية (٣/ ٣٨) مادة شفع، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط: الثالثة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، دار العلم للملايين.

وهذا فيما أعلم مما انفرد به الجوهري ولم يذكره غيره، بل قد نبه الزبيدي[١] على ذلك فقال: "الشفع وهو الزوج خلاف الوتر، وبخط الجوهري خلاف الزوج والوتر"[٢].

تقول: كان وترا فشفعته شفعا وشفع الوتر من العدد شفعا: صيره زوجا وشفع يشفع شفاعة فهو شافع وشفيع، والمشفع بكسر الفاء الذي يقبل الشفاعة والمشفع بفتح الفاء الذي تقبل شفاعته والجمع شفعاء.ا.هـ[٣].

وقد أيد هذا المعنى بعض الأحاديث والأشعار العربية مما يدل على ضعف القول بأن الشفع خلاف الزوج ولعله تصحيف، أما كونه خلاف الوتر فهو صحيح كما تقدم.

ففي الحديث: **[من حافظ على شفعة الضحى غفر له ذنوبه]**[٤] يعني

---

(١) محمد مرتضى الزبيدي: هو محب الدين أبو الفيض محمد بن عبد الرزاق الشهير بمرتضى، من أئمة اللغة وأعلامها، المشاهير من كتبه: إتحاف السادة المتقين، ولد ١١٤٥هـ، توفي ١٢٠٥هـ. انظر: أعلام العرب في العلوم والفنون لعبد الصاحب عمران الدحيلي (٣/ ١٤٠)، ط: ٢.

(٢) تاج العروس (٥/ ٣٩٩)، فصل الشين، باب العين، دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازي.

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور (٢/ ٣٣٤)، مادة شفع، إعداد وتصنيف يوسف خياط، قدم له عبد الله العلايلي، دار لسان العرب-بيروت.

(٤) أخرجه الترمذي رقم(٤٧٦)، في الصلاة، باب ما جاء في صلاة الضحى، ولم يذكره الألباني في صحيح الترمذي. انظر: (١/ ٤٧)، مكتب التربية لدول الخليج العربي.

قال محقق جامع الأصول عبد القادر الأرنؤوط: إسناده ضعيف. انظر: (٩/ ٢٣٨)، دار الفكر.

ركعتي الضحى.

"والشّفع يروى بالفتح والضم كالغَرفة، والغُرفة"[(١)].

والمصدر من ذلك الشِّفع بالكسر كالضِر من الضرة.

قال الشاعر:

وأخُو الإباءَةِ إذْ رأى خلانه * تلى شِفاعًا حوله كالإذخِرِ

فشبههم بالإذخر؛ لأنه لا يكاد ينبت إلا زوجا زوجا"[(٢)].

ويؤيده قول صاحب القاموس[(٣)]: "الشفع خلاف الوتر"[(٤)].

قال الراغب[(٥)] ـ زائدًا المعنى إيضاحًا ـ: "الشفع ضم الشيء إلى مثله"[(٦)].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (٢/ ٤٨٥)، باب الشين مع الفاء، تحقيق محمود الطناحي، طاهر الزاوي، أنصار السنة المحمدية.

(٢) انظر: لسان العرب، مادة شفع ص(٣٣٤)، كتاب (ز-ف).

(٣) أبو طاهر مجد الدين بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزآبادي (٧٢٩-٨١٧هـ)، ولد بكارزين بلدة بفارس في فترة العصر المغولي، له كتب كثيرة في التفسير منها: بصائر ذوي التمييز بلطائف الكتاب العزيز، وفي الحديث: سفر السعادة، وفي اللغة: القاموس، وهو من أشهر كتبه. انظر: الأعلام (٨/ ١٩).

(٤) القاموس المحيط (٣/ ٤٧)، المؤسسة العربية للطباعة والنشر-بيروت، لبنان.

(٥) هو أبو القاسم حسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، لا يعرف متى ولد، ولا أين تلقى العلم، له آثار منها: (الذريعة إلى مكارم الشريعة)، و(تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين)، و(المفردات)، وهو أجل كتبه وأجزلها فائدة، توفي سنة ٥٠٢هـ ١١٠٨م. انظر: الأعلام (٢/ ٢٧٩).

(٦) المفردات في غريب القرآن ص(٢٦٢)، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة.

وفي المعجم الوسيط[١]: "الشفع ما شفع غيره، وجعله زوجًا خلاف الوتر" وقد وردت عدت استعمالات لمعنى الشفع في اللغة[٢] منها:

١- ناقة شفوع، وهي التي تجمع بين محلبين في حلبة واحدة.

٢- شاة شافع التي معها ولدها، وفي بطنها آخر.

وفي الحديث عن سعر بن ديسم ﷺ قال: [**كنت في غنم لي فجاء رجلان على بعير فقالا: إنا رسولا رسول الله ﷺ لتؤدي صدقة غنمك، فقلت: ما علي فيها؟ فقالا: شاة، فأعمد إلى شاة قد عرفت مكانها ممتلئة محضا وشحما فأخرجتها إليهما فقالا: هذه شاة شافع قد نهانا رسول الله ﷺ أن نأخذ شافعا**][٣].

٣- وشفع العدد والصلاة يشفعهما شفعًا صَيَّر كلاً منهما شفعًا؛ أي زوجًا.

٤- شفع يشفع لي الأشخاص، أي أرى الشخص شخصين لضعف بصري وانتشاره.

---

(١) المعجم الوسيط، د.إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالي، محمد خلف الله أحمد (١/ ٤٥٧)، دار إحياء التراث الإسلامي.

(٢) انظر لهذه المعاني: البستان معجم لغوي لعبد الله البستاني اللبناني (١/ ١٣٢٩) مادة شفع، المطبعة الأمريكانية-بيروت ١٩٢٧م، ولسان العرب (٢/ ٣٣٤)، وتاج العروس (٥/ ٣٩٩)، ومعجم المقاييس في اللغة ص(٥٣١)، والموسوعة القرآنية الميسرة، تصنيف إبراهيم الأبياري (٣/ ١٨٢-١٣٩)، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م، مؤسسة سجل العرب.

(٣) رواه أبو داود، كتاب الزكاة، باب زكاة السائمة، رقم(١٨٥١)، ضعفه الألباني. انظر: ضعيف سنن أبي داود ص(١٥٦).

ومما شذ عن هذا الباب، ولا نعلم كيف صحته: امرأة مشفوعة، وهي التي أصابتها شفعة، وهي العين، وهذا قد قيل، ولعله أن يكون بالسين غير المعجمة والله أعلم.

"ومن المجاز فلان يعاديني وله شافع؛ أي معين يعينه على عداوتي كما يعين الشافع المشفوع له، قال النابغة:

أتاك امرؤ مستعلن لي بغضه * له من عدو مثل ذلك شافعُ"[(١)].

ومن اشتقاقات مادة شفع يقال: شفع الجنون والعين والأشفع الطويل.

وشفع إليه: في معنى طلب إليه، والشافع الطالب لغيره يتشفع به إلى المطلوب.

واستشفعته إلى فلان؛ أي سألت أن يشفع لي إليه، وتشفعت إليه في فلان شفعني فيه تشفيعا، واستشفعت بفلان على فلان فتشفع لي، وشفعه أجابه شفاعته، ومنه قوله ﷺ: [**القرآن شافع مشفع**][(٢)].

ويقال في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ معانٍ كثيرةٌ منها:

١ - الشفع المخلوقات من حيث إنها مركبات، كما قال تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾[الذاريات:٤٩].

والوتر هو الله من حيث إن له الوحدانية من كل وجه.

---

(١) أساس البلاغة للزمخشري (١/ ٤٩٦)، الشين مع الفاء، ط:الثانية، ١٩٧٢م، دار الكتب.

(٢) الإتقان للسيوطي (٢/ ٣٣٢) وما بعدها.

٢- وقيل الشفع يوم النحر من حيث إن له نظيرا يليه، والوتر يوم عرفة.

٣- الشفع ولد آدم والوتر آدم؛ لأنه لا عَنْ والد.

٤- الشفع والوتر الصلاة فيها شفع وفيها وتر.

قال الصاغاني: في الشفع والوتر عشرون قولا.

٥- روي عن المبرد وثعلب أنهما قالا في قوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[البقرة:٢٥٥] قالا: الشفاعة الدعاء، ههنا[١].

٦- "وفي قوله تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾[النساء:٨٥].

أي من انضم إلى غيره وعاونه في فعل الخير أو الشر شاركه في الجزاء.

٧- والشفاعة هنا أن يشرع لغيره طريق خير أو طريق شر فيقتدى به فصار كأنه شفع له فيشاركه في الجزاء"[٢].

و(الشفيع) صاحب الشفعة[٣] بالضم تكون في الدار والأرض، وسئل

---

(١) انظر: المنجد في اللغة والأدب والعلوم للويس معلوم ص(٣٩٥) مادة شفع، ط:الخامسة، والحسين بن محمد الدامغاني ص(٢٦٥)، ط:الثالثة، مايو ١٩٨٠م، دار العلم للملايين، كذلك تاج العروس (٥/ ٣٩٩)، ولسان العرب (٢/ ٣٣٤).

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، المجلد الثاني ص(٢٣)، ط:الثانية، ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

(٣) قال البهوتي صاحب الروض المربع شرح زاد المستقنع: "الشفعة بإسكان الفاء من الشفع وهو الزوج؛ لأن الشفيع بالشفعة يضم المبيع إلى ملكه الذي كان منفردًا".

قال ابن قاسم في حاشيته على الروض المربع: "أومن الشفاعة أي الزيادة؛ لأن المبيع يزيد =

أبو العباس ثعلب عن اشتقاق الشفعة في اللغة فقال: اشتقاقها من الزيادة، وهي أن تشفع فيما تطلب فتضمه إلى ما عندك فتشفعه؛ أي تزيده؛ أي أنه كان وترا واحدا فضم إليه ما زاد وشفعه.

وفي المغني[١]: "والشفعة: هي استحقاق الشريك انتزاع حصة شريكه المنتقلة عنه من يد من انتقلت إليه".

وبنو شافع من بني المطلب بن عبد مناف، منهم محمد بن إدريس الشافعي، وشفيع كأمير جد عبد العزيز بن عبد الملك المقرئ مات بعد الخمسمائة، وشفيع كزبير هو أبو صالح بن إسحاق المحتسب المحدث عن محمد بن سلام والبخاري مات سنة مائتين وسبعة وخمسين".ا.هـ[٢].

هذا ما أردت إثباته هنا وفي كتب اللغة الكثير واكتفيت بهذا حرصا على عدم التطويل وفيه الكفاية إن شاء الله تعالى والفائدة لمن أراد أن يستفيد وكتب اللغة موجودة أمام من يريد المزيد.

=

ملك الشفيع، أو لأن الرجل إذا أراد بيع داره أتاه جاره وشريكه - كما ذكر ابن القيم - يشفع إليه فيما باع، فشفعه وجعله أولى به". حاشية الروض المربع، جمع عبد الرحمن بن قاسم (٥/ ٤٢٥)، ط:الثانية ١٤٠٥هـ، مؤسسة فؤاد بعينو.

والشفعة هي: استحقاق شريك في ملك الرقبة وانتزاع حصة شريكه إذا انتقلت إلى غيره من يد مَن انتقلت إليه بعوض مالي. حاشية الروض المربع (٥/ ٤٢٦).

(١) المغني للإمامين شمس الدين وموفق الدين ابن قدامة (٥/ ٤٥٩)، ط:الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، دار الفكر.

(٢) انظر: تاج العروس (٥/ ٤٠٠)، ولسان العرب (٢/ ٣٣٤).

تعريف الشفاعة اصطلاحًا:

وردت للشفاعة عدة تعريفات اصطلاحية منها ما يأتي:

١- تعريف الجرجاني[(١)]: الشفاعة: "هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه"[(٢)]، ولعله قصد نوعًا من الشفاعة فقط؛ لأن من الشفاعة ما ليس فيه تجاوز عن الذنوب، بل رفع درجات.

٢- قال ابن منظور[(٣)]: الشفاعة: "كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره"[(٤)].

أما الزبيدي[(٥)] فقد وافق ابن منظور في تعريفه وعباراته.

٣- قال الراغب الأصفهاني: "الشفاعة الانضمام إلى آخر ناصرًا له وسائلًا عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى"[(٦)].

---

(١) الشريف علي بن محمد الجرجاني (٧٤٠-٨١٦هـ) فيلسوف من كتاب العلماء بالعربية له نحو خمسين مؤلف منها (شرح المواقف) و(التعريفات). انظر: الأعلام (٨/ ١٥٩).

(٢) التعريفات ص(١٢٧)، دار الكتب العلمية-بيروت.

(٣) هو أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري (٦٣٠-٧١١هـ)، نشأ في بيئة علمية كان مشاركًا في علوم كثيرة، منها الفقه واللغة، فهو في الفقه بالمنزلة التي تؤهله للقضاء، وفي اللغة بالمنزلة التي نراها بين سطور المعجم الكبير وهو لسان العرب. انظر: الأعلام (٧/ ٣٢٩).

(٤) لسان العرب (٢/ ٣٣٤).

(٥) تاج العروس (٥/ ٤٠١).

(٦) المفردات في غريب القرآن ص(٢٦٢).

وإذا تأملنا هذه التعريفات وجدنا أنه لا فروق جذرية بينها بيد أن منها ما يزيد معنى ومنها ما يقيد.

فالشريف الجرجاني جعل الشفاعة في الصفح والعفو عن الذنوب فقط.

والعلامة ابن منظور والإمام الزبيدي جعلاها مطلقة في الصفح، وطلب الزيادة بدون سابق ذنب.

أما الراغب الأصفهاني فزاد شرطًا، وهو أن الشفاعة غالبًا تكون من الأدنى إلى الأعلى.

قال الحافظ ابن حجر[١]: "الاستشفاع طلب الشفاعة وهي: انضمام الأدنى إلى الأعلى ليستعين به على ما يرومه"[٢].

وقال السفاريني: "هي سؤال الخير للغير"[٣].

ولعل التعريف المختار تعريف الشيخ محمد العثيمين: "أنها التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة"[٤]؛ والسبب في اختياره أنه جامع لأنواع

---

(١) ابن حجر: هو أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ) (١٣٧٢-١٤٤٩م) من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان، له كتب منها (تهذيب التهذيب) (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة). انظر: الأعلام للزركلي (١/ ١٧٣).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٣/ ٢٥٦) دار الفكر.

(٣) لوامع الأنوار البهية (١/ ٢٠٤).

(٤) مجموع فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع فهد السليمان (٥/ ٦١)، ط:الثانية ١٤١٤هـ، دار الثريا.

كذلك انظر: شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح الشيخ ابن عثيمين، =

الشفاعة سواء رفع الدرجات أو التجاوز عن الذنوب مانعًا من دخول غيرها من المعاني أمثال الدعاء فلا واسطة فيه.

وبهذا يكون التعريف الاصطلاحي للشفاعة قد كمل وإن كان هناك تعريفات أخرى، فهي لا تخرج عما ذكرت والله أعلم.

=

خرج أحاديثه سعد الصميل (٢/ ١٦٨)، ط:الثانية ذو القعدة ١٤١٥هـ، دار ابن الجوزي مكتبة شمس.

وزاد الشيخ: ومناسبتها للاشتقاق ظاهرة؛ لأنك إذا توسطت له صرت معه شفعا تشفعه.

صور الشفاعة في الدنيا:

إذا كانت الشفاعة عبارة عن السعي في حق أحد بالخير (سواء حصول المنفعة أو دفع المضرة)، فإنها في الدنيا على صور منها:

١- ثبوت السرقة ـ مثلًا ـ على ذمة أحد عند السلطان، فيشفع له أمير أو وزير أو كبير، فيعفو عنه ولا يحده، ويبقى سليمًا من العذاب فيظن السلطان أن كظم الغيظ في موضع واحد والعفو عن سارق خير من أن يسخط على أمير كبير، تخرب المملكة وتفسد السلطنة بسخطه، ويذهب رونق الدولة باغتصابه.

فمثل هذه الشفاعة يقال لها: **شفاعة الوجاهة**، ولولا هذه الوجاهة لم تقبل فمثلها من الشفاعة لا تتمشى في جانب الواحد القهار، ولا يقدر أحد أن يشفع مثل هذه الشفاعة عنده سبحانه أبد الآباد.

ولو فرض أن الأولين والآخرين من الجن والإنس أجمعين يصيرون كجبريل ومحمد أو كالشيطان والدجال، فلا يزيد ذلك في سلطنة هذا المالك، مالك الملك وملك الملوك.

٢- أن يشفع في ذلك السارق محبوبٌ لسلطان ومعشوق له، ويمنعه عن عقابه فيقبل السلطان شفاعته حبًا للشفيع، وكرامة له، ويعفو عن ذنب السرقة بهذا العجز، وهذه الشفاعة يقال لها: **شفاعة المحبة**، يعني أن السلطان قبل هذه الشفاعة بناء على حب الحبيب، وظن أن كظم الغيظ مرة

واحدة والعفو عن السارق حفظًا لحبه، خير من هم وغم يلحقه من ذهاب المحبوب من عنده.

فمثل هذه الشفاعة أيضًا لا تكون في حق الله سبحانه وتعالى.

٣- أن السرقة ثبتت على السارق، لكن ليست السرقة من شنشنته القديمة، وأنه لم يجعل السرقة حرفة لنفسه، ولكن وقع هذا الذنب منه بسبب النفس الأمارة بسوء، فهو عليه نادم، ويخاف منه ليلًا ونهارًا، ويقبل قانون السلطان في حقه بالرأس والعين، ويرى ذاته ذات خطأ وقصور، مستحقة للعقاب والجزاء ولا يلتجئ ويلوذ بأحد من الأمراء والوزراء، فرارًا من جناب السلطان، ولا يعول على حماية أحد منهم في مقابلته بل يرى وجه الملك ليلته ونهاره، ماذا يحكم في حقه، وبماذا يقضي عليه؟ فيرحم عليه السلطان، ويلين له فؤاده ولكن لا يتجاوز عنه لقانون سلطنته بلا سبب صحيح، ووجه سائغ، لئلا يخف قدر هذا القانون في أعين الناس ويستخفونه.

فيدرك أمير أو وزير مرضاته في العفو عن ذلك السارق، فيشفع له ويسعى فيه، والسلطان يعفو عن ذنبه زيادة في عزة ذلك الأمير في الظاهر باسم الشفاعة وذاك الأمير لم يشفع فيه، لكونه من ذوي قرباه أو صديقًا، له حماية عنده، بل إنما شفع بعدما وجد مرضاة الملك الكبير فيه، كيف وهو أمير السلطان، ليس بحام للسارق؟! فلو شفع فيه حماية، لصار سارقًا بنفسه لا شفيعًا في غيره.

وهذه الشفاعة يقال لها: **الشفاعة بالإذن**، يعني تكون هذه الشفاعة بإذن من مالكها.

فجناب الله سبحانه تكون فيها مثل هذه الشفاعة، وكل نبي، وولي، وصالح جاء ذكر شفاعته في القرآن والحديث، فالمراد بها هي التي قررناها لا غير[(١)].

الفرق بين الشفاعة والاستشفاع:

قد سبق بيان معنى الشفاعة أنها تأتي على معنيين: الدعاء أو الزوج، أما بيان معنى الاستشفاع ففيما يأتي:

الألف والسين والتاء في بداية الكلمة تطل على الطلب.

فالاستشفاع هو طلب الشفاعة.

وفي كتاب تصحيح المفاهيم يقول المؤلف: "والاستشفاع هو أن يقال: استشفع أو توسل بفلان؛ أي اطلب منه الدعاء لتقضى حاجته عند الله من دفع ضر أو جلب نفع، وهو خلاف الشفاعة".ا.هـ[(٢)].

ولعله يريد بقوله خلاف الشفاعة التنبيه على ما بين الشفاعة والاستشفاع من فرق، فالشفاعة تدل على حصول المعنى، والاستشفاع يدل على طلب حصول المعنى، وعليه فالشفاعة: هي طلب الشافع من المشفوع إليه أن

---

(١) انظر: الدين الخالص لسيد محمد صديق حسن (٢/ ١٦) وما بعدها بتصرف، دار التراث.

(٢) تصحيح المفاهيم في جوانب العقيدة لمحمد أمان الجامي ص(٦٩)، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، مكتبة ابن الجوزاء.

يقضي حاجة المشفوع له، والاستشفاع هو طلب المشفوع له من الشافع أن يشفع له عند المشفوع إليه ليقضي له حاجته. والله أعلم.

لفظ الشفاعة في القرآن:

وردت كلمة شفاعة في القرآن الكريم على معان عدة:

الأول: الشفاعة في الدنيا وهي شفاعة الناس بعضهم لبعض في حوائجهم(١) ومنها قوله تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾[النساء:٨٥].

الثاني: يراد به الشفاعة في الآخرة وهذا المعنى ينقسم إلى:

أ- قسم يراد به الشفاعة المنفية. ومنه قوله تعالى: ﴿ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[غافر:١٨] ﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[الأنعام:٥١، ٧٠ـ يونس:٣ـ السجدة:٤ ـ غافر:١٨].

ب- قسم يراد به الشفاعة المثبتة وبيان شروطها. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[الأنبياء:٢٨ ـ مريم:٧٨ ـ الزخرف:٨٦] ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[البقرة:٢٥٥ ـ يونس:٣ ـ طه:١٠٩ ـ سبأ:٢٣ ـ النجم:٢٦].

ج- قسم يعرض محاجة الكفار وحسرتهم في الآخرة ونفي شفاعة ومنه قوله تعالى: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ ﴾[الأعراف:٥٣].

ثالثًا: يراد به المعنى اللغوي وهو الشفع ضد الوتر، ومنه قوله تعالى:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، وتفسير القرطبي عند تفسير الآية.

﴿ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾[الفجر:٣].

هذا من حيث المعنى، أما من حيث الاشتقاق فقد وردت لفظة الشفاعة بأكثر من اشتقاق:

١- الشفع: ﴿ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾[الفجر:٣].

٢- يشفع: ﴿ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنۡهَا ﴾[النساء:٨٥-القرة:٢٥٥]، ﴿ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً ﴾[النساء:٨٥].

٣- يشفعوا: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ ﴾[الأعراف:٥٣].

٤- يشفعون: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾[الأنبياء:٢٨].

٥- شافعين: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴾[الشعراء:١٠٠ ـ المدثر: ٤٨].

٦- شفيع: ﴿ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:٥١ ـ الأنعام:٧٠ ـ يونس:٣ ـ السجدة:٤ ـ غافر:١٨].

٧- شفعاء: ﴿ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ ﴾[الأعراف:٥٣ ـ الروم:١٣ ـ الزمر:٤٣].

٨- شفعاؤنا: ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[يونس:١٨] .

٩- شفاعة: ﴿ وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٌ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة:٤٨، ١٢٣، ٢٥٤ ـ النساء:٨٥ ـ المدثر:٤٨].

١٠- الشفاعة: ﴿ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدًا ﴾ [مريم:٨٧].

١١- شفاعتهم: ﴿ إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا ﴾ [يس:٢٣/ النجم:٢٦].

ومما تقدم يتضح لنا أن لفظة الشفاعة ذكرت في القرآن معرفة ومنكرة واختلفت معانيها في ذلك[١].

لفظ الشفاعة في السنة:

إن المستعرض لأحاديث الشفاعة يجد كتب السنة زاخرة بذكر الأحاديث في موضوعات عدة منها:

١- أحاديث تذكر الشفاعة في الدنيا:

ومنها حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **[تَعِسَ عبد الدينار، وعبد الدرهم... طُوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مُغْبرة قدماه، إن كان في المقدمة كان في المقدمة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شَفع لم يُشفع]**[٢].

٢- أحاديث تذكر من هم الشفعاء:

ومنها حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال في الحديث الطويل في

(١) انظر: المعجم المفسر لألفاظ القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقي، مادة: شفع، دار الفكر، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية (٢،٢٣)، وقاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للفقيه المفسر الجامع الحسين بن محمد الدمغاني ص(٢٦٥)، دار العلم للملايين، ط:الثالثة، مايو أيار ١٩٨٠م.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: الحراسة في الغزوة في سبيل الله (٦/ ١٧٥).

الشفاعة: [شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين...][(١)].

٣- أحاديث تذكر من تحق لهم الشفاعة:

ومنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **[شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي]**[(٢)].

وحديث عوف بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **[أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة، وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة، فهي نائلة من مات لا يشرك بالله شيئا]**[(٣)].

٤- أحاديث في أنواع الشفاعة:

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: **[كنا مع النبي ﷺ في دعوة، فرفع إليه الذراع ـ وكانت تعجبه ـ فنهس منها نهسة، وقال: أنا سيد الناس يوم القيامة؟ هل تدرون: مما ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد...]** ثم ذكر حديث الشفاعة الطويل[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في التوحيد باب: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (١٥/ ٣٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي صفة القيام، باب: رقم(١١)، رقم(٢٥٦٦)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢/ ٢٩٤).

(٣) أخرجه الترمذي صفة القيامة، باب: ما جاء في الشفاعة رقم(٢٥٧١)، وصححه الألباني (٢/ ٢٩٥) في صحيح الترمذي.

(٤) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب: قول الله عز وجل: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ (٧/ ١٥).

٥- أحاديث تذكر أن الشفاعة من مناقب النبي ﷺ:

ومنها حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: [**لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته، وخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**][(١)].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [**أُعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر... وأعطيت الشفاعة**][(٢)].

٦- أحاديث تذكر أسباب الشفاعة:

ومنها عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: [**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة**][(٣)].

فهذه جملة أحاديث ذكرت الشفاعة وما هي إلا أمثلة وليس المقام مقام حصر واستقصاء للأدلة.

---

(١) أخرجه البخاري في الدعوات، باب: لكل نبي دعوة (١٢/ ٣٧٣). دار الفكر.

(٢) أخرجه البخاري في التيمم، باب: التيمم (١/ ٣٦٩).

(٣) أخرجه مسلم ك: الصلاة، ب: استحباب القول مثل المؤذن لمن سمع ثم يصلى على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة (١/ ٢٨٨).

الفصل الأول
الشفاعة عند الشيعة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بهم.

المبحث الثاني: قول الشيعة في الشفاعة.

المبحث الثالث: أدلتهم.

وسأذكر إن شاء الله تعالى تحت هذا العنوان الشيعة وقولهم في الشفاعة وأدلتهم.

التمهيد

يعد المذهب الشيعي من أقدم المذاهب وتتفق جميع آراء الشيعة على ذلك، ومعهم علماء الاستشراق، إذا نشأ عقب اجتماع السقيفة، بمجرد أن ذاع خبر البيعة لأبي بكر الصديق، وهم يؤيدون موقف علي ومن تبعه في الامتناع عن البيعة لأبي بكر، ولكن غير الشيعة، والمعتزلة ينكرون أن تكون الشيعة نشأت في ذلك الزمن المبكر، ويؤرخون نشأتهم بعصر جعفر الصادق (٨٠-١٤٨هـ) (٦٩٩-٧٦٥م) وهشام بن الحكم (١٩٠هـ-٨٠٥م).

والمعروف بقصد التشيع والشيعة معنى الميل إلى إمارة علي بن أبي طالب، والطموح إلى تقديمه، وتفضيله على غيره من الصحابة، والحقيقة أننا سنجد جماعة غير منظمة تجمعها هذه الآراء والمزاعم السابق ذكرها قد ظهرت واستمر هواها مع علي وبني هاشم دون أن يتعدى ذلك نطاق الهوى والأمنيات، والمعتدلون من الشيعة قالوا بأفضلية علي على بقية الخلفاء، والمتطرفون قالوا بتقديسه وعصمته، وكفروا من انفض عنه، وكان أهم موطن للشيعة العراق؛ لأنه مزدحم الآراء والمعتقدات، وهو البلد

الذي أقام به علي بن أبي طالب ﷺ، والتفت حوله القلوب.

وقال بعضهم: إن أصل المذهب الشيعي نزعة فارسية؛ لأن العرب تدين بالحرية، أما الفرس فيدينون بالملك الوراثي، ولا يعرفون معنى الاختيار للخليفة. وعلى ذلك نظر الشيعة إلى علي وآل بيته نظرة تقديس وطاعة، وأصبحت طاعة الإمام واجبة في المذهب الشيعي؛ لأنها طاعة الله في نظرهم.

ويرى البعض الآخر أن الشيعة أخذت من اليهودية أكثر مما أخذت من الفارسية؛ لأن عبد الله بن سبأ كان يهوديا، وتظاهر بالإسلام، وكان أول من أظهر الدعوة إلى التقديس.

وقد بدأت الخلافات بين الصحابة بعد مبايعة علي بن أبي طالب بالخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان، وكان أولها الخلاف بين علي بن أبي طالب ﷺ وبين طلحة والزبير، ثم بين علي بن أبي طالب وبين معاوية من جانب والخوارج من جانب آخر، وظهر أثناء هذا الخلاف أنصار علي بن أبي طالب الذين حاربوا معه ونصروه ضد خصومه، وأطلق عليه شيعة علي، أي أنصاره وأتباعه.

"ولكن لم يكن الشيعة جميعا متفقين في المذهب والعقيدة، بل تفرقت بهم الأهواء، فانقسموا إلى فرق عدة، يرجع أساس اختلافها وانقسامها إلى عاملين قويين، كان لهما كل الأثر تقريبا في تعدد فرق الشيعة وتفرق مذاهبهم:

أولهما: اختلافهم في المبادئ والتعاليم، فمنهم من تغالى في تشيعه وتطرف فيه إلى حد جعله يلقي على الأئمة نوعا من التقديس والتعظيم،

ويرمى كل من خالف عليا وحزبه بالكفر. ومنهم من اعتدل في تشيعه فاعتقد أحقية الأئمة بالإمامة وخطأ من خالفهم، ولكن ليس بالخطأ الذي يصل بصاحبه إلى درجة الكفر.

وثانيهما: الاختلاف في تعيين الأئمة؛ وذلك أنهم اتفقوا جميعا على إمامة علي ﷺ، ثم على إمامة ابنه الحسن من بعده، ثم على إمامة الحسين من بعد أخيه، ثم اختلفوا بعد ذلك.

وبلغ عدد الفرق التي انقسم إليها الشيعة حدًا كبيرًا، منها من تغالى في تشيعه، وتجاوز حد العقل والإيمان، ومنها من اعتدل في تشيعه فلم تغل كما غلا غيرها كالزيدية"[١].

وأما عن كتبهم المعتمدة فهي (الكافي للكليني ـ من لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي ـ التهذيب والاستبصار للطوسي)[٢].

هذا الوصف ليس هو المراد ولا المتبادر إلى الذهن إذا نحن تحدثنا عن الشيعة اليوم فليس الذي يميز الشيعة عن غيرهم تفضيل علي على أبي بكر

---

(١) جذور الفتنة في الفرق الإسلامية منذ عهد الرسول ﷺ حتى اغتيال السادات، اللواء حسن صادق ص(٧١) مع ما بعدها بتصرف، ط:الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م، مكتبة مدبولي.

وانظر: التفسير والمفسرون للذهبي (١/ ٤) وما بعدها، ط:الثانية ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م، دار الباز، ودراسات في الفرق لصابر طعيمة ص(٩)، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، مكتبة المعارف- الرياض.

(٢) لمزيد من المعرفة راجع: تأسيس الشيعة لحسن الصدر ص(٢٨٨)، مؤسسة النعمان.

وعمر وعثمان ولا الميل إلى نصرته ودوام أمارته للمؤمنين.

لذا فنحن نحاول بمشيئة الله تعالى إلقاء الضوء على التعريف اللغوي والاصطلاحي لنتعرف على من هم الشيعة وبماذا يمتازون.

المبحث الأول: التعريف بالشيعة

١- تعريف الشيعة لغة:

يقول ابن دريد[(١)]: "فلان من شيعة فلان؛ أي: ممن يرى رأيه، وشيعت الرجل على الأمر تشييعًا إذا أعنته عليه، وشايعت الرجل على الأمر مشايعةً وشياعا إذا مالأته عليه"[(٢)].

وقال الأزهري[(٣)]: "والشيعة أنصار الرجل وأتباعه، وكل قوم اجتمعوا على أمرهم شيعة. والجماعة شيع وأشياع، والشيعة: قوم يهوون هوى عترة النبي ﷺ ويوالونهم.

يقال: شيعت فلانا أي: خرجت معه لأودعه، والشيع الفرق الذين يتبع بعضهم بعضا وليس كلهم متفقين"[(٤)].

وقال الجوهري: "تشيع الرجل؛ أي: ادعى دعوى الشيعة، وكل قوم

---

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري (٢٢٣-٣٢١هـ) (٨٣٨-٩٣٣م) ولد في خلافة المعتصم، وهو من بيت علم ورئاسة، تأدب ابن دريد بالبصرة وقرأ على علمائها، له كتب من أهمها كتاب (الجمهرة في اللغة)، وهو صاحب (المقصورة الدريدية) والاشتقاق والمقصور والممدود. انظر: الأعلام (٦/ ٣١٠).

(٢) جمهرة اللغة (٣/ ٦٣)، ط:الأولى ١٣٤٥هـ، دار صادر.

(٣) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الأزهر الأزهري (٢٨٢-٣٧٠هـ) (٨٩٥-٩٨١م)، له مؤلفات منها: الأدوات ـ تفسير ألفاظ مختصر المزني، وكتاب تهذيب اللغة وهو قمة تأليفه، وقد ألفه بعد بلوغه السبعين. الأعلام (٦/ ٢٠٢).

(٤) تهذيب اللغة (٣/ ٦)، تحقيق عبد الحليم النجار، الدار المصرية.

أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع، قال ذو الرمة:

استحدث الركب عن أشياعهم خبرا * ....

يعني عن أصحابهم"[١].

قال ابن منظور: "والشيعة أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شيع، وأشياع جمع الجمع، وأصل الشيعة: الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، وقد غلب هذا الاسم على من يتولى عليا وأهل بيته، حتى صار لهم اسما خاصا، وأصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة والشيعة: قوم يرون رأي غيرهم، وتشايع القوم صاروا شيعا، وتشيع الرجل إذا ادعى دعوى الشيعة، وشايعه شياعا وشيعة تابعه، ويقال: فلان يشايعه على ذلك أي يقويه"[٢].

وقال الزبيدي: "كل من عاون إنسانا وتحزب له فهو له شيعة، وأصل الشيعة من المشايعة وهي المتابعة، وقد غلب هذا الاسم (الشيعة) على كل من يتولى عليا وأهل بيته... وهم أمة لا يحصون مبتدعة، وغلاتهم الإمامية المنتظرية يسبون الشيخين، وغلاة غلاتهم يكفرون الشيخين، ومنهم من يرتقي إلى الزندقة"[٣].

---

(١) الصحاح للجوهري (٣/ ١٢٤٠).

(٢) لسان العرب، مادة (شيع).

(٣) تاج العروس (٥/ ٤٠٥).

يقول نشوان الحميري[1]: "وإنما سميت الشيعة: شيعة لمشايعتهم علي بن أبي طالب وأولاده عليهم السلام، والمشايعة: الموالاة والمناصرة، والشيعة: الأولياء والأنصار والأصحاب والأحزاب، ومنه قول الكميت بن زيد الأسدي:

إذا الخيل وراها العجاج وتحته غبار أثارته السنابك أصهب

فمالي إلا آل أحمد شيعة ومالي إلا مشعب الحق مشعب

ويقال شيع الرجل: إذا صحبه، والمشايعة أيضًا المخالطة والمشاركة في الأمر وغيره، ومنه يقال سهم مشاع؛ أي غير مقسوم، وسهم شائع أيضًا، كما يقال سائر.

ويقال: هذا شوع هذا أو شيع هذا للذي ولد بعده، ولم يولد بينهما، ويقال: آتيك غدا شيع غدا؛ أي بعد غد.

ويقال إن الشيع: المقدار، ويقال: أقام شهرا أو شيعه، ويقال: شيع الراعي بإبله، وشايع، إذا صاح بها، ودعاها إذا استأخر بعضها، والمصدر: المشايعة والشياع.

والشياع: صوت مزمار الراعي، قال قيس بن أبي ذريح الكناني:

إذا ما تذكرين يحن قلبي * * حنين النيب تطرب للشياع

---

(١) نشوان بن سعيد الحميري أبو سعيد من نسل حسان ذي مراثد، علامة باللغة والأدب، من أهل بلد حرث شمال صنعاء، من مؤلفاته: (القصيدة الحميرية) (الحور العين). انظر: الأعلام للزركلي (٨/ ٣٣٥).

ويقال شيعه: إذا أحرقه، ويقال: شيعت النار بالحطب تشييعا إذا أذكيتها به، والمشيع: الشجاع.ا.هـ"[(١)].

نلحظ مما سبق أن نشوان الحميري الشيعي يذكر معان للشيعة لم تذكر في كتب اللغة، ولا ندري ما مدى صحة هذه المعان ولعل لها أصلا في كتبهم ومعتقداتهم.

أما إذا نظرنا نظرة فاحصة للتعريف اللغوي في هذه الكتب فنجد أنه لا يخرج عن معان هي: الممالأة، والمتابعة، والمطاوعة، والمناصرة، والموافقة بالرأي، والاجتماع على الأمر أو الأصحاب أو الأحزاب، إلا أن الغالب على هذا الإطلاق (الشيعة) أنه يراد به كل من والى عليا وأهل بيته ولكن هذه الغلبة فيها نظر، ذلك أن الباحث إذا تأمل المعنى اللغوي وقاسه على الواقع يجد أن فرق الشيعة لا تمثل هذا الإطلاق، بل إنها تضاده، فالشيعة في الوقت الحالي تمثل المخالفة والمجافاة لأهل البيت وهي غير تابعة لهم ولا موالية ولا مناصرة، ولعل هذا المعنى قد أيده شريك بن عبد الله حينما سأله سائل: "أيهما أفضل أبو بكر أو علي؟ فقال له: أبو بكر، فقال السائل: تقول هذا وأنت شيعي! فقال له: نعم ومن لم يقل هذا فليس شيعيا، والله لقد رقي هذه الأعواد علي، فقال: ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، فكيف نرد قوله، وكيف نكذبه؟ والله ما كان كذابا".

---

(١) انظر: الحور العين من ص(١٧٨-١٨٠)، حققه كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[١]: "قدروي عن علي من نحو ثمانين وجها أنه قال على منبر الكوفة: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر"[٢].

وكذلك ورد مثلها من كتب الشيعة: "روى السيد المرتضى علم الهدى في كتابه (تلخيص الشافي) عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رجلا من قريش جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: سمعتك تقول في الخطبة آنفًا: اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين؟ فمن هم؟ قال: حبيباي، وعماك أبو بكر وعمر، إماما الهدى وشيخا الإسلام ورجلا قريش، والمقتدى بهما بعد رسول الله ﷺ ومن اقتدى بهما عصم، ومن اتبع آثارهما هدي إلى صراط مستقيم. وكرر في نفس الكتاب أن عليا عليه السلام قال في خطبته خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر"[٣].

ثم إن تولي عليا وأهل بيته أمر لا يخص الشيعة وحدهم ولا يتميزون به، بل يدخل معهم في هذا التعريف غيرهم أمثال أهل السنة فهم يتولون عليا وأهل بيته وبهذا يكون التعريف اللغوي ليس جامعا لصفات الشيعة

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ) شيخ الإسلام، العالم بالقرآن والفقه وسائر العلوم، ناظر أهل البدع، له نحو أربعة آلاف كراسة أو أكثر، منها (الصارم المسلول)، و(منهاج السنة). انظر: الأعلام (٢/ ١٤٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ بـ(٥) رقم(٣٦٧١)، وأحمد (١/ ١٠٦)، المكتب الإسلامي.

(٣) انظر: منهاج السنة (٤/ ١٣٧)، ط:الأولى، الطبعة الأميرية ببولاق ١٣٢٢هـ. وكذلك انظر: تلخيص الشافي (٢/ ٤٢٨) نقلا عن إحسان إلهي ظهير في الشيعة وأهل البيت ص(٥٢)، ط:السابعة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، إدارة ترجمان السنة.

كما أنه ليس مانعا لدخول غيرهم، لذا لا بد من تعريف اصطلاحي تتميز به هذه الطائفة.

تعريف الشيعة اصطلاحا:

أ- يعرف شيخ الشيعة القمي سعيد بن عبد الله[1] (ت٣٠١هـ) الشيعة بقوله: هم شيعة علي بن أبي طالب، وفي موضع آخر يقول: "الشيعة هم فرقة علي بن أبي طالب المسمون شيعة علي في زمان النبي ﷺ ـ وبعده معروفون بانقطاعه إليه والقول بإمامته"[2].

ويوافق على هذا التعريف شيخهم النوبختي[3] حتى في الألفاظ نفسها[4].

ب- تعريف شيخهم الطوسي[5] ونجده يربط وصف التشيع بأمور

---

(١) سعيد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي من كبار محدثي الشيعة، شيخ الطائفة وفقيهها، توفي سنة ٣٠١هـ، صاحب المقالات والفرق. انظر: رجال النجاشي، طبع بومباي سنة ١٣١٧هـ.

(٢) المقالات والفرق ص(١٥)، قدم له محمد جواد مشكور ١٩٦٣م، مطبعة حيدر.

(٣) الحسن بن موسى بن الحسن النوبختي (ت٣١٠هـ) أبو محمد، فلكي عارف بالفلسفة، كانت تدعيه المعتزلة والشيعة، له مؤلفات منها: (الفرق والمقالات)، (فرق الشيعة). الأعلام (٢/ ٢٣٩).

(٤) فرق الشيعة للحسن بن موسى النوبختي ص(١٧)، ط:الثانية، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، دار الأضواء.

(٥) محمد بن الحسن بن علي الطوسي، مفسر نعته السبكي بفقيه الشيعة، أحرقت كتبه عدة مرات، ولد (٣٨٥-٤٦٠هـ) (٩٩٥-١٠٦٧م)، له مؤلفات منها: (المجالس) (تلخيص الشافي) (فهرست كتب الشيعة). انظر: رجال الشيعة في الميزان ص(١٦٨).

تعد من أصول اعتقاد الشيعة فيقول: "يرتبط وصف التشيع بالاعتقاد، وبكون علي إماما للمسلمين بنص من الرسول ﷺ، وبإرادة من الله"[(١)].

إذا تأملنا تعريف الشيعة للتشيع نجد أنهم على طرفي نقيض، فطائفة تجعل أصل التشيع هو القول بإمامة علي وموالاته، في حين أن الشق الآخر يجعل أصول التشيع من النص أو الوصية والرجعة والتقية أصلا في التعريف.

فالطوسي هنا يجعل الاعتقاد بالنص هو أساس التشيع، ولهذا يخرج الطوسي السليمانية الزيدية من فرق الشيعة؛ لأنهم لا يقولون بالنص بل يقولون: "إن الإمامة شورى، وإنها تصلح بعقد رجلين من خيار المسلمين، وإنها قد تصلح في المفضول... ويثبتون إمامة الشيخين أبي بكر وعمر"[(٢)]، ولم يخرجوهم من دائرة التشيع فحسب بل اعتبروهم "نواصب"[(٣)].

أما القمي والنوبختي فهما يغفلان أصول التشيع التي أحدثها الشيعة فيما بعد وهو من التعاريف السليمة لشيعة علي رضي الله عنه وللشيعة الحقيقيين، وهو يخرج مدعي التشيع من حظيرة الشيعة؛ لأنهم أحدثوا أصولا لم يقلها أئمة أهل البيت، لكنه حسب مقاييس الاثني عشرية لا يعتبر تعريفًا للشيعة

---

(١) انظر: تلخيص الشافي (٢/ ٥٦)، ط:الثالثة، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م، دار الكتب الإسلامية قدم له حسين بحر المعلوم.

(٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري (١/ ١٤٣)، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ط:الثانية، ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م، مكتبة النهضة المصرية.

(٣) انظر: الطوسي التهذيب (١/ ٣٦٤) نقلا عن أصول مذهب الشيعة للقفاري ص(٤٥).

مع أن القمي والنوبختي من الشيعة الاثني عشرية[١].

ويذهب بعض المعاصرين إلى ما ذهب إليه الطوسي، فيقصر وصف التشيع على من يؤمن بالنص على خلافة علي فيقول بأن لفظ الشيعة: "علمًا على من يؤمن بالنص على خلافة علي بأن عليا هو الخليفة بنص النبي"[٢].

ومما يؤيد أن مسألة النص محل إجماع قديما وحديثا عندهم ما ذكره شيخهم الكليني[٣] حين عقد في كتابه (الكافي) ثلاثة عشر بابا في مسألة النص على الأئمة يضمنها مائة وتسعة أحاديث[٤].

فلا غرابة في أن يربط الشيعة وصف التشيع بقضية النص، ولكن الغرابة في أن القارئ لكلام الشيعة عن عقائدهم، كالعصمة، والتقية، والرجعة، وغيرها يرى أنهم يغالون في كل عقيدة من عقائدهم بحيث

(١) الشيعة الاثني عشرية هم تلك الفرقة الذين زعموا أن علياً هو الأحق في الخلافة دون الشيخين وعثمان ﷺ وأطلق عليهم الإمامية لأنهم جعلوا من الإمامة القضية الأساسية التي تشغلهم وسموا بالاثني عشرية لأنهم قالوا باثني عشر إماماً دخل آخرهم سرداب بسامراء على حد قولهم. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٥١).

(٢) الشيعة في الميزان لمحمد جواد مغنية ص(١٥)، دار التعارف-بيروت.

(٣) محمد بن يعقوب بن إسحاق أبو جعفر الكليني، فقيه إمامي، كان شيخ الشيعة ببغداد، من كتبه (الكافي في علوم الدين)، وله رسائل الأئمة، توفي (٣٢٩هـ-١٩٤١م). انظر: رجال الشيعة لعبد الرحمن الزرعي ص(١٦٧)، ط:الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار الأرقم-الكويت.

(٤) انظر: الأصول من الكافي لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني (١/ ٢٨٦-٣٢٨)، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، دار الأضواء.

يربطون وصف التشيع بالإيمان بتلك العقيدة، مثل قولهم: (من لم يؤمن بكرتنا، ويقل بمتعتنا فليس منا) وغيرها كثير، ومع ذلك فلا أرى لهذه العقائد ذكرا في التعريفات، مع أنهم يعتبرونها لبا وجوهرا للتشيع[١].

فإذا كان الشيعة أنفسهم لم يتفقوا على تعريف لهم يجمع أصولهم فلا بد إذا من النظر في المصادر الأخرى للوصول إلى تعريف للشيعة جامع لهذه الأصول، فالناظر لكتب الفرق يجد أن كل من ألف في الفرق قد ذكر تعريفًا للشيعة.

١- تعريف الأشعري[٢] للشيعة:

قال الأشعري في كتابه (مقالات الإسلاميين): "إنما قيل لهم الشيعة؛ لأنهم شايعوا عليا رضوان الله عليه، ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ"[٣].

٢- تعريف الشهرستاني[٤] (الملل والنحل):

"الشيعة هم الذين شايعوا عليه ﷺ على الخصوص، وقالوا بإمامته

---

(١) للاستزادة انظر: أضواء على الشيعة للهادي حمو ص(١٣)، دار التركي للنشر، ومسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د.ناصر القفاري (١/ ١٢٠)، ط:الرابعة، ١٤١٦هـ،دار طيبة للنشر والتوزيع.

(٢) ستأتي ترجمته عند الحديث عن الأشاعرة في الفصل الرابع.

(٣) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري (١/ ٦٥).

(٤) محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني (٤٧٩-٥٤٨هـ) (١٠٨٦-١١٥٣م)، أبو الفتح، من فلاسفة الإسلام، كان إماما في علم الكلام والأديان والأمم ومذاهب الفلاسفة، يلقب بالأفضل، من كتبه (الملل والنحل)، (نهاية الإقدام في علم الكلام). انظر: الأعلام (٧/ ٨٣).

وخلافته نصا ووصية إما جليا، وإما خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده.

وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة وإرساله.

ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك"[(١)].

٣- التعريف الذي اختاره الروافض ليكون معرفا لهم هو تعريف الإمام ابن حزم[(٢)] في (الفصل):

فإنه من أدق التعاريف للشيعة كما صرح بذلك بعضهم فهو يقول: "ومن وافق الشيعة أن عليًا ﵁ أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيًا"[(٣)].

---

(١) الملل والنحل (١/ ١٤٦)، تحقيق محمد سيد كيلاني، ط:الثانية، دار المعرفة. كذلك انظر: نظرية الإمامة لأحمد محمود صبحي ص(٦٧)، دار النهضة العربية.

(٢) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٣٨٤-٤٥٦هـ) (٩٩٤-١٠٦٤م)، الظاهري أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، كانت له ولاية ورياسة الوزارات، فانصرف إلى العلم والتأليف، من أشهر مؤلفاته: (الفصل في الملل والأهواء والنحل)، (المحلى). انظر: الأعلام (٥/ ٥٩).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ١٠٧)، تحقيق محمد نصر وعبد الرحمن عميرة، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، دار الجيل.

ويختار هذا التعريف أحد الرافضة، ويعلل الرافضي اختياره لتعريف ابن حزم على غيره بقوله: "ومما حدانا إلى تفضيل تعريف ابن حزم هو أن الاعتراف بأفضلية الإمام علي ﷺ على الناس بعد رسول الله، وأنه الإمام والخليفة بعده، وأن الإمامة في ذريته هو أس التشيع وجوهره"[١].

التعريف المختار:

مما تقدم نلحظ أن تباين تعريف الشيعة له ارتباط وثيق بأطوار نشأة الشيعة ومراحل التطور العقدي[٢] فكل إمام يعرف الشيعة بحسب الزمن الذي عاش فيه، يقول نشوان الحميري[٣]: وكانت الشيعة الذين شايعوا عليا عليه السلام على قتال طلحة والزبير وعائشة ومعاوية والخوارج في حياة علي عليه السلام ثلاث فرق:

١- فرقة منهم، وهم الجمهور الأعظم الكثير، يرون إمامة أبي بكر وعمر وعثمان إلى أن غَيَّر السيرة وأحدث الأحداث.

٢- وفرقة منهم، أقل من أولئك عددًا: يرون الإمام بعد رسول الله ﷺ: أبا بكر، ثم عمر، ثم عليا، ولا يرون لعثمان إمامة، قال أيمن بن خزيمة الأسدي:

له في رقاب الناس عهد وبيعةٌ ** كعهد أبي حفص وعهد أبي بكر

---

(١) تاريخ الإمامية لعبد الله فياض ص(٣٣) نقلا عن أصول الشيعة (٢/ ٥٠) د.القفاري.

(٢) انظر: الشيعة والتصحيح لموسى الموسوي ص(٨-٥٠)، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م. والشيعة والتشيع لإحسان إلهي ظهير ص(١٣) وما بعدها، ط:الأولى، ١٤٠٤هـ، إدراة ترجمان السنة.

(٣) الحور العين ص(١٨٠).

٣- وفرقة منهم يسيرة العدد جدا، يرون عليًا أولى بالإمامة بعد رسول الله ﷺ، ويرون إمامة أبي بكر وعمر وكان الناس على وجه الرأي والمشورة، ويصوبونهم في رأيهم ولا يخطؤونهم، إلا أنهم يقولون: إن إمامة علي كانت على وجه أصوب وأصلح، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إن: "الشيعة الأولى الذين كانوا على عهد علي كانوا يفضلون أبا بكر وعمر" ثم قال: "وكل شيعة علي الذين صحبوه لا يعرف عن أحد منهم أنه قدمه على أبي بكر وعمر لا في فقه ولا علم ولا دين، بل كل الشيعة الذين قاتلوا معه كانوا مع سائر المسلمين متفقين على تقديم أبي بكر وعمر، ومما يبين هذا أن علماء الكوفة الذين صحبوا عمر وعليًا كعلقمة والأسود وشريح وغيرهم كانوا يرجحون قول عمر على قول علي، أما تابعو المدينة فهذا عندهم أشهر وأظهر"[(١)].

وروى ابن بطة[(٢)] عن شيخه المعروف بأبي العباس بن مسروق: حدثنا محمد بن حميد... قدم أبو إسحاق السبيعي الكوفة، قال لنا شَمِرُ بن عطية: قوموا إليه، فجلسنا إليه، فتحدثوا فقال أبو إسحاق: خرجت من

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٤/ ١٣٧)، تحقيق محمد رشاد سالم، ط:الأولى، ١٩٨٦م، إدارة الثقافة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٢) ابن بطة: الإمام القدوة، العابد الفقيه المحدث، شيخ العراق أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي ابن بطة، مصنف كتاب (الإبانة الكبرى)، ولد سنة ٣٠٤هـ وتوفي سنة ٣٨٧هـ وكان مستجاب الدعوة. انظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٢٩).

الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما، وقدمت الآن وهم يقولون ويقولون، ولا والله ما أدري ما يقولون"[(١)].

ولو عرفنا الزمن الذي خرج فيه أبو إسحاق والزمن الذي عاد فيه لتبين لنا متى حصل الانحراف في معتقد هذه الفرقة، لذا نرى أن تعريف الشيعة يختلف في تلك الفترتين، فالشيعي الغالي في زمن السلف هو من تكلم في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وعائشة ممن حارب علياً رضي الله عنه، وتعرض لسبهم.

والغالي من الشيعة في زماننا وعُرْفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين فهذا مفتر ضال[(٢)].

ومما تقدم يتضح لنا أن التعريف الأخير أولى؛ لأنه لاحظ الأطوار التي مرت بها معتقدات الشيعة، واختلفت عن بعضها مما جعلنا ندرك حالهم اليوم بعد أن تمت الأطوار التاريخية واختفت الأسباب التي أدت إلى الخلاف[(٣)].

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام الرفض و الاعتزال، اختصره الذهبي ص(٣٦٠)، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المطبعة السلفية.

(٢) انظر: الحور العين ص(١٨٠) وما بعدها، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية لعرفان عبد الحميد ص(٢١)، ط:الأولى، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، مؤسسة الرسالة.

(٣) ولمزيد من المعرفة عن رجال الشيعة وكتبهم انظر: تأسيس الشيعة للسيد حسن الصدر ص(٢٨٦) وما بعدها، مؤسسة النعمان.

المبحث الثاني: قول الشيعة في الشفاعة

قبل الحديث عن الشفاعة نود أن نحرر محل النزاع والاتفاق بين الطوائف، فمنها من أثبت ومنها من أنكر كلٌّ حسب أصوله.

قال شارح الطحاوية ـ وهم يقسم الناس في الشفاعة إلى ثلاثة أقسام ـ:

"إن الناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال: فالمشركون والنصارى والمبتدعون من الغلاة في المشايخ وغيرهم، يجعلون الشفاعة من يعظمونها عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا.

والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة نبينا محمد ﷺ وغيره في أهل الكبائر.

وأما أهل السنة والجماعة، فيقرون بشفاعة نبينا محمد ﷺ في أهل الكبائر وشفاعة غيره، لكن لا يشفع أحد حتى يأذن الله له ويُحد له حدًا"(١).

قال أبو محمد ابن حزم مؤكدًا هذه القاعدة الجليلة:

"اختلف الناس في الشفاعة فأنكرها قوم، وهم المعتزلة والخوارج، وكل من منع أن يخرج أحد من النار بعد دخوله فيها، وذهب أهل السنة والأشعرية والكرامية وبعض الرافضة إلى القول بالشفاعة"(٢).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي ص(٢٣٥)، تحقيق الألباني، ط:الثامنة، مكتب الإسلامي.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤/ ١١١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

"وأما شفاعته ودعاؤه للمؤمنين فهي نافعة في الدنيا والدين باتفاق المسلمين، وكذلك شفاعته للمؤمنين يوم القيامة في زيادة الثواب، ورفع الدرجات متفق عليها بين المسلمين، وقد قيل: إن بعض أهل البدع ينكرها.

وأما شفاعته لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم"[١].

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١٤٨)، جمع عبد الرحمن بن قاسم، دار إحياء الكتب.

المطلب الأول: منزلة الأئمة عند الشيعة.

إن المتأمل لعقائد الشيعة في توحيد الله تعالى والإيمان به و إفراده بالعبادة يجد عجب العجاب مما يقرأ في كتبهم أو ما ينقل عن كتبهم.

فإذا تصفحت توحيدهم تجده مشوبًا بالشرك، حيث إن التوحيد عندهم يراد به الإيمان بالأئمة لدرجة أنهم قد أولوا النصوص لغرضهم الفاسد.

ومن أمثلة ذلك تأويلهم لآيات القرآن:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْ ﴾[غافر:١٢].

يروي الكليني في (الكافي) عن أبي جعفر في قوله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ ﴾ بأن لعلي ولاية ﴿ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ ﴾ من ليس له ولاية تؤمنوا ﴿ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴾(١).

وهذه التأويلات أشبه بتأويلات الباطنية، فلا دليل عليها من عقل ولا لغة ولا نص صحيح، أما إذا رجعنا إلى كتب التفسير عند أهل السنة فنجد أن هذه الآية تبين ما عليه أهل الشرك من إعراض عن عبودية الله وحده.

قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري(٢) ـ رحمه الله تعالى ـ عند هذه

---

(١) الأصول في الكافي (١/ ٤٢١). انظر: بحار الأنوار لمحمد بن باقر المجلسي (٢٣/ ٣٦٤)، مؤسسة الوفاء.

(٢) محمد بن جرير الطبري الإمام عالم العصر المجتهد من أهل آمل طبرستان، ولد سنة ٢٢٤هـ =

الآية: "هذا الكلام متروك استغنى بدلالة الظاهر من ذكره عليه وهو فأجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك عندما قالوا: ﴿ فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾[غافر:١١] هذا الذي لكم من العذاب أيها الكافرون بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم فأنكرتم أن تكون الألوهية له خالصة وقلتم: أجعل الآلهة إلهًا واحدًا"[١].

قال ابن كثير[٢]: هكذا أنتم تكونون، وإن رددتم إلى الدنيا يعني تشركون، واستدل بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الأنعام:٢٨]، ﴿ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ﴾[غافر:١٢] وإن يجعل لله شريك تصدقوا من جعل ذلك له فالحكم لله العلي الكبير[٣].

٢- قوله تعالى: ﴿ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[النمل:٦١].

قال أبو عبد الله ـ كما يفترون ـ: "أي إمام هدى مع إمام ضلال في قرن واحد"[٤].

إن هذه الروايات وأمثالها هي التربة الصالحة لنشوء الاتجاهات

=

وتوفي ٣١٠هـ وهو رأس في التفسير. له تصانيف عدة منها: أخبار الأمم وتاريخهم، وكتاب تهذيب الآثار. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧).

(١) جامع البيان في تفسير القرآن (٢٤/ ١١/ ٤٨) ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، دار الحديث.

(٢) إسماعيل بن كثير: الإمام الحافظ الثقة، ولد سنة بضع ومئة وتوفي سنة ١٨٠هـ قراء القرآن على شبيه بن صحاح ثم عرض على نافع الإمام. له مؤلفات عدة منها: التفسير والبداية والنهاية.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ١٢٣)، دار الشعب، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٨٤)، دار الفكر، وأضواء البيان للشنقيطي (٧/ ٧٣)، عالم الكتب.

(٤) بحار الأنوار (٢٣/ ٣٩١).

الغالية التي تؤله عليا، والتي لا تزال تظهر في هذه الطائفة بين آونة وأخرى، وإلا فالآية لا صلة لها بإمامهم، بل هي لتقرير وحدانية الله، فالله جل شأنه قال: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾[النمل:٥٩-٦٠].

"يقول الله في آخر كل آية ﴿ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ أي: أإله مع الله فعل هذا، وهذا استفهام إنكاري يتضمن نفي ذلك وهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله فاحتج عليهم بذلك وأن ذلك يستلزم ألا يعبد إلا الله وحده، وليس المعنى أنه استفهام جعل مع الله إله كما ظنه بعضهم؛ لأن هذا المعنى لا يناسب سياق الكلام عليه، والقوم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى"(١).

قال تعالى: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ﴾ [الأنعام:١٩]. وإذا كان الله جل شأنه يقول: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[الأنبياء:٢٥] فإن تلك الزمرة التي وضعت روايات الشيعة قالت وكأنها تضاهي معنى الآية أو تعارضه قالت: "ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبيًا قط إلا بها"(٢) انظر كيف جعلوا أمر

---

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص(٨٥)، تحقيق جماعة من العلماء، خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني.

(٢) أصول الكافي (١/ ٤٣٧) رقم(٣).

إمامة أئمة لم يخلقوا هو أصل دعوة الأنبياء!!.

وهكذا لا تكاد تخلو آية من آيات القرآن في موضوع التوحيد والنهي عن الشرك إلا راموا تحريفها وتعطيلها وتحويل معناها إلى ولاية علي والأئمة ولو كانت صريحة واضحة بينة.

وهذه التأويلات هي مفتاح كل فتنة وباب كل شر، كيف لا، وهي تطمس معالم الدين، وتضيع دين المسلمين وما من أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وبه دان الناس لرب العالمين وكانوا في المآل قسمين فريق في الجنة وفريق في السعير.

أما النقول التي ساقوها عن أئمتهم لتوافق مذهبهم، فهي كثيرة جدًا نذكر منها على سبيل المثال: ما نسبوه إلى علي ﷺ أنه قال: [**سلوني قبل أن تفقدوني فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا تسألوني عن علم ما لا تعلمون إلا أخبرتكم به، علمنيه الصادق عن الروح الأمين عن رب العالمين**](1)، قال أبو عبد الله: "لا والله ما فوض الله إلى أحد من خلقه إلا إلى رسول الله ﷺ وإلى الأئمة، قال عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾[النساء:١٠٥] وهي جارية في الأوصياء عليهم السلام. عن أبي عبد الله قال: سمعته يقول: "إن الله عز وجل أدب رسوله حتى قومه على ما أراد، ثم فوض إليه فقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا

---

(١) التأويل الإسماعيلي الباطني ومدى تحريفه للعقائد الإسلامية لعبد العزيز سيف النصر، ط:الأولى، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، مطبعة الجبلاوي.

نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[الحشر:٧]، **فما فرض الله إلى رسوله ﷺ فقد فوضه إلينا"**(١).

وروى عنه أيضًا قال: "الدنيا وما فيها لله تبارك وتعالى ولرسوله ولنا، فمن غلب على شيء منها فليتق الله، وليؤد حق الله تبارك وتعالى، وليبر إخوانه، فإن لم يفعل ذلك، فالله ورسوله ونحن برآء منه"(٢).

أقول: لا أدري ما نوع هذه الواو عندهم أهي للمعية أم للترتيب؟ كيف يسمحون لأنفسهم بهذا والرسول ﷺ نهى الرجل أن يقول لولا الله وفلان ـ وما شاء الله وشئت، بل إن ﷺ قال له بصريح العبارة: [**أجعلتني لله ندا، ما شاء الله وحده**](٣)، وهؤلاء جعلوا أنفسهم شركاء لله في ملكه ونص القرآن في أكثر من موضع على أن الملك له ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[المائدة:١٧، ١٨، ٢٠/ النور:٤٢/ الشورى:٤٩/ الجاثية:٢٧/ الفتح:١٤] ثم ما وجه الملك للدنيا عندهم أهو للخلق أم الحكم كلا الأمرين ساقط فأعز الخلق قال الله سبحانه له: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[آل عمران:١٢٨] وقال: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾[الأعراف:١٨٨] وقال سبحانه مبطلًا هذه القضية ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾[يوسف:٤٠، ٦٧] حتى لا يكون هناك مجالًا لدخول أي أحد ويستمر الشيعة في رفع أئمتهم إلى منزلة التشريع في إطار من

---

(١) أصول الكافي (١/ ٢٦٨) رقم(٨، ٩).

(٢) المرجع السابق (١/ ٤٠٨) رقم(٢).

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص(٥٣٤).

التواضع المصطنع فيقول أبو عبد الله ـ كما يفترون عليه ـ: "إنما الوقوف علينا في الحلال والحرام أما النبوة فلا"[١].

سبحانك هذا بهتان عظيم جعلوا أمر التشريع إليهم وتواضعوا عن جعل النبوة لهم، وكأن النبوة أعظم من التشريع.

ولنستمع إلى ما قاله رسول الله ﷺ في أمر التشريع قال عند قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[التوبة:٣١] قال: هم العلماء والعباد وذلك أن عدي بن حاتم لما جاء مسلمًا دخل على رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية قال: فقلت إنهم لم يعبدوهم، فقال: [**إنهم حرموا عليهم الحلال وحللوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذاك عبادتهم إياهم**][٢].

وعن أبي جعفر قال: [**إنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق**][٣].

وعن أبي عبد الله قال: قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[النمل:٤٠] قال: ففرج أبو عبد الله بين أصابعه فوضعها على صدره ثم قال: وعندنا والله علم الكتاب كله.

فهؤلاء ليسوا بأحسن حالًا من القائل في حق النبي ﷺ.

---

(١) أصول الكافي (١/ ٢٦٨) رقم(٢).

(٢) رواه أحمد والترمذي وحسنه ولمزيد من المعرفة عن تفسير أو معنى الآية انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٧٠).

(٣) أصول الكافي (١/ ٤٣٨) رقم(٢).

فإن من جودك الدنيا وضرتها * ومن علومك علم اللوح والقلم[(١)].

ومع هذا فقد أنكر أهل السنة عليه، مع أنه قاله في حق سيد ولد آدم، فكيف بمن هم دونه[(٢)].

يقول د.ناصر القفاري[(٣)]:

"وقبل أن نرفع القلم في هذه المسألة أشير إلى رواية من كتبهم تنقض تأويلاتهم، وتبين أصلها ومنبتها، فقد جاء في تفسيرهم (البرهان): عن حبيب بن معلى الخثعمي قال: ذكرت لأبي عبد الله ما يقول أبو الخطاب فقال: أجل إليَّ ما يقول قال: في قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ﴾[الزمر:٤٥] أنه أمير المؤمنين ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾[الزمر:٤٥] فلان وفلان.

قال أبو عبد الله: من قال هذا فهو مشرك بالله عز وجل ثلاثًا أنا إلى الله منهم بريء ثلاثًا، بل عنى الله بذلك نفسه قال: فالآية الأخرى التي في (حم) قول الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾[غافر:١٢] ثم قلت: زعم أنه يعني بذلك أمير المؤمنين ﷺ. قال أبو عبد الله: من قال هذا فهو مشرك بالله ثلاثًا، أنا إلى الله منهم بريء ثلاثًا، بل عنى الله بذلك نفسه"

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ص(٥٣٨).

(٢) لمزيد من التعرف على كذب الشيعة في إثبات منزلة الأئمة انظر: الشيعة في الميزان لمحمد يوسف النجرامي ص(١١٦)، دار المدني. كذلك الشيعة في التصور الإسلامي لعلي عمر فريح ص(٤١)، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، دار عمار.

(٣) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٤٣٣-٤٣٤)، وكذلك انظر: عقيدة الشيعة لدوايت م.رونلدس ص(٥٨)، تعريب ع.م.، ط:الأولى، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، مؤسسة المفيد.

وليت الأمر وقف عند تحريف آيات القرآن الكريم ووضع الأحاديث المفتراة بل راحو يترنمون بكفرهم، ويكتبون الأشعار في ذلك.

يقول أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجب الشاعر الشيعي، وهو يضفي صفات الألوهية والربوبية على الإمام علي ﷺ فيقول:

يا صاحب القبة البيضاء على النجف ... من زار قبرك واستشفى لديك شفي

زوروا أبا الحسن الهادي فإنكم ... تحظون بالأجر والإقبال والزلف

زوروا لمن يسمع النجوى لديه فمن ... يزره بالقبر ملهوفًا لديه كفي

وإذا وصلت فأحرم قبل تدخله ... ملبيًا واسع سبعًا حوله وطف

وقل سلام من الله السلام على ... أهل السلام والعلم والشرف

إني أتيتك يا مولاي من بلدي ... مستمسكًا بحبال الحق بالطرف

راج يا مولاي بأنك تشفع لي ... وتسقني من رحيق شافي اللهف

لأنك العروة الوثقى فمن علقت ... بها يداه فلن يشقى ولم يخف

وإن أسماءك الحسنى إذا تليت ... على مريض شفي من سقمه الدلف[(١)].

(١) انظر: دار السلام وما يتعلق بالرؤيا والمنام لميرزا حسين النوري الطبرسي (١/ ٣٢١) نقلا عن الشيعة وتحريف القرآن لمحمد مال الله ص(١٩)، ط:الثالثة، رمضان ١٤٠٩هـ، مكتبة ابن تيمية.

المطلب الثاني: قول الشيعة في الشفاعة.

يعتقد الشيعة الإمامية كغيرهم من الفرق الإسلامية بأنه بعد أن يقضي الله سبحانه على الخلق وعلى كل كائن حي بالموت والفناء، يحييهم ليوم الحساب، فيقوم الناس وغير الناس من موتهم ورقدتهم وفنائهم أحياء بإذنه وإرادته سبحانه وتعالى لينتصف للمظلوم من الظالم، وليأخذ صاحب الحق حقه.

كما يعتبرون أن شفاعة محمد ﷺ من الاعتقادات اللازمة فيقولون: "ويجب الاعتقاد بأنه ـ أي محمد ﷺ ـ يشفع يوم القيامة في الموقف حتى وفي النار، فيشفع لهم في الحساب وله حق الشفاعة وحده".

كما أنهم يرون أن الشفاعة من الأعمال التي قد يؤذن لباقي الأنبياء والشهداء وبعض المسلمين بها.ا.هـ[(١)].

ويعتقد الشيعة أيضًا أن الشفاعة جائزة وواقعة يوم القيامة، وأن أهل البيت يشفعون للعصاة من شيعتهم، بل يثبتون شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر والملائكة أيضا على ما سيأتي تفصيله.

ويؤكد هذا ما ذكر في كتاب (الصافي في تفسير القرآن الكريم) عند قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـًٔا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا

---

(١) انظر: عقيدة الشيعة لدوايت م.رونلدس ص(٣٢٤) تعريب ع.م. كذلك دراسات في عقائد الشيعة الإمامية للسيد محمد علي الحسني ص١٦٣)، مؤسسة النعمان، وMuslimtheolgy لمكدونلد ص(٣٤٩) عن الفضلي، النص العربي، ط:القاهرة سنة ١٣١٥هـ نقلا عن عقيدة الشيعة ص(٣٣٣).

يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾[البقرة:٤٨] قال: عن الصادق أنه قال: "هذا يوم الموت، فإن الشفاعة والفداء لا يغني عنه، فأما يوم القيامة فإنا وأهلنا نجزي عن شيعتنا كل جزاء، ليكونن على الأعراف بين الجنة والنار، محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، والطيبون من آلهم، فترى بعض شيعتنا، كسلمان والمقداد وأبي ذر، وعمار، ونظرائهم في العصر الذي يليهم.

وسيؤتى بالواحد من مقصري الشيعة في أعماله بعد أن حاز الولاية والتقية وحقوق إخوانه يوقف بإزائه مائة أو أكثر من ذلك إلى مائة ألف من النصاب(١) فيقال له: هؤلاء فداؤك من النار فيدخل هؤلاء المؤمنون الجنة وأولئك النصاب النار"(٢).

ويذكر الشيعة في كتبهم أحاديث تؤيد هذا المعنى، بل إنهم يسوقون حديثا يشابه ما لدى أهل السنة في حديث الشفاعة الطويل، فيذكر الطوسي في أماليه: "وعنه عن شيخه عن والده قال: أخبرني أبو عبد الله محمد بن محمد قال: سمعت أبا محمد الواثبي رواه عن أبي الورد قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد من الأولين والآخرين عراة حفاة، فيوقفون على طريق المحشر حتى يعرقوا عرقا شديدا وتشتد أنفاسهم، فيمكثون بذلك ما شاء الله،

---

(١) جمع ناصب والناصب على حسب بيان كتب الشيعة من يقدم الأول على الثاني يعني أبا بكر وعمر على علي، الوشيعة ص(٢٤).

(٢) الصافي لملا محسن الكاشي، نقلا عن التفسير والمفسرون لمحمد بن حسين الذهبي (٢/ ١٨٣)، ط:الثانية، ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م، دار الكتب الحديثة.

وذلك قوله: ﴿ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾[طه:١٠٨] ثم قال: يناد مناد من تلقاء العرش أين النبي الأمي، قال: فيقول الناس قد أسمعت كل قسم باسمه. فقال: فينادي: أين نبي الرحمة محمد بن عبد الله؟ قال: فيقوم رسول الله ﷺ فيتقدم أمام الناس كلهم حتى ينتهي إلى حوض طوله ما بين أيلة وصنعاء، فيقف عليه، ثم ينادي بصاحبكم، فيقوم أمام الناس فيقف معه، ثم يؤذن للناس فيمرون، قال أبو جعفر: فبين وارد يومئذ وبين مصروف، وإذا رأى رسول الله ﷺ من يصرف عنه من محبينا أهل البيت بكى، وقال: يا رب شيعة علي، يا رب شيعة علي، قال: فيبعث الله عليه ملكا فيقول له ما يبكيك يا محمد؟ قال: فيقول وكيف لا أبكي لأناس من شيعة أخي علي بن أبي طالب أراهم قد صرفوا تلقاء أصحاب النار ومنعوا من ورود حوضي، قال: فيقول الله عز وجل يا محمد قد وهبتهم لك وصفحت لك عن ذنوبهم، وألحقتهم بك وبمن كانوا يقولون من ذريتك، وجعلتهم في زمرتك، وأوردتهم حوضك، وقبلت شفاعتك فيهم وأكرمتك بذلك. ثم قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام، فكم من باك يومئذ وباكية ينادون: يا محمداه إذا رأوا ذلك. قال: فلا يبقى أحد يومئذ كان يتوالانا، ويحبنا إلا كان في حزبنا، ومعنا، وورد حوضنا"[(١)].

وإذا قرأت كتب الشيعة تجد أن الشيعة من المثبتين للشفاعة لا ريب إلا أن إثباتهم خاص بهم، كما هي عادتهم في جميع أمورهم، ونحن بمشيئة الله

---

(١) أمالي الطوسي (١/ ٦٤-٦٥) قدم له محمد صادق بحر العلوم ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م، مطبعة النعمان، النجف الشريف.

ستتعرف على قولهم من خلال النقاط التالية:

١ – من المستحق للشفاعة؟

٢– من هم الشفعاء؟

٣– أقسام الشفاعة.

أولا: من المستحق للشفاعة.

"صرحت كتب الشيعة أن كل الفرق الإسلامية كافرة ملعونة خالدة في النار إلا الشيعة"[(١)].

يذكر الأشعري أن طائفة من الروافض "يثبتون الوعيد على مخالفيهم ويقولون: إنهم يعذبون، ولا يقولون بإثبات الوعيد فيمن قال بقولهم، ويزعمون أن الله سبحانه يدخلهم الجنة، وإن أدخلهم النار أخرجهم منها، ورووا في أئمتهم أن ما كان بين الله وبين الشيعة من المعاصي سألوا الله فيهم، فصفح عنهم، وما كان بين الشيعة وبين الأئمة تجاوزوا عنه، وما كان بين الشيعة وبين الناس من المظالم شفعوا لهم إليهم حتى يصفحوا عنهم"[(٢)].

أما من كتبهم، فيذكر المجلسي في باب عقده بعنوان: (باب الصفح عن الشيعة) وذكر فيها سبعًا وتسعين رواية[(٣)].

---

(١) الوشيعة في نقض عقائد الشيعة لموسى الجار الله ص(١٣)، مطبعة الكيلاني.

(٢) مقالات الإسلاميين (١/ ١٢٦).

(٣) انظر: بحار الأنوار لمحمد المجلسي (٦٨/ ٩٨-١٤٩)، مؤسسة الوفاء.

وبعد أن ذكر هذه الروايات كلها كأنه استقلها فقال: "قد مرت أخبار كثيرة من هذا الباب في أبواب المعاد من الحوض والشفاعة وأحوال المؤمنين والمجرمين في القيامة وغيرها وأبواب فضائل الأئمة"(١).

وقد صدر الباب المذكور بحديث يحكي نفس المذهب الذي أشار إليه الأشعري، يقول حديثهم: "إذا كان يوم القيامة ولينا حساب شيعتنا فمن كانت مظلمته فيما بينه وبين الله عز وجل حكمنا فيها فأجابنا، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبين الناس استوهبناها فوهبت لنا، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبيننا كنا أحق من عفا وأصفح"(٢).

من النص السابق يتضح لنا أن الشفاعة خاصة بهم وحدهم دون غيرهم، بل إنهم جعلوا زمام الحل والعقد لهم، حيث إنهم هم الذين يتولون الحساب، ولنا هنا أن نتساءل لماذا يحاسبون أنفسهم؟ وهم يقولون في نص آخر أنهم جميعا بولايتهم لعلي داخلون الجنة، ولكنه تناقض البشر!(٣).

"ومن ذلك ما روى ابن بابويه القمي عن المفضل بن عمرو قال: قلت لأبي عبد الله لم صار علي قسيم الجنة والنار؟ قال: لأن حبه إيمان وبغضه كفر، وإنما خلقت الجنة لأهل الإيمان والنار لأهل الكفر، فهو قسيم

---

(١) بحار الأنوار (٦٨/ ١٤٩).

(٢) المرجع السابق (٦٨/ ٩٩).

(٣) ولمزيد معرفة عن تناقضهم وشبهاتهم، انظر: شبهات حول الشيعة لعباس علي الموسوي ص(٤٤)، دار ومكتبة الرسول.

الجنة والنار: لا يدخل الجنة إلا محبوه، ولا يدخل النار إلا مبغضوه"(١).

وفي نص آخر نسب إلى علي أنه قال: "لنا شفاعة، ولأهل مودتنا شفاعة"(٢).

ومرة أخرى يقولون: إن عليا يقف بين الجنة والنار؛ ليدخل شيعته الجنة، ويدخل من عاداه أو عادى ذريته أو شيعته النار، فعن محمد بن جعفر الصادق عن أبيه قال: "إذا كان يوم القيامة نصب منبر عن يمين العرش له ٢٤ مرقعة ويجيء علي بن أبي طالب، وبيده لواء الحمد، فيرتقيه، ويعلوه، ويعرض الخلائق عليه، فمن عرفه دخل الجنة ومن أنكره دخل النار، وتفسير قول تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[التوبة:١٠٥] وقال: والله هو علي بن أبي طالب"(٣).

تأمل إلى قلب النصوص، والعبث بالآيات والأحاديث، ووضع الأمور في غير موضعها، وهل وقفوا عند هذا الحد، كلا فقد نسبوا إلى أبي عبد الله أنه قال لأبي أسامة زيد الشحام: "يا أبا أسامة أبشر، فأنت معنا، وأنت من شيعتنا، أما ترضى أن تكون معنا؟ قلت: بلى يا سيدي فكيف لن أكن معكم؟ فقال: يا زيد إن الصراط إلينا، وإن الميزان إلينا، وحساب

---

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية لشاه عبد العزيز الدهلوي ص(٢٠٤)، تعريب غلام محمد الأسلمي، واختصار السيد محمود شكري الألوسي، تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب ١٤٠٤هـ طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية.

(٢) بحار الأنوار (٨/ ٣٤).

(٣) عقائد الإمامية الاثني عشرة في لواء الحمد ص(٣٠٣) نقلا عن تفسير العياش.

شيعتنا إلينا، والله يا زيد إني أرحم بكم من أنفسكم، والله لكأني أنظر إليك وإلى الحرث بن المغيرة النفري في الجنة في درجة واحدة"(١).

ثم إنهم بعد أن جعلوا الشفاعة لهم وحدهم جاء أمر آخر ينص على أن التوبة أنجع الشفاعات، وهذا فيه من التناقض ما الله به عليم، فمن أي شيء تكون الشفاعة حينئذ، وهو الذي لا ذنب عليه، واستشهدوا في هذا الجانب بحديث رواه أحد علمائهم عن أحد أئمتهم موسى بن جعفر أبويه عن محمد بن عمير قال: "لا يخلد الله في النار إلا أهل الكفر والجحود وأهل الضلال والشرك ومرتكب الكبائر من المؤمنين، ثم يسأل عن الصغائر قال تبارك وتعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾[النساء:٣١] قال فقلت له: يا بن رسول الله، فالشفاعة لمن تجب من المذنبين؟ قال حدثني أبي عن آبائه عن علي عليه السلام قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: [**إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**]، فأما المحسنون فما عليهم من سبيل، قال ابن أبي عمير فقلت له: يابن رسول الله، فكيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر، والله تعالى ذكره يقول: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾[الأنبياء:٢٨] ومن يرتكب الكبائر لا يكون مرتضى، فقال: يا أبا أحمد، ما من مؤمن يرتكب ذنبا إلا ساءه ذلك وندم عليه، وقد قال النبي ﷺ: [**وكفى بالندم توبة**]".

---

(١) من رسالة ماجستير باسم (الشفاعة دراسة واستدلال) لمريس محمد عطية الحواجري ص(٢٠١) مخطوط، كلية أصول الدين-القاهرة.

وقال عليه السلام: [**ومن سرته حسنته، وساءته سيئته، فهو مؤمن**] فمن لم يندم على ذنب يرتكبه، فليس بمؤمن، ولم تجب له الشفاعة وكان ظالما، والله تعالى ذكره يقول: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[غافر:١٨] فقلت له: يابن رسول الله، وكيف لا يكون مؤمنا من لم يندم على ذنب يرتكبه؟ فقال: يابن رسول الله ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصي، وهو يعلم أنه سيعاقب عليها إلا ندم على ما ارتكب، ومتى ندم كان تائبا مستحقا للشفاعة، ومتى لم يندم كان مصرا، والمصر لا يغفر له؛ لأنه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكبه، ولو كان مؤمنا بالعقوبة لندم، وقد قال النبي ﷺ: [**لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار**] وأما قول الله عز وجل: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء:٢٨] فإنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه، والدين الإقرار بالجزاء على الحسنات والسيئات، فمن ارتضى الله دينه ندم على ما ارتكبه من الذنوب لمعرفته بمعاقبته في القيامة"(١).

والمتأمل في هذا الحديث يرى فيه من التعارض الشيء الكبير، فبعد أن سلموا بالشفاعة لأهل الكبائر جعلوا. الندم شرطًا في تحقيق الشفاعة، والندم كما نعلم توبة، فكيف تكون لصاحب الكبائر ثم يحرمونه منها إلا إذا تاب، والتوبة عندهم من أفضل الشفاعات، ثم كيف تكون الشفاعة لصاحب الكبائر المصر عليها، وهم قد حكموا عليه بالكفر، فهل تجوز الشفاعة عندهم

---

(١) التوحيد للقمي ص(٤٠٧-٤٠٨) نقلا عن رسالة ماجستير (الشفاعة دراسة واستدلال) ص(٢٠٥).

للكافر، في الحقيقة أن هذا تناقض وتعارض في فكر هؤلاء، مما يوحي بعدم صحة هذا، وبالتالي عدم صحة نسبته إلى حفيد من حفدة رسول الله ﷺ.

ثانيا: من هم الشفعاء؟

لقد أضفت الشيعة على أئمتهم هالة من التقديس لدرجة أنهم سووا بينهم وبين الأنبياء، بل قد فضلوهم على الأنبياء أحيانًا، فلا عجب أن نراهم يخصون أئمتهم بالشفاعة وبعض من والاهم لدرجة أنهم جعلوا منزلة عليٍّ رضي الله عنه تكاد تكون مساوية لمنزلة النبي ﷺ، فتارة يقولون: إن عليًّا رضي الله عنه يؤتى بناقة من ياقوت أحمر، وزمامها زبرجد أخضر، فيحمل عليها، ويقف بين رسول الله ﷺ وبين إبراهيم عليه السلام، ثم يكون إماما لمن تبعه في الدنيا[1].

ولم يقف الأمر عند جعل الشفاعة لآل بيت النبي ﷺ، وإنما تعداه إلى أئمتهم ومن والاهم، فهذا لم يقل به جدهم ﷺ ولا يرضى عنه، فقد جعل أساس التفاضل هو التقوى والعمل الصالح، ولم يجعل دخول الجنة حكرًا على إنسان بعينه، حتى ولو كان هو ﷺ، فضلا عن أن يكون الأئمة من ذريته الذين نعتقد أنهم مبرئون مما نسب إليهم.

وسأعرض لبعض ما استدلوا من نصوص ينسبونها إلى رسول الله ﷺ تارة وإلى أئمتهم تارة، وذلك من خلال كتب الحديث عندهم وتفاسيرهم.

ومن أعجب ما قالوه ما يروونه في تفضيل أئمتهم على الأنبياء، حيث

(١) بحار الأنوار (٨/ ١٤٦) بتصرف.

ذكر القمي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾[سبأ:٢٣] أنه ﷺ قال: "لا يشفع أحد من أنبياء الله ورسله حتى يأذن الله له إلا رسول الله، فإن الله أذن له في الشفاعة قبل يوم القيامة، والشفاعة له وللأئمة من ولده، ثم بعد ذلك الأنبياء"(١).

وأعجب من هذا أنهم أخضعوا آيات القرآن الكريم لاتجاههم هذا وفسروها حسب هواهم، فمثلًا يقولون: إن المقصود من العهد في قوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾[مريم:٨٧] هو الاعتراف بولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده، كما يقولون إن المقصود من الشافعين في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[الشعراء:١٠٠-١٠١] هم الأئمة(٢).

وينسبون إلى جعفر الصادق أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[يونس:٢]: إن المقصود من البشارة ولاية أمير المؤمنين، وأما المقصود بقوله تعالى: ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ هو شفاعة محمد، وقوله ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾[الزمر:٣٣] فالمقصود به شفاعة علي، ومعنى قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾[الحديد:١٩] هو شفاعة الأئمة(٣).

وغير ذلك من الادعاءات في تأويل كتاب الله وتفسيره بمعان لا صلة

---

(١) بحار الأنوار (٨/ ٣٨).

(٢) بحار الأنوار (٨/ ٤٢).

(٣) بحار الأنوار (٨/ ٤٢) بتصرف.

له بها من قريب أو بعيد، ولا يقصد بها إلا التضليل، والذي يعنيني قوله بعد ما ذكروه من أباطيل هو أنهم يثبتون الشفاعة للنبي ﷺ وللأئمة ثم الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، وبذلك تكون شفاعة الأنبياء جائزة عندهم، وإن كانت تالية لشفاعة الأئمة، وهي فرع من شفاعته ﷺ، ولكن مفتتح الشفاعة من حقه وحده ﷺ، وهي تكون لمن والى آل البيت مثل غيرهم، كما أجازوا الشفاعة للملائكة وإن كانت لا تكون مثل شفاعة الأئمة، واستدلوا على ذلك بما ينسبونه للنبي ﷺ من أنه قال: [**لا شفاعة أنجع من التوبة، والشفاعة للأنبياء والأوصياء من... والملائكة**](1).

ثم يأتي نص آخر يزيد في عدد الشفعاء عندهم: "فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: الشفاعة خمسة: القرآن، والرحم، والأمانة، ونبيكم، وآل بيت نبيكم"(2).

ثالثا: أقسام الشفاعة.

قسم الشيعة الشفاعة تقسيمًا أوليًا إلى الشفاعة المنحرفة والشفاعة الحقة:

١- الشفاعة المنحرفة:

وهي التي يكون فيها التوجه أولا للشفيع؛ ليؤثر على المشفع عنده، وهي شفاعة ظالمة.

---

(١) بحار الأنوار (٨/ ٥٨).

(٢) المرجع السابق (٨/ ٤٣).

٢- الشفاعة الحقة:

وهي التي يكون المشفوع عنده هو الذي قد انتدب الشفيع للشفاعة[(١)].

الفرق بينهما:

الأولى تختلف عن الثانية من وجوه، فالمنحرفة تناقض قانون الشفاعة عندهم، بل وتعمل على هدمه، وتقوم على الاستثناءات والواسطة غير مستوفية لشروط الشفاعة، لذلك كانت في الدنيا غير صحيحة.

أما الصحيحة أو الحقة فإنها على العكس من ذلك كله[(٢)] ومن هنا فقد قسم الشيعة الشفاعة الصحيحة عندهم إلى قسمين: شفاعة القيادة، وشفاعة المغفرة.

أ- شفاعة القيادة أو العمل:

وهي شفاعة المتبوع لتابعه، سواء أكان ذلك في الخير أم في الشر، المهم أنه كما يقود في الدنيا، فإنه يكون إماما له في الآخرة في الهدى أو الضلال؛ لأن الروابط اللغوية التي كانت بين الناس تتجسم هناك في صور عينية، محمد ﷺ يكون شفيعًا لأمير المؤمنين والزهراء، وهذان يكونان شفيعين للحسنين، وكل إمام يكون شفيع الإمام الآخر، وشفيع طلابه، فتابعيه فسلسلة المراتب.

---

(١) كتاب العدل الإلهي لمرتضى المطهر ص(٢٤٩)، ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني، مؤسسة الوفاء-بيروت.

(٢) المرجع السابق ص(٢٣٣).

يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾[الإسراء:٧١] وكذلك يكون فرعون وغيره إمامًا يوم القيامة في الضلال لمن تبعه إلى النار؛ لأن كل إنسان يحشر مع قدوته الذي استلهمه، وكان تابعا له في العمل.

يقول الله تعالى في حق فرعون ومن تبعه: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾[هود:٦٨] وقد كان فرعونا شفيعًا؛ لأنه إمام ضلال واتباع قومه له في الدنيا خطوة خطوة يتجسم في العالم الآخر أيضًا بصورة إمام وقائد، فهو شفيع وواسطة لهم في الدنيا؛ لأنه يدفعهم للذنوب أو شفيع لهم في الآخرة؛ لأنه يكون واسطة لهم في دخول نار جهنم، وهذه الشفاعة شفاعة عمل؛ لأن الأساس الذي يوجب النجاة أو الهلاك إنما هو العمل الصالح أو العمل السيء[١].

ب- **شفاعة المغفرة أو الفضل:**

وهي عبارة عن وساطة في المغفرة والعفو عن الذنوب، وهم يعتبرونها ضرورية؛ لأنها مستمدة من الرحمة الشاملة للكون كله، والمغفرة قانون كلي ناتج من غلبة الرحمة لا يتم إلا بواسطة الأنبياء والأئمة الأطهار، وهذا لازم من لوازم وجود النظام في الكون، إذ يستحيل أن تصل المغفرة إلى المخطئين والمذنبين عن غير هذا الطريق، إذ إن كل رحمة لا تتم إلا بواسطة، وهو ما يؤكد وجود الشفاعة.

ولو فرض عدم وجود دليل عقلي ونقلي على الشفاعة لكنا مضطرين لإثباتها عن طريق البراهين القاطعة من قبيل وجود النظام في الكون وغيره[٢].

---

(١) العدل الإلهي ص(٢٣٦) بتصرف.

(٢) المرجع السابق ص(٢٤٠-٢٤٥) بتصرف.

المبحث الثالث: أدلتهم

القارئ لكتب الشيعة يجد أن عندهم خلطًا وسوء فهم أدَّيا بهم إلى سوء المعتقد، فالشيعة يخلطون بين الاستشفاع وبين الشفاعة، ونجدهم يعممون ذلك ويجعلون أدلة جواز الاستشفاع بالنبي ﷺ في حياته والصالحين يجعلونها في جواز طلب الشفاعة في الآخرة من الأئمة عندهم، وهذا الخطأ منشأه من أمرين:

١ - غلوهم في الأئمة لدرجة أنهم جعلوهم وسائط بين الله وخلقه.

٢- خلطهم بين الشفاعة في الدنيا والشفاعة في الآخرة.

٣- تأويلهم لنصوص الأحاديث، مما جعلهم يخلطون بين معاني الشفاعة؛ ولذلك نجد أنهم عند عرض أدلتهم يخلطون بين الأمرين.

أما عن أدلتهم التي ذكروها في كتبهم فهي نوعان من الأدلة في إثبات شفاعة أوليائهم من الأئمة الاثني عشر وغيرهم.

فالنوع الأول: عبارة عن نصوص يذكرونها في كتبهم على لسان أئمتهم.

الثاني: أحاديث يذكرونها على لسان النبي ﷺ ويؤولونها لصالحهم، وهي نوعان:

إما أن تكون الأحاديث كذبًا وافتراء على ماسنبين .

ب- وإما أن تكون ثابتة لكن وجه الاستدلال بها ساقط. وما هي إلا

شبه يعرض لها الخصم ويؤيدها بالأحاديث والآثار لتعطيها القوة، ولكنها لا تخفى على من أعطاه الله البصر والبصيرة في الدين.

أولاً: النصوص من كتبهم على لسان أئمتهم.

١- "روى البزنطي عن الرضا عليه السلام قال: ما زارني أحد من أوليائي عارفًا بحقي إلا شفعت فيه يوم القيامة"(١).

٢- عن محمد بن تمام قال: "قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن فلانًا مولاك يقرئك السلام، ويقول لك: اضمن لي الشفاعة، فقال: أمن موالينا؟ قلت: نعم، قال: أمره أرفع من ذلك، قال: قلت: إنه رجل يوالي عليًا ولم يعرف من بعده من الأوصياء، قال ضال، قلت: فأقر بالأئمة جميعًا وجحد الآخر، قال هو كمن أقر بعيسى وجحد محمدًا ﷺ"(٢).

٣- وروى الحسن بن علي بن فضالة عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: إن بخراسان لبقعة يأتي عليها في زمان قصير مختلف الملائكة، فقال: فلا يزال فوج ينزل من السماء وفوج يصعد إلى أن ينفخ في الصور، فقيل له يابن رسول الله وأية بقعة هذه؟ قال: هي بأرض طوس، فهي والله روضة من رياض الجنة من زارني في تلك البقعة كان كمن زار رسول الله ﷺ وكتب الله له ثواب ألف حجة مبرورة وألف عمرة مقبولة، وكنت أنا

---

(١) من لا يحضره الفقيه ابن بابويه القمي (٢/ ٣١٩) حققه وعلق عليه حسن الموسوي الخرساني ١٤٠١هـ ١٩٨١م، دار صعب، دار التعارف.

(٢) بحار الأنوار (٢٣/ ٩٧).

وآبائي شفعاءه يوم القيامة"[(١)].

٤- مما يدل على أن طلب الشفاعة ثابت للأئمة بعض الطقوس التي يجب على زائر قبر أمير المؤمنين علي ﷺ أن يفعلها وبعض العبارات التي يذكرها الزائر والتي لا يتم له ثواب الزيارة إلا بها.

ومنها قولهم:

إذا أتيت القبر بظهر الكوفة فاغتسل، وامش على سكون ووقار حتى تأتي أمير المؤمنين عليه السلام فتستقبله بوجهك، وتقول: "السلام عليك يا ولي الله أنت أول مظلوم وأول من غصب حقه، صبرت واحتسبت، فاشفع لي عند ربك، فإن لك عند الله عز وجل مقامًا معلومًا، وإن لك عند الله جاهًا وشفاعة، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[الأنبياء:٢٨] إلى أن قال: ثم اجلس عند رأسه وقل... أنت ممن أمرني الله بصلته، وحثني على بره، ودلني على فضله، وهداني لحبه، ورغبني في الوفادة إليه، وألهمني طلب الحوائج عنده، أنتم أهل بيت يسعد من تولاكم، ولا يخيب من أتاكم، ولا يخسر من يهواكم، ولا يسعد من عاداكم، ولا أجد أحدًا أفزع إليه خيرًا لي منكم، أنتم أهل بيت الرحمة، ودعائم الدين وأركان الأرض والشجرة الطيبة، اللهم لا تخيب توجهي إليك برسولك وآل رسولك واستشفاعي بهم، اللهم أنت مننت علي بزيارة مولاي وولايته ومعرفته، فاجعلني ممن ينصره، وينتصر به ومن علي بنصرك لدينك في الدنيا والآخرة، اللهم إني

---

(١) من لا يحضره الفقيه، لابن بابويه القمي (٢/ ٣٥١).

أحيى على ما حيى عليه علي بن أبي طالب... الخ[١].

٥- وليت الأمر وقف عند علي بن أبي طالب فها هنا نص لزيارة قبر الإمامين أبي الحسن علي بن محمد وأبي محمد الحسن بن علي (بسر من رأى) يقول: "إذا أردت زيارة قبرهما عليهما السلام فاغتسل وتنظف... (السلام عليكما: يا وليي الله، وأسأله أن يعتق رقبتي من النار، وأن يرزقني شفاعتكما ومصاحبتكما...)"[٢].

الجواب عن هذه النصوص:

ونحن نركز على الرد على الأدلة مجتمعة بأوجه عدة:

هذه النصوص وغيرها مما في كتبهم كلها نصوص هالكة موضوعة، وما هي إلا بعض ما وضعه الرافضة من نصوص لنصرة مذهبهم وتأييدًا لباطلهم فهي:

أولًا: "نصوص ليس لها سند صحيح، ونحن نطالب بإثبات صحة الإسناد.

ثانيًا: أنها نصوص لا يعرفها أهل العلم، ولم يخرجوها في كتبهم لا في الصحاح ولا السنن ولا المسانيد.

ثالثًا: أن القمي إنما هو أحد أعلام الرافضة الذين اتفق أهل العلم على رد روايتهم؛ لأنهم أصحاب بدعة كفرية؛ ولأنهم يستحلون الكذب

---

(١) من لا يحضره الفقيه (٢/ ٣٥٢-٣٥٥).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٣٦٨).

نصرة لمذهبهم"[١].

والقمي هذا إنما هو من سلالة القميين الروافض الذين لقبوا أبا لؤلؤة المجوسي قاتل عمر بن الخطاب بلقب (باب شجاع الدين) واخترعوا له عيدًا سموه (عيد باب شجاع الدين) وهو اليوم التاسع من ربيع الأول بزعمهم.

وأول من نادى بهذا اليوم عيدًا هو أحمد بن إسحاق بن عبد الله بن سعد القمي الأحوص شيخ الشيعة القميين، وأطلق عليه العيد الأكبر، ويوم المفاخرة، ويوم الزكاة العظمى، ويوم البركة، ويوم التسلية"[٢].

والقمي هذا إنما هو من أحفاد الشريف القمي الذي والى التتار، ووقف بجانبهم يوم غزوهم ديار المسلمين"[٣].

ثانيًا: الأدلة من الأحاديث التي يذكرونها على لسان النبي ﷺ وتأويلها حسب رغباتهم وسوق بعض الشبه عليها.

جاء في كتاب (كشف الارتياب في اتباع محمد بن عبد الوهاب، الباب الثالث، الفصل الأول في الشفاعة).

فذكر الشيعي ما خلاصته: أن الاستشفاع بالموتى جائز لا ريب في جوازه. قال: "ذلك أن الله أعطى عباده الصالحين، كالأنبياء والأولياء

---

(١) البينات في الرد على أباطيل المراجعات، محمد الزعبي (٢/ ١٦٩)، د:الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

(٢) مختصر التحفة الاثني عشرية ص٩٠٨-٩٠٩.

(٣) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ٩)، ط:الثالثة ١٩٨٠م، مكتبة المعارف.

والملائكة، الشفاعة، ولا مانع يمنع من أن تطلبهم ما أعطاهم الله".

وقال: "والشفاعة هي الدعاء، فالذي يطلب وليًا أو نبيًا أو ملكًا أن يشفع له فمما يطلب منه أن يدعو له؛ لأن الشفاعة هي الدعاء، والدعاء يجوز طلبه، بلا ريب من الصالحين الأحياء منهم والأموات ولا فرق".

قال: وقد ثبت أن الملائكة يدعون، ويستغفرون للذين آمنوا كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [غافر:٧-٩] ودعاؤهم هذا للمؤمنين هو عين شفاعتهم..."(١).

تلخيص الشبه والحجج وردها:

تلخيص شبه وحجج الشيعة:

أولًا: أن الله قد أعطى عباده الصالحين الشفاعة، ولا مانع من سؤالهم ما أعطوه.

ثانيًا: الشفاعة هي الدعاء، والدعاء يجوز طلبه من الصالحين: الأحياء منهم والأموات، ولا فرق.

---

(١) الصراع بين الإسلام والوثنية لعبد الله علي القصيمي ص٢٠٩، ط:الثانية ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

ثالثًا: قد ثبت في القرآن أن الملائكة يدعون ويستغفرون للمؤمنين، والدعاء والاستغفار لا يخرجان عن معنى الشفاعة، فهم يشفعون.

رابعًا: قد صح أن الجهاد يشفع، كما صح عن علي أنه قال: أشهدوا هذا الحجر (يعني الحجر الأسود) خيرًا، فإنه يوم القيامة شافع مشفع، له لسان وشفتان يشهد لمن استلمه.

خامسًا: لا يمكن القول بأن الله أعطى عباده الشفاعة ومنع طلبهم إياها. فإن الحق لا يكون طلبه باطلًا، ولكن طلب الباطل هو الذي لا يكون إلا باطلًا.

سادسًا: قد تشفع آدم برسول الله قبل خلقه، وتشفع وتوسل رسول الله بمن قبله من الأنبياء، وتشفع الصحابة بالنبي عليه الصلاة والسلام، وتشفع عمر بالعباس، وأقر النبي ذلك الأعرابي الذي قال: إنا نستشفع بك على الله وطلبوا من النبي بعد وفاته أن يستسقي لهم فسقوا. وصح أن الذين يصلون على الجنازة شافعون.

وروى الترمذي عن أنس قال: سألت رسول الله أن يشفع لي يوم القيامة فقال: [**أنا فاعل**].

وطلب سواد بن قارب، وهو صحابي من النبي ﷺ أن يشفع له يوم القيامة.

وقد طلب تبع الحميري من النبي ﷺ أن يشفع له أيضًا يوم القيامة.

وقد علم عثمان بن حنيف في خلافة عثمان رجلًا أن يقول: يا محمد إني

أتوجه بك إلى ربك في حاجتي هذه، وقد فعل الرجل ذلك، فقضيت حاجته.

وقد جاء أن عليًا وأبا بكر على النبي ﷺ وهو ميت وقبلاه، وقال كلاهما: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، اذكرنا عند ربك واجعلنا من همك.

وفي شرح المواهب للزرقاني أن الداعي إذا قال: اللهم إني استشفع إليك بنبيك، يا نبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب له. وقد ذكر العلماء في آداب الزيارة أن الزائر يقول خاطبًا للنبي ﷺ: جئناك لقضاء حقك والاستشفاع بك، فليس لنا ـ يا رسول الله ـ شفيع غيرك، فاستغفر لنا واشفع لنا.

دفع هذه الشبه:

أما الدليل الأول: وهو أن الله أعطى عباده الشفاعة، ولا مانع من طلبها منهم، فالجواب عنه من وجوه:

١- "أن ما أمرهم الله به من ذلك هم يفعلونه، وإن لم يطلب منهم، وما لم يؤمروا به لا يفعلونه، ولو طلب منهم، فلا فائدة في الطلب.

٢- أن دعاءهم وطلب الشفاعة منهم في هذه الحالة يفضي إلى الشرك بهم ففيه هذه المفسدة، فلو قدر أن فيه مصلحة لكانت هذه المفسدة راجحة، فكيف ولا مصلحة فيه بخلاف الطلب منهم في حياتهم وحضورهم فإنه لا مفسدة فيه، فإنهم ينهون عن الشرك بهم، بل فيه منفعة، وهو أنهم يثابون ويؤجرون على ما يفعلونه حينئذ من نفع الخلق كلهم، فإنهم في دار العمل والتكليف، وشفاعتهم في الآخرة فيها إظهار كرامة الله لهم.

٣- أن أصل سؤال الخلق الحاجات الدنيوية التي لا يجب عليهم فعلها

ليس واجبًا على السائل ولا مستحبًا، بل المأمور به سؤال الله تعالى والرغبة إليه والتوكل عليه"(١).

٤- "هل يجوز لكل مسلم أن يسأل كل مخلوق ما أعطاه الله وما ملكه إياه من أنواع الأعطيات الأخرى من القصور والضياع بحجة أنه لا مانع من سؤال الخلق ما أعطوا؛ لأن طلب الحق لا يكون باطلًا، ولأن سؤال الموجود لا يكون ممنوعًا؟ إن كان جواب الشيعي الإيجاب فجواب الناس جميعًا السلب.

٥- ثم يقال له أيضًا: من الذي سلم له بأن الله قد أعطى عباده الصالحين الشفاعة؟ إننا نحن ننكر هذا القول وذاك الزعم، ونقول، بحق لا شك فيه: إن الله لم يعطيهم الشفاعة اليوم ولما يأذن لهم بها حتى الساعة، ولكنه تعالى سوف يعطيهم ذلك يوم القيامة إذا علم المخالف هذا قلنا له أي عاقل يزعم أنه يصح أن يسأل الإنسان ما لم يعط وما لم يملك؟"(٢).

جواب الدليل الثاني:

وهو: (أن الشفاعة هي الدعاء، وأن الدعاء يجوز طلبه من الأحياء والأموات).

نقول: سلمنا أن الشفاعة هي الدعاء، وأن الدعاء هو الشفاعة سواء بسواء. ولكننا لا نسلم جواز طلب الدعاء من الموتى البتة، ونقول: إن هذا هو أصل المسألة ومبدؤها، ولن يجد دليلًا واحدًا يدل دلالة صحيحة على

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١/ ١٨٠) وما بعدها.

(٢) الصراع بين الإسلام والوثنية (٢/ ٣٠١).

جواز طلب الدعاء من الأموات، بل الأدلة تضافرت على أن دعاء الأموات شرك كقوله سبحانه: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[فاطر:١٤]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾[الأحقاف:٥].

جواب الدليل الثالث:

وهو: (أن الملائكة يدعون للمؤمنين، وأن دعاءهم شفاعة...).

نقول: الملائكة يستغفرون ويدعون للمؤمنين من غير أن يسألهم أحد.

"ثم إنهم لا يصح سؤالهم الشفاعة لدلائل كثيرة منها:

- أنهم لا يسمعون سؤال من سألهم.

- لأن في سؤالهم ما يدعو إلى الغلو فيهم وفساد الاعتقاد والإيمان.

- ولأنهم يقومون بما أمرهم الله به وبوظائفهم سواء أطلبوا أم لم يطلبوا، فطلب ذلك سفه وعبث وجهالة، ودين الله لا يأمر بذلك.

- لأنه من عالم الغيب، ولا يجوز للمؤمن أن يتصل بعالم الغيب إلا من طريق الدين والرسالة الإلهية.

- ولأن الرسول ﷺ وأصحابه لم يحاولوا دعاءهم والاستشفاع بهم قط. ولو كان ذلك مشروعًا مثابًا فاعله لما جاز أن يتركوه البتة.

وإننا نطلب إلى المخالفين جميعًا أن يرونا دليلًا واحدًا يذكر أن الرسول ﷺ أو أحد الأئمة الراشدين طلب من ملك شفاعة أو دعاء.

ولأن الاتصال بالملائكة وسؤالهم هو كالاتصال بالجان وسؤالهم، كلاهما فيه خطر على العقيدة وطغيان على مكان الإيمان، فإن من أجاز لنفسه سؤال الملائكة أو الجان الشفاعة، فقد تجيز له نفسه يومًا ما هو فوق ذلك من عبادتهم ووصفهم بما ليس لهم من أوصاف الربوبية"(١).

جواب الدليل الرابع:

وهو: (أنه صح أن الجماد يشفع، وأن الحجر الأسود يشفع...).

الجواب: هذا الدليل نقض لما تقدم من الأدلة وذلك من وجوه:

١- أن المقدمة التي يبني عليها الرافضي الشيعي دليله الأول والثالث وهي أن الله أعطى لعباده الشفاعة ولا بد من طلبها منهم فهو أيضًا أعطى الحجر الأسود والجمادات الشفاعة فهل يقول عاقل أنها تطلب منهم.

٢- أن الرافضي لا بد له من مسلكين في هذه الحالة، وكلها تدينه، فهو إما أن يقول: يجوز الاستشفاع بالجمادات وهذا فاسد عقلًا، وفي هذه الحالة نقول إن على دينه العفاء. وإما أن يقول: لا يجوز الاستشفاع بالجمادات ولا طلب الشفاعة منهم وبهذا يسقط الدليل.

جواب الدليل الخامس:

وهو: أنه لا يمكن أن يقال: إن الله أعطى عباده الشفاعة ومنع طلبها منهم فنقول تقدم بطلان هذه الشبهة في جواب الدليل الأول والثاني.

---

(١) الصراع بين الإسلام والوثنية (٢/ ٣٠٣).

جواب الدليل السادس:

وهو: (الأخبار المذكورة).

فالجواب عنها أن نقول:

أما الحديث الأول: وهو قوله إن آدم تشفع برسول الله قبل خلقه فهو يعني به حديث: [**لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله...**][١].

قال شيخ الإسلام في التوسل والوسيلة[٢]: "ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه"، قال الذهبي عن الحديث: "موضوع".

أما قوله: "وتشفع الصحابة بالنبي ﷺ، فهو يشير به إلى ما روي أن أهل المدينة قحطوا فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها فقالت: انظروا إلى قبر رسول الله فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا مطرا غزيرًا.

والكلام على هذا الخبر من ناحيتين: ناحية إسناده وناحية معناه.

أما إسناده فهو من حديث محمد بن الفضل السدوسي المعروف بعارم عن سعيد بن زيد أخي حماد بن زيد الإمام المشهور عن عمرو بن مالك النكري عن أبي الجوزاء أوس بن عبد الله الربعي عن عائشة رضي الله عنها هكذا رواه

---

(١) انظر سلسلة الضعيفة (١/ ٣٨) رقم ٢٥. قال الألباني: موضوع أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٥).

(٢) ص٦٩.

الدارمي في سننه[١]، وهذا الإسناد فيه قوادح أربعة:

١- أن محمد بن الفضل المعروف بعارم قال عنه الذهبي[٢] شيخ البخاري ثقة اختلط بآخره قال العقيلي وابن حبان اختلط آخر عمره، وكذا في ميزان الاعتدال[٣] قال جزء حديثه قبل الاختلاط وجزء منه بعده. وهذا الحديث لا يدرى من أي قسم.

٢- سعيد بن زيد، قال الحافظ الذهبي[٤]: ضعيف، قال السعدي: ليس بحجة يضعفون حديثه.

٣- عمرو بن مالك النكري مجهول[٥].

٤- أن رواية أبي الجوزاء عن عائشة مرسلة؛ لأنه لم يلقها ذكره البخاري وابن عدي. فهذه الرواية فيها من القوادح ما يمنع صحتها.

أما المتن: فإنه مخالف لعمل الرسول ﷺ وأصحابه ﵃ والمسلمين من بعده عند القحط وانحباس السماء والماء، فإن الرسول ﷺ وأصحابه والمسلمين كانوا إذا اشتد عليهم القحط فزعوا إلى صلاة الاستسقاء وهي

---

(١) باب ما أكرم الله تعالى نبيه ﷺ بعد موته، حديث رقم ٩٣ (١/ ٢٢٧)، تحقيق حسين سليم.

(٢) انظر: المغني في الضعفاء (٢/ ٧٧٩) رقم ٧٣٨٩، حققه نور الدين عتر، ١٩٧١م، دار المعارف.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي (٤/ ٨) رقم ٨٠٥٧، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي.

(٤) المرجع السابق (٢/ ١٣٨)، كذا الكامل في الضعفاء ص٣٧٦، دار بيروت للطباعة والنشر.

(٥) المرجع السابق (٣/ ٢٢٠).

معروفة في كتب الحديث والفقه[(١)].

(وقد قحطوا في عهد الرسول ﷺ وطلبوا منه أن يستسقي لهم مرات عدة، فكان يستسقي تارة بالصلاة والدعاء في الخلاء، وتارة بالدعاء وهو فوق المنبر يخطب، وتارة وهو جالس يدعو ويستسقي، ولكنه لم يقل مرة واحدة: إنه يكفيكم أن أبرز بدني إلى السماء أو يبرز قبري كما زعم هذا الخبر الضعيف.

ثم هذا الخبر على فرض صحته فليس فيه دلالة على ثبوت الشيعة في زعمهم أن الصحابة قد تشفعوا برسول الله والاستشفاع كما ذكر هو الدعاء، ولكن هذا الخبر ليس فيه طلب ولا استشفاع لا من النبي ولا من الله ولا من أحد، غاية ما هنالك أن فيه إبراز القبر وفتح كوة منه إلى السماء، ولا يمكن أن يكون هذا دعاء إلا أن يسميه الشيعي وليست ببعيدة عليه أن هذا دعاء فعلي وعندها يكون قد خسر كل شيء حتى المفاهيم العامة للألفاظ؛ لأن الدعاء طلب فهو جملة إنشائية ولا يمكن أن تكون فعلية.

- أما قوله: "وتشفع عمر بالعباس".

فالجواب أن يقال: إن المراد قول عمر بن الخطاب: "اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا"؛ أي بدعائه وشفاعته.

---

(١) انظر: حاشية الروض المربع (٢/ ٥٤١)، سبل السلام للصنعاني (٢/ ١٣٨)، مطابع جامعة الإمام.

- وقوله: ﴿ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[المائدة:٣٥] أي القربة إليه بطاعته، وطاعة رسوله طاعته.

قال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[النساء:٨٠] فهذا التوسل بطاعته والإيمان لا ينكره أحد من المسلمين.

أما التوسل بدعائه وشفاعته فإنه توسل بدعائه لا بذاته؛ ولهذا عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بعنه العباس، ولو كان التوسل هو بذاته لكان هذا أولى من التوسل بالعباس، فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس، علم أن ما يفعل في حياته قد تعذر بموته)[١] ثم إن هذا الدليل ليس في محل النزاع؛ لأن ابن عباس كان حيا سويًا حينما استسقى به عمر، وإنما النزاع في الأموات.

- وأما قوله: "وصح أن الذين يصلون على الميت شافعون".

فالجواب: أن هذا مثل الذي قبله؛ لأن الذين يصلون أحياء، ولا نزاع في أنهم يستشفعون ويشفعون بلا خلاف.

- وأما قوله: "وروى الترمذي عن أنس بن مالك أنه قال: سألت رسول الله أن يشفع لي يوم القيامة فقال: أنا فاعل".

فالجواب: قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٢٠١).

(٢) جامع الترمذي، ك.صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصراط رقم ٢٤٣٣ (٤/ ٥٣٧).

- ثم إن هذا الحديث على تقدير صحته، خارج عن محل النزاع أيضًا؛ لأن أنسًا طلب الشفاعة من النبي عليه الصلاة والسلام وهو حي، وهذا لا نزاع فيه.

وقد أورد بعض الشيعة شبهة على هذا الحديث فقال:

"فإن قيل: هذا لا يوافق ما ذكرتموه من أنه لا يشفع أحد لأحد عند الله إلا بعد إذنه بالشفاعة، وبعد رضاه عن المشفوع له، وما ذكرتم من أن من استحق الشفاعة نالها سواء أطلبها أم لم يطلبها، ومن لم يستحقها فلن تناله وإن طلبها وأوغل في الطلب مما ذكرتم ، والجواب عن شبهته أن يقال: هذا الذي ذكرناه صحيح لا غبار عليه، وقد شهد له الدين جملة وتفصيلًا.

- أما الحديث على تقدير ثبوته فيقال فيه:

١- لعل أنسًا لم يعلم ذلك حين طلب من النبي ﷺ.

٢- أما إقرار النبي ﷺ فلعله يريد بذلك الشفاعة العامة التي ستنال كل من مات لا يشرك بالله شيئًا، أو لعل هذه الشفاعة التي طلبها أنس شفاعة خاصة به دون الجميع جزاء خدمته لرسول الله ﷺ، وهذا كله لا مانع منه دينا ونظرًا"[(١)].

- أما قوله: "وطلب سواد بن قارب من رسول الله أن يشفع له يوم القيامة بقوله: فكن لي شفيعًا... البيت".

---

(١) الصراع بين الإسلام والوثنية (٢/ ٣٠٩).

الجواب: أن هذه القصة ضعيفة الإسناد، ولهذا لم يرو القصة أحد من أصحاب الصحاح أو السنن أو المسانيد، ولا أحد من المؤلفين في الصحيح المتحرين، إنما رواها الطبراني في المعجم وهو يروى الضعيفات والموضوعات ورواها أبو نعيم في دلائل النبوة بإسناد واه.

وعلى فرض الصحة فهو خارج عن محل النزاع كما سبق(١).

- أما ما ذكره عن تبع الحميري فيقال في الجواب: وأين الإسناد لذلك؟ ومن الذي رواه من أهل العلم والدراية والرواية والمعرفة؟ فإن استطاع هذا المخالف أن يصحح هذا الخبر، وأن يقيم له إسنادًا مقبولًا ورواية قائمة ساغ له أن يحتج به، وأن يرد به على من خالفه، وأن يؤول لأجله آيات الكتاب، وأحاديث السنة، أما بغير ذلك فلن يعبأ به.

- وأما حديث عثمان بن حنيف: أنه علم رجلًا في خلافة عثمان أن يقول في دعائه: يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك في حاجتي هذه لتقضى... فعلل هذا الحديث تتلخص فيما يأتي:

أولا: جهالة أبي جعفر هذا المتفرد به عن عمارة بن خزيمة وعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف واختلاف الناس فيه(٢)، إذ زعم فريق أنه الخطمي

---

(١) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي (١٠/ ٢٥)، دار الكتب العلمية، والترمذي: باب أحاديث شتى من أبواب الدعوات، باب رقم ٧ حديث رقم ٣٨١٣، ولم يذكره الألباني في صحيح الترمذي.

(٢) التهذيب (٤/ ٢٦١، ٢٦٤، ٤١٢).

وادعى فريق آخر أنه سواه بحيث لم يظهر لنا نحن القول الصحيح من القولين والحق من الباطل، حتى وجدنا التوقف والوقوف بين القولين هو المذهب والمصير الصحيح(١).

ثانيًا: تفرد هذا الراوي المجهول المختلف فيه به، دون غيره من أقرانه، وممن هم أكثر منه حديثًا وتحديثًا.

ثالثًا: تفرد عثمان به بحيث لم يُحفظ أنه روي عن غيره من الصحابة لا عمن هم أكثر منه رواية، ولا عن ذلك الأعمى، ولا عن أقاربه وعارفيه ممن عرفوا القصة.

رابعًا: غرابة معنى الحديث وشذوذه عن مألوف المسلمين، فإن سؤال الله بخلقه لم يعهد مثله في كتاب الله ولا في سنة رسول الله"(٢).

وأما ذكره أيضًا عن أبي بكر وعلي من أنهما أكبا على النبي ﷺ وهو ميت وقبلاه...

فالجواب: يعوز هذا النقل الإسناد والصحة، فإن الرواية بغير إسناد لا تقبل عندنا في دين الله، والإسناد هو الفاصل بين الحق والباطل، وهو الفيصل بين الصدق والكذب.

---

(١) وقد عثرت على هذا الحديث في صحيح الترمذي للألباني أحاديث شتى من أبواب الدعوات باب رقم ٧ حديث رقم ٢٨٣٢ (٣/ ١٨٢) وصحيح ابن ماجه رقم ١٣٨٥.

(٢) انظر: الصراع بين الإسلام والوثنية (٢/ ٦٠٤-٦٣٧)، كذا جلاء العينين في محاكمة الأحمدين لنعمان خير الدين ص٥١٧، مطبعة المدني.

نعم جاء في صحيح البخاري[١] أن أبا بكر الصديق ﷺ دخل على رسول الله حين توفي وقال: بأبي أنت وأمي طبت حيًا وميتًا، والله لا يذيقك الله الموتتين أبدًا، وأكب عليه وقبله.

وعلى فرض صحة هذا النقل فإنه لا يدل على جواز الاستشفاع بالموتى وطلب الدعاء منهم.

- ذلك أن الذين ذكروا هذا النقل كصاحب (المواهب اللدنية) ذكروا معه أن الناس حين بغتوا بخبر وفاة النبي ﷺ طاشت عقولهم فمنهم من خبل، ومنهم من أقعد فلم يستطع القيام، ومنهم من أخرس... الخ، وأن أبا بكر كان أثبتهم، وقال مقولته.

أقول: ساعة تصل فيها العقول والقلوب والنفوس إلى هذا الحد من القلق والاضطراب لا يصح أن يحتج بالكلام الذي يقع فيها، والألفاظ التي تتساقط من حولها، وتعتقد القلوب ما لا يصح وما لا يمكن أن تعتقده لو كانت مالكة لصوابها، فكيف يؤخذ بهذه العبارات في مقام كهذا.

- فإن قيل: إن الرواية التي رواها البخاري وأقررتموها دليل على جواز خطاب الموتى، وخطابهم دليل على سماعهم.

الجواب: أن الخطاب لم يوضع أصلًا في اللسان ليوجه إلى من يسمع دون من لا يسمع، أو إلى الحاضر دون الغائب... الخ، بل وجه إلى السامع

(١) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: [لو كنت متخذا خليلا] فتح الباري، وفي كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه (٧/ ٣٦٥).

وغير السامع والقريب والبعيد، والدلائل على ذلك كثيرة:

- منها: أنه يشرع السلام على أهل القبور: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين.

- وقول نبي الله لقومه بعد أن أخذتهم الرجعة: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ... ﴾ [الأعراف:٧٩].

وهذا يعمله الخاصة والعامة من الشعراء والبلغاء من خطاب الجمادات من شجر وبحر، ولكن الذي ننكره هو خطاب الطلب والسؤال الذي فيه رجاء وخوف وخشوع.

- أما ما ذكر عن شرح المواهب للزرقاني من أن الداعي إذا قال: اللهم إني...

الجواب: أنه ليس ما كتب حجة على المسلم وإن الضلال والخطأ يطبع وينشر..."(١).

ومن هذه الردود على هذه الشبه يتضح الموقف، وتندفع تلك المفتريات التي آمن بها الرافضة دون أن يكون لهم دليل صحيح يعتد به في مجال كهذا المجال الذي يمس العقيدة، وتطلب فيه الأدلة الصحيحة الصريحة التي لا يتطرق إليها البطلان، ومن تأمل ما ذكروه وما ذكرته في

---

(١) انظر: الصراع بين الإسلام والوثنية (٢/ ٣١٢-٣٢٠).

الرد عليهم يتضح له بجلاء فساد مذهبهم، وضعف حجتهم، وأنه يعوزهم على ما قالوا البرهان وإنما أعرضت عن الرد على الأدلة التي من كتبهم لوضوح الأمر في ذلك من أنهم قد وضعوها موافقة لمذهبهم.

ويحسن هنا أن أنقل ما ذكره صاحب كتاب الشيعة في الميزان حيث يقول: "إن الشيعة وضعوا الأحاديث لإيراد الشك والشبهات حول صحة السنة ومن هنا يقول شريك بن عبد الله القاضي ـ وقد كان معروفًا بالتشيع مع الاعتدال فيه ـ: (احمل عن كل من لقيت إلا الرافضة، فإنهم يضعون الحديث، ويتخذونه دينًا) وقال الشافعي: (ما رأيت في أهل الأهواء قومًا أشهد بالزور من الرافضة)[1].

وأختم الحديث عن الشيعة بذكر بعض أقوال السلف فيهم:

(قال الإمام مالك: "اثنان محب مفرط ومبغض مفرط".

وقال ﷺ: "يخرج آخر الزمان قوم ينتحلون شيعتنا، وليسوا من شيعتنا لهم نبز يقال لهم الرافضة فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإنهم مشركون".

وقال عامر الشعبي: "الترفض سلم الزنا".

ويقال: إن الروافض أشد ضلالًا وأكثر فتنة من الشيطان؛ لأن الشيطان يوسوس في صدور الناس ويضلهم خفاء، فإذا مات الإنسان تركهم، ولا يلتفت إلى الموتى أصلًا.

---

(١) الشيعة في الميزان لمحمد يوسف ص١١٦، دار المدني.

والروافض يوسوسون علانية، ويضلهم ضلالًا شديدًا بتمويه الباطل بماء الحق فإذا لم يظفر إليهم ومات ذلك الإنسان نصب نفسه للعن والسب والشتم إليهم فلا يفلح أحياء المسلمين من إضلالهم وإفسادهم، ولا أموات المؤمنين مَن هم أشد من شياطين الجن والإنس)[(١)].

تعقيب:-

وقبل أن نطوي هذه الصفات الخاصة بالشيعة رأيت أنه من الإنصاف أن نوضح ما قد يعد تناقضًا عند القراءة لبعض الكتب التي تخالف هذا المنحى.

فإنه قد وقع في كتاب (عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي) ما ذكره الكاتب من موقف الشيعة من الشفاعة فيقول:

"إن بين فرق الشيعة اتفاقًا حول إنكار الشفاعة: إلا أن دوافع بعض الفرق حول إنكار الشفاعة يختلف عن دوافع بقية الفرق الشيعية الآخر...

ولقد اتفقت الزيدية مع المعتزلة حول إنكار الشفاعة لأصحاب الكبائر ولكن إذا كان دافع المعتزلة لإنكار الشفاعة دافعًا عقليًا، فإننا نلاحظ أن دافع الزيدية كان سياسيًا..."[(٢)].

---

(١) رسالة تكفير الشيعة الشنيعة لمطهر بن عبد الرحمن بن علي بن إسماعيل، مخطوط نسخة مصورة بالفتوستات من الأصل المحفوظ في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ٢١٤ بجامعة الملك سعود. (ميكروفيلم).

(٢) د. محمد أحمد عبد القادر ص٢٤٥، تقديم د. أحمد محمود صبحي ١٩٨٦م، دار المعرفة.

وهنا لن ننقض كلام الكاتب بمجرد الرأي والهوى ولا الميل لعاطفة معينة وإنما لأن الحق أحق أن يتبع.

يقول صاحب التفسير والمفسرون:

"ولا يلتزم الطبرسي[١] القول بكل معتقدات المعتزلة، بل تراه يخالفهم في كثير من الأحيان، ويرد عليهم معتقداتهم، ويجادلهم فيها جدالًا عنيفًا قويًا، فمذهب الطبرسي في الشفاعة مثلًا يخالف مذهب المعتزلة، ولهذا نراه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾[البقرة:٤٨].

يقول ما نصه: ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ﴾ قال المفسرون: حكم هذه الآية مختص باليهود؛ لأنهم قالوا: نحن أولاد الأنبياء، وآباؤنا يشفعون لنا، فأيأسهم الله عن ذلك فخرج الكلام مخرج العموم المراد به الخصوص، ويدل على ذلك أن الأمة اجتمعت على أن للنبي ﷺ شفاعة مقبولة، وإن اختلفوا في كيفيتها، فعندنا هي مختصة بدفع المضار وإسقاط العقاب عن مستحقيه من مذنبي المؤمنين.

وقالت المعتزلة: هي في زيادة المنافع للمطيعين والتائبين دون العاصين، وهي ثابتة عندنا للنبي ولأصحابه المنتخبين، وللأئمة من أهل بيته الطاهرين ولصالحي المؤمنين، وينجي بشفاعتهم كثيرًا من الخاطئين،

---

(١) في مجمع البيان لعلوم القرآن.

ويؤيده الخبر الذي تلقته الأمة بالقبول وهو قوله: [**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**][(١)] وما جاء في روايات أصحابنا ﵃ مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه قال: [**إني أشفع يوم القيامة فأشفع، ويشفع علي فيشفع، ويشفع أهل بيتي فيشفعون، وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع في أربعين من إخوانه كل قد استوجب النار**][(٢)].

وقوله مخبرًا عن الكفار عند حسراتهم على الفائت لهم مما حصل لأهل الإيمان من الشفاعة ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾[الشعراء:١٠٠-١٠١].ا.هـ[(٣)].

وبعد فإن المتأمل لهذا النص يجد الفرق شاسعًا بين الشيعة والمعتزلة في الشفاعة، بل إن أصول كل منهما مختلف، فحين تجعل الشيعة الشفاعة للعاصين نجد المعتزلة تجعلها للتائبين.

ولعل في هذا النقل الكفاية في إيضاح المسألة.

وأود هنا أن أوضح أمرًا هو أن الزيدية من الشيعة هم الذين يقولون بقول المعتزلة، كما صرح بهذا شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "وأما شفاعته لأهل الذنوب فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين وأنكرها كثير من أهل

---

(١) أخرجه الترمذي رقم ٢٥٦٦.

(٢) بحار الأنوار (٨/ ٣٠).

(٣) انظر: مجمع البيان لعلوم القرآن (١/ ٤٥) نقلا عن التفسير والمفسرون (٢/ ١٣٥) وما بعدها.

البدع من الخوارج والمعتزلة والزيدية"[١]، وكذا ابن حزم في الفصل حيث قال: "وذهب أهل السنة والأشعرية والكرامية وبعض الروافض إلى القول بالشفاعة"[٢]، ومما يوضح الأمر من أصوله ما ذكره صاحب الفرق الإسلامية حيث يقول: "فإنه فيما يتعلق بارتكاب الكبائر فإن الزيدية قد أجمعوا على أن أصحاب الكبائر معذبون في النار، وأنهم خالدون فيها أبدًا، ولا يخرجون منها، وهم في هذا كالمعتزلة والخوارج"[٣].

ونحن هنا نقول: ربما التبس على الكتاب فجعل قول عموم الشيعة مثل قول الزيدية إلا أننا حين نطالع باقي البحث نجد أنه يفند أقوال الشيعة إلى اثنا عشرية وزيدية بما يوحي بقلة التعمق في هذه المسألة ولعل عذره أنه كاتب فلسفي وليس من كتاب العقائد.

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١٤٨).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١١١).

(٣) تاريخ الفرق الإسلامية لعلي مصطفى الغرابي ص٣٠٧، ط:الأولى ١٩٤٨م، مطبعة السعادة.

الفصل الثاني
الشفاعة عند الخوارج

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بهم.

المبحث الثاني: قول الخوارج في الشفاعة.

المبحث الثالث: أدلتهم.

تمهيد

إن كلمة الخوارج أطلقت على أولئك النفر الذين خرجوا على علي بن أبي طالب ﷺ بعد قبوله التحكيم عقب معركة صفين حيثُ اعتبر هؤلاء التحكيم خطيئة تؤدي إلى الكفر، ومن ثم طلبوا من علي أن يتوب من هذا الذنب، وانتهى الأمر بأن خرجوا من معسكره(١). وقد قبل الخوارج هذه التسمية، ولكنهم فسروا الخروج بأنه خروج من بيوتهم جهادًا في سبيل الله وفقًا لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[النساء: ١٠٠].

وقد أُطلق على الخوارج أيضًا اسم (الشراة) وربما يكونون هم الذين وصفوا أنفسهم بذلك؛ لأنهم يزعمون أنهم باعوا أنفسهم لله، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[البقرة:٢٠٧].

وسموا أيضًا بالحرورية لانحيازهم في أول أمرهم إلى قرية (حروراء) بالقرب من الكوفة، كما سموا أيضًا بالمحكمة؛ لرفعهم شعار لا حكم إلا لله والتفافهم حوله(٢).

---

(١) انظر لمعرفة تاريخ نشأة الخوارج البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٥١)، ط:الثانية ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م، مكتبة المعارف.

(٢) لمزيد من التعرف على أسماء الخوارج انظر: الخوارج في العصر الأموي لنايف محمود معروف ص١٨٧، ١٩٤، دار الطليعة للطباعة والنشر، والحور العين ص٢٠٠.

ومهما يكن من شيء فإن اسم (الخوارج) في معناه الأول الذي يشير إلى الانشقاق ومفارقة الجماعة، أصبح الاسم السائر على هذه الجماعة. وإذا كان اسم الخوارج قد أطلق على جماعة معينة ظهرت في الفترة التي أعقبت التحكيم فإن الاتجاه الخارجي الذي مثله هؤلاء الخوارج قد وردت الإشارة إليه في أحاديث عديدة، كما ظهر أفراد على عهد رسول الله ﷺ يمثلون هذه الظاهرة[1] واعتبروا من ثم سلفًا للخوارج المتأخرين.

وفي هذه العجالة لا يسعنا إلا أن نطوي الحديث عن التعرض لكل فرقة من فرق الخوارج، ولكن نكتفي بالكلام على أشهرها وهي ما يأتي:

أولًا: الأزارقة.

وهم أتباع نافع بن الأزرق المتوفي سنة ٦٠هـ، وهم يكفرون من عداهم من المسلمين، ويعتبرون دارهم دار حرب.

ثانيًا: النجدات.

وهم أتباع نجدة بن عامر قتله أصحابه سنة ٦٩هـ، وهم يرون أنه لا حاجة للناس إلى إمام قط، بل عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن رأوا أن الحاجة تدعو إلى إمام أقاموه وإلا فلا، كما أنهم يكفرون من يقول بإمامة نافع بن الأزرق.

---

(١) أمثال ذيالخويصرة، انظر: دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة لأحمد جلي ص٣٨، ط:الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

ثالثًا: الصُّفْرِيَّة.

وهم أتباع زياد بن الأصفر، وهم يقولون بأن أصحاب الذنوب مشركون. وقولهم في الجملة كقول الأزارقة في أن أصحاب الذنوب مشركون، غير أنهم لا يريدون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم.ا.هـ[١].

رابعًا: الإباضية.

وهم أتباع عبد الله بن إباض، وهم يجمعون على أن مخالفيهم من المسلمين ليسوا مشركين ولا مؤمنين ولكنهم كفار، ويروى عنهم أنهم يريدون كفر النعمة، وأنهم ينكرون أنهم خوارج.

ومما هو معلوم أن أول من خرج على أمير المؤمنين علي ﵁ جماعة ممن كانوا معه في حرب صفين، وأشدهم خروجًا عليه ومروقًا من الدين: الأشعث بن قيس الكندي، ومسعر بن فدكر التميمي، وزيد بن حصين الطائي، حين قالوا: القوم يدعوننا إلى كتاب الله! انفروا إلى بقية الأحزاب! انفروا إلى من يقول: كذب الله ورسوله، أنتم تقولون: صدق الله ورسوله فقالوا لعلي ﵁: لتُرْجِعَنَّ الأشتر عن قتال المسلمين، وإلا فعلنا بك مثل ما فعلنا بعثمان، فاضطر إلى رد الأشتر بعد أن هزم الجمع، وولوا مدبرين وما بقي منهم إلا شرذمة قليلة فيهم حشاشة قوة، فامتثل الأشتر أمره، وكان من أمر الحكمين أن الخوارج حملوه على التحكيم أولا. وكان يريد أن يبعث عبد الله بن عباس ﵄ فما رضي الخوارج بذلك، وقالوا هو منك. وحملوه

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي ص٩٠.

على بعث أبي موسى الأشعري ﷺ على أن يحكم بكتاب الله تعالى. فجرى الأمر على خلاف ما رضي به، فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه وقالوا: لم حكمت الرجال؟ لا حكم إلا لله؟[(١)].

أما الأحاديث التي تشير إلى أوصاف الخوارج، والأمر بقتالهم، وذمهم فقد صحت هذه الأحاديث بأوجه عديدة بلغت عشرة أوجه كما ذكر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وقد خرجها مسلم في صحيحه، وخرج البخاري طائفة منها[(٢)].

فمن هذه الأحاديث: حديث أبي سعيد الخدري أنه قال: [بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها، قال فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة بن علاثة وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بها من هؤلاء، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: [**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحً ومساء**]. قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية، محلوق الرأس، مشمر الإزار، فقال: يا رسول الله اتق الله، فقال ويلك، أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله. قال: ثم ولى الرجل، فقال

---

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١١٤)، الكامل للمبرد (٣/ ١٢٢٠) دراسة عن الفرق أحمد جلي ص٣٥، والتفسير والمفسرون للذهبي (٢/ ٣٠٢)، والخوارج لمصطفى حلمي، ط: الأولى ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م، دار الأنصار.

(٢) مجموع الفتاوى (ابن تيمية) (٧/ ٤٩٧).

خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه، فقال: لا لعله أن يكون يصلي، قال خالد: فكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه. فقال رسول الله ﷺ: [**إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم**]، قال: ثم نظر إليه وهو مقف وقال: إنه يخرج من ضئضئ[(١)] هذا القوم يتلون كتاب الله رطبًا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. قال: أظنه قال: لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود][(٢)].

ومما ورد في صفتهم حديث أبي سعيد الخدري: [**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**][(٣)].

وعنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [**يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، تنظر في النصل[(٤)] فلا ترى شيئًا، ثم تنظر في القدح فلا ترى شيئًا، ثم تنظر في الريش فلا ترى شيئًا وتتمارى في الفوق[(٥)]**][(٦)].

---

(١) ضئضئ: أي من أصله ونسله. لسان العرب (٢٠٣/ ١).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٧/ ١١١)، وصحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ (٤/ ١٠٨).

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٢، ٤٦٦٧) مختصرًا، ومسلم ك.١٢ ب.٤٧ برقم ١٠٦٤.

(٤) النصل: القدح.

(٥) الفوق: أجزاء السهم المرمي به.

(٦) أخرجه البخاري ك: المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام رقم ٣٦١٠.

وعن سعيد بن جمهان قال:

"كنا نقاتل الخوارج، وهم في ذلك الشط، ونحن من ذا الشط قال: فناديناه أبا فيروز ويحك هذا مولاك عبد الله بن أبي أوفى، فقال: نعم الرجل لو هاجر، فقال: ما يقول عدو الله؟ فقلنا: يقول: نعم الرجل لو هاجر، فقال: هجرتي مع رسول الله ﷺ، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [**طوبى لمن قتلهم أو قتلوه، طوبى لمن قتلهم، أو قتلوه**](١)".

وهنا يحسن بنا أن ننقل بعض عبارات علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الخوارج لما سمع قولهم لا حكم إلا لله، قال عليه السلام: "كلمة حق يراد بها باطل. نعم إنه لا حكم إلا لله. ولكن هؤلاء يقولون لا أمر إلا لله"(٢).

أما معتقداتهم فقد لخصها الشيخ د. صالح الفوزان:

١- أنهم لا يلتزمون بالسنة والجماعة ولا يطيعون ولي الأمر، ويرون أن الخروج عليه من الدين، وأن شق العصا من الدين عكس ما أوصى به الرسول ﷺ من لزوم الطاعة، وعكس ما أمر الله به في قوله: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[النساء:٥٩].

فقد جعل الله جلا وعلا طاعة ولي الأمر من الدين، كذلك النبي ﷺ

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٨٢) وحسنه الألباني في تخريجه لكتاب السنة لأبي أبي عاصم (٩٠٦)، وانظر كذلك المنتقى من شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للآلكائي، اختصره أبو معاذ محمود بن إمام من منصور آل موافي ص٢٩.

(٢) نهج البلاغة (١/ ٩٣) شرح محمد عبده، دار المعرفة.

فقال: [**وأوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا**](١).

٢- ويرون أن مرتكب الكبيرة كافر، ومرتكب الكبيرة هو الزاني مثلًا يرون أنه كافر في حين أن أهل السنة والجماعة يرون أنه مسلم ناقص الإيمان، ويسمونه بالفاسق المليِّ، فهو "مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته".

٣- والخوارج يقولون: مرتكب الكبيرة كافر، ولا يغفر له، وهو مخلد في النار، وهذا خلاف ما جاء في كتاب الله، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[البقرة:١٧٨] وقال: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾[الحجرات:٩] والسبب في ذلك أنهم ليس عندهم فقه، ولهذا وصفهم النبي ﷺ لأصحابه، بأن الصحابة يحقرون صلاتهم إلى صلاتهم، وعبادتهم إلى عبادتهم، ثم قال ﷺ: [**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**](٢)(٣).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٤/ ١٢٦)، والترمذي برقم ٢٦٧٦، وأبو داود (٤٦٠٧)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨١)، والبغوي في شرح السنة (٢٠٥).

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه أحمد (٣/ ٧٣)، والبخاري (٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤)، والنسائي (٢٥٧٧)، وأبو داود (٧٤٦٤).

(٣) انظر للاستزادة: لمحة عن الفرق الضالة ص٣٥، ط:الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م، دار السف، كذلك أهم الفرق الإسلامية لمحمد الطاهر النفير ص٦٠، تحقيق كمال الحوت، الشركة التونسية.

وختامًا فإن جملة ما خالف فيه الخوارج أهل السنة:

١- الحكم على مرتكب الكبيرة بأنه كافر في الدنيا مخلد في النار يوم القيامة.

٢- القول بأن العمل جزء من الإيمان، ومغالطتهم في هذا، حتى ساووا بين الخطأ في العمل، والخطأ في الاعتقاد.

٣- إلزامهم الناس باعتناق آرائهم بحد السيف مع مخالفة ذلك لقواعد الإسلام.

٤- خروجهم على السلطان دفاعًا عن آرائهم، مع مخالفة ذلك لقول النبي ﷺ: [**ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فقالوا: يا رسول الله، أفلا نقاتلهم؟ قال: لا ما أقاموا الصلاة**][١].

والخوارج من أكثر الفرق مغالاة، وقد كلفوا الأمة الإسلامية كثيرًا من الدماء والأموال.

---

(١) رواه مسلم ك٣٣ ب١٦ رقم ٦٢.

المبحث الأول: التعريف بهم

تعريف الخوارج لغة:

إذا نظرنا إلى مادة خرج في اللغة نجد أن كتب اللغة تكاد تجمع على معنى هذه الكلمة.

فابن منظور يقول عن مادة خرج:

"خرج: الخروج نقيض الدخول، وخرجت خوارج فلان، إذا ظهرت نجابته، وتوجه لإبرام الأمور وإحكامها.

والخارجي: الذي يخرج، ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم.

والخارجية: خيل لا عرق لها في الجودة، فتخرج سوابق، وهي مع ذلك جياد. وقيل الخارجي: كل ما فاق جنسه ونظائره.

قال ابن الأعرابي: معنى خرجها أدبها كما يخرج المعلم تلميذه.

والخوارج: الحرورية. والخارجية: طائفة منهم لزمهم هذا الاسم لخروجهم عن النار"[(١)].

أما صاحب المنجد[(٢)] في اللغة والإعلام فقد وافق ابن فارس[(٣)] في بعض عباراته فقالا:

---

(١) لسان العرب (١/ ٨٠٧).

(٢) لويس معلوم ص١٧٢-١٧٣، ط:٢٣، دار المشرق-بيروت.

(٣) مقاييس اللغة ص٣١٣.

إن الخارجي: هو من يسود نفسه من غير أن يكون له قدم في السيادة، وهو الذي يقال في الرجز: نفس عصام سودت عصامًا أو هو الشجاع، وهو ابن جبان.

أما عن أصل الكلمة - الخاء والراء والجيم - فقد قال فيه ابن فارس في مادة خرج: "الخاء والراء والجيم أصلان، وقد يمكن الجمع بينهما.

فالأول: النفاذ من الشيء، والثاني: اختلاف لونين"(١).

أما عن معنى هذه الكلمة في آيات القرآن، فيقول الراغب الأصبهاني: "مادة خرج خروجًا: برز من مقره أو حاله، سواءً كان مقره دارًا أو بلدًا أو ثوبًا.

والخارجي: الذي يخرج بذاته عن أحوال أقرانه، سواء كان حاله في نفسه أو في أسبابه الخارجية.

قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾[القصص:٢١].

أما صاحب تاج العروس فإنه يذكر أسبابًا أخرى لتسمية الخوارج بهذا الاسم فيقول: "الخوارج قوم من أهل الأهواء، لهم مقالة على حدة، وهم الحرورية والخارجية، وهم سبع طوائف سموا به، لخروجهم على الناس، أو عن الدين، أو عن الحق، أو عن علي - كرم الله وجهه - بعد صفين"(٢).

---

(١) المرجع السابق.

(٢) تاج العروس، مادة: خرج.

فنلاحظ هنا أن صاحب تاج العروس قد زاد معنى للخوارج، وهو لخروجهم عن الناس أو عن الدين أو عن الحق أو عن علي كرم الله وجهه والملاحظ[١] أنها كلها ترجع إلى معنى واحد، وهو التمرد عن الجماعة الحقة.

التعريف الاصطلاحي:

قال البغدادي ﷺ في الفرق بين الفرق: "واختلفوا فيما يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها فقالوا: إكفار علي، وعثمان، والحكمين، وأصحاب الجمل وكل من رضي بتحكيم الحكمين، والإكفار بارتكاب الذنوب، ووجوب الخروج على الإمام الجائر"[٢].

ويؤيد الإمام البغدادي قول الشيخ أبي الحسن الأشعري بقوله: "والصواب ما حكاه شيخنا أبو الحسن عنهم، وقد أخطأ الكعبي[٣] في دعواه إجماع الخوارج على تكفير مرتكب الذنوب منهم، وذلك أن النجدات من الخوارج لا يكفرون أصحاب الحدود من موافقيهم"[٤].

أما الشهرستاني ﷺ في الملل والنحل فيقول: "ويجمعهم القول بالتبرؤ من عثمان وعلي ﷺ، ويقدمون ذلك على كل طاعة، ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك. ويكفرون أصحاب الكبائر، ويرون الخروج على

---

(١) الفرق بين الفرق ص٧٣ للبغدادي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ١٩٦٥م، دار الأنصار.
(٢) مقالات الإسلاميين (١/ ١٥٦).
(٣) هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الكعبي شيخ من شيوخ المعتزلة. انظر: الفرق ص١٢ تحقيق محيي الدين عبد الحميد.
(٤) الفرق بين الفرق ص٧٤.

الإمام إذا خالف السنة حقًا واجبًا"[١].

ومما سبق يتضح لنا أن الذي يتميز به الخوارج هو تكفير عثمان وعلي خاصة أو التبرؤ منهم إلا أن الشريف الجرجاني يصفهم بوصف آخر مستقل عما سبق فيقول:

الخوارج: "هم الذين يأخذون العشر من غير إذن سلطان"[٢].

ثم نجد الإمام الشهرستاني رحمه الله يعمم هذا الأمر في التعريف بهم فيقول: الخوارج: "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان"[٣].

ومن هذا التعريف نستطيع أن نؤكد على بداية تاريخ الخوارج، وأنه منذ عهد الصحابة.

كذلك نجد الراغب الأصفهاني يعرف الخوارج: "بأنهم خارجون عن طاعة الإمام"[٤].

أما من المحدَثِين فنجد صاحب المنجد في اللغة يقول عند مادة خرج:

الخوارج: "قوم يخالفون السلطان والجماعة سبع[٥] فرق من كبار

---

(١) الملل والنحل (١/ ١١٥).

(٢) التعريفات ص١٣٧، ط: الثانية ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، دار الكتاب العربي.

(٣) الملل (١/ ١١٥).

(٤) المفردات ص١٤٥.

(٥) وهم: المحكمة، والأزارقة، والنجدات، والبيهسية، والعجارة الثعالبة، والإباضية، والصفرية. الملل والنحل (١/ ١١٥).

الفرق الإسلامية"[١].

أما الشيعة فنجدهم يعرفون الخوارج بأنهم:

"الذين خرجوا على إمام زمانهم الشرعي، وأن لهم معتقدات تخالف معتقدات المسلمين كافة: كقولهم بتكفير عائشة وطلحة والزبير بمقاتلتهم عليًا، وأن عليًا كان يومئذ على الحق، ثم كفر ـ نعوذ بالله ـ ولهم آراء تافهة منبثقة من أمرين:

الأول: تكفير علي وعثمان وعائشة وأصحاب الجمل والحكمين وكل من رضي بهما.

الثاني: رأيهم في أن كل من أذنب ذنبًا فهو كافر"[٢].

أما صاحب الفصول المهمة فيقول:

"الخوارج هم هؤلاء الذي خرجوا على علي عليه السلام لما حكم الحكمين وقالوا: لا حكم إلا لله، وهم الذين قال فيهم النبي ﷺ وآله: [**يمرقون من الدين كما تمرق السهم من الرمية**]"[٣].

ولعل التعريف المختار هو:

"أن الخوارج: هم الذين يكفرون بالمعاصي، ويخرجون على أئمة المسلمين وجماعتهم. ويشمل ذلك: الخوارج الأولين (المحكمة الحرورية)

---

(١) المنجد في اللغة والإعلام ص١٧٣.

(٢) تلخيص الشافي لأبي جعفر الطوسي (٢/ ٥٢).

(٣) الفصول المهمة في معرفة أحوال الأمة لعلي بن محمد المالكي ص١٠٥، دار الأضواء.

ومن تفرع عنهم من الأزارقة والصفرية والنجدات (وهذه الثلاثة انقرضت) والإباضية (وهم باقون إلى اليوم).

كما يشمل اسم الخوارج كل من أخذ بأصولهم وسلك سبيلهم، كجماعات التكفير والهجرة في هذا العصر ونحوهم"(١)، وعلى هذا فإن الخوارج قد يخرجون في كل زمان، وسيظهرون في آخر الزمان، وكما أخبر النبي ﷺ عن الخوارج الأولين، فقد أخبر ﷺ كذلك عن المتأخرين، وأنهم يخرجون في آخر الزمان، قال ﷺ: **[سيخرج قوم في آخر الزمان، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة]**(٢).

هذا بالنسبة لكتب العقائد، أما الموسوعات فنجد الموسوعة العربية العالمية تعرف الخوارج أنهم: "مذهب سياسي في الأصل.

أما صفات الخوارج فهي كثيرة منها:

١- الفصاحة، وطلاقة اللسان، ومعرفة طريقة تأثير الكلام.

٢- الغلو في العبادة، والانهماك فيها.

٣- الشجاعة الخالصة النادرة.

٤- حبهم للجدل والمناقشة ومذاكرة الشعر، وغلبة التعصب على

---

(١) الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام لناصر العقل ص٢٨، ط:الأولى ١٤١٦هـ دار الوطن.

(٢) صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب ٦، الحديث رقم٦٩٣٠، وفتح الباري (٢٨٣/١٢).

جدلهم، وعدم التسليم للخصوم بحجة، وعدم الاقتناع بفكره مهما كانت قريبة من الحق.

ومذهبهم لا يزال منتشرًا إلى الآن في عمان وبعض بلاد المغرب[(١)] العربي"[(٢)].

(١) انظر: الخوارج في المغرب الإسلامي لمحمود إسماعيل، دار العودة ١٩٧٦م.

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية (١٠/ ١٧٥-١٧٧).

المبحث الثاني: قول الخوارج في الشفاعة

تعد الخوارج من الفرق المنكرة لنوع من أنواع الشفاعة، وهو شفاعته ﷺ لأهل الكبائر.

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في أكثر من كتاب له:

"وأما الخوارج: فأنكروا شفاعته لأهل الكبائر، ولم ينكروا شفاعته للمؤمنين يوم القيامة في زيادة الثواب ورفع الدرجات"[(١)].

وقد قرر هذا ابن حزم في الفصل، وشارح الطحاوية، والحكمي[(٢)] في معارج القبول.

قال أبو محمد: "اختلف الناس في الشفاعة فأنكرها قوم، وهم المعتزلة والخوارج، وكل من منع أن يخرج أحد من النار بعد دخوله فيها"[(٣)].

قال شارح الطحاوية: "ثم إن الناس في الشفاعة على ثلاث أقوال...

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٤٨)، والاستغاثة لشيخ الإسلام ص١٠، تحقيق عبد الحميد شانوحة، ط:الأولى، دار المطبوعات الحديثة.

(٢) هو: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (١٣٤٢-١٣٧٧هـ) (١٩٢٣-١٩٥٨م) فقيه أديب من علماء جيزان، ولد في قرية السلام، عاش بدويًا يرعى الغنم، ثم قرأ القرآن، وطلب العلم لما بلغ السادسة عشرة ألف كتبا، طبع أكثرها على نفقة الملك سعود بن عبد العزيز، من كتبه (الجوهرة الفريدة في العقيدة) (سلم الوصول إلى علم الأصول) أرجوزة، و(معارج القبول) شرح لها، الأعلام (٢/ ١٥٩).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١١١).

والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة نبينا ﷺ وغيره في أهل الكبائر"[١].

قال الحكمي: الشفاعة الثالثة في إخراج عصاة الموحدين من النار وهي:

وثالثًا يقع في أقوام ماتوا على دين الهدى الإسلام
وأوبقتهم كثرة الآثام فأدخلوا النار بذا الإجرام
أن يخرجوا منها إلى الجنان بفضل رب العرش ذي الإحسان

قال: وأنكرها في عصر الصحابة الخوارج، وأنكرها في عصر التابعين المعتزلة وقالوا بخلود من دخل النار من عصاة الموحدين الذين يشهدون الشهادتين غير أنهم ماتوا مصرين على معصية عملية، عالمين بتحريمها، معتقدين بما جاء فيه الوعيد الشديد[٢].

وحتى لا يكون الحديث من الخصم فإننا نسوق مصداق ذلك من كتبهم.

(قال صاحب مشارق أنوار العقول:

"شفاعة نبينا محمد ﷺ مقصورة على التقي من المكلفين.

والتقي: هو من جانب المحرمات، وأدى الواجبات، فلا شفاعة لغيره من الأشقياء".

وهذا نص صريح في أن أصحاب الكبائر ليس لهم شفاعة عندهم.

وفي كتاب آخر لهم يقولون: "والشفاعة عند الإباضية ثابتة، وهي

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢٣٥.

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد الحكمي (٢/ ٨٩٦)، علق عليه عمر أبو عمر، ط:الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، دار ابن القيم.

للمؤمنين المطيعين، أما أهل الكبائر فلا تنالهم الشفاعة إلا إذا كانوا تائبين"، وهذا تصريح في نفي الشفاعة عن أهل الكبائر.

وعرف الخوارج الشفاعة بقولهم: "بأنها سؤال النبي ﷺ من الله الإذن للمؤمنين في دخول منازلهم في الجنة بعد الفراغ من الحساب"، وهذا فيه إثبات نوع من أنواع الشفاعة.

وجاء في قاموس الشريعة: قال أصحابنا ـ رحمهم الله ـ: "الشفاعة حق لا تكذيب فيها، لكنها للمؤمنين المطيعين دون أهل الكبائر من العاصين والفاسقين"، وهذه مثل الأولى.

يقول أحد مشايخهم: "وأما الشفاعة فهي حق للمؤمنين الذين رضي الله عملهم")[١].

وفي كتاب العقود الفضية، في أصول الإباضية، نص صريح في موقفهم من الشفاعة فيقول: "ومن ذلك شفاعة النبي ﷺ لا تكون لمن مات مصرًا غير تائب، إنما الشفاعة لمن مات على صغيرة، أو مات وقد نسي ذنبًا أن يتوب منه، أو لزيادة درجة في الجنة، أو لتخفيف الموقف على المؤمنين وإراحتهم منه إلى الجنة"[٢] وهنا ذكر الأنواع التي يثبتونها.

(١) انظر: هذه مبادئنا رد على كتاب (الإباضية عقيدة ومذهبا) للدكتور صابر طعيمة، إعداد أحمد مصلح محمود الأندلسي وعاشور كسكاس ومهنى التبواجني ص١٧٥ وما بعدها.

(٢) انظر: العقود الفضية في أصول الإباضية لسالم بن حمد بن سليمان الحارث ص٢٨٥-٢٩٥ نقلا عن دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة لعبد الله الأمين ص٢٠٦، ط:الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، دار الحقيقة-بيروت.

أما كتب التفسير عندهم فنجدها تفسير آيات القرآن الكريم وفق ما تذهب إليه.

فمثلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[البقرة:٤٨] يقول: "...وإن قلت: فهل الشفاعة والنداء بالعدل واقعان ولكن لا يقبلان؟ أم غير واقعين؟ قلت: غير واقعين... أما من تأهل للشفاعة من الملائكة والأنبياء والعلماء والصالحين، فلا يتعرضون بها لمن ظهرت شقاوته لهم، فإن تعرضوا بها لهم قبل أن تظهر لهم، قيل لهم: إنهم بدلوا وغيروا، وليسوا أهلاً لها"(١).

ويقول في موضع آخر عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ...﴾[البقرة:١٢٣]: "ولا تنفعها شفاعة لعدمها هناك، فالمراد أنه لا شفاعة تنفعها، فالشفاعة هنالك منفية من أصلها، وليس المراد أنه هناك شفاعة لا تقبل، فإنه لا شفاعة له هنالك إلا شفاعة القيام لدخول النار، ولا نفع له في دخول النار، إنما الشفاعة للموحد التائب"(٢).

وعند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ [الأنعام:١٥٩] يقول: "فالآية نص أو كالنص في أن لا شفاعة لأهل الكبائر؛

---

(١) انظر: هميان الزاد إلى دار المعاد لمحمد بن يوسف اطفيش (٢/ ١٧) نقلا عن التفسير والمفسرون (٢/ ٣٢٥).

(٢) انظر: هميان الزاد (٢/ ٢٩٩).

أي أنت بريء منهم على كل وجه، وقد علمت عن عمر وأبي هريرة أن الآية في أهل البدع من هذه الأمة"[1]، ومما تقدم نخلص إلى ما يلي:

١- الشفاعة عند الخوارج هي: سؤال النبي ﷺ من الله الإذن للمؤمنين في دخول منازلهم في الجنة بعد الفراغ من الحساب.

٢- أنهم ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر.

٣- أنهم يثبتون من أقسام الشفاعة:

أ- زيادة درجات المؤمنين.

ب- الشفاعة لأهل الموقف.

ومن هذه النصوص المتضافرة نجد أن الخوارج ينكرون شفاعة أهل الكبائر من المؤمنين، ويكفرونهم بارتكاب الكبيرة، فما هو أصل هذا القول وما الذي حدا بهم إلى ذلك؟ هذا ما سنتعرف عليه في الصفحات القادمة بإذن الله تعالى.

أصل قولهم:

يقول د.أحمد جلي، وهو يبين المبادئ العامة للخوارج:

"المبدأ الثاني للخوارج، وهو اعتبار مرتكب الكبيرة كافرًا فقد بنى الخوارج رأيهم فيه على قولهم: إن العمل بأوامر الدين، والانتهاء عما نهى عنه جزء من الإيمان، فمن عطل الأوامر، وارتكب النواهي لا يكون مؤمنًا،

---

(١) هميان الزاد (٦/ ٢٧٤).

بل كافرًا؛ إذ الإيمان لا يتجزأ ولا يتبعض"(١).

"وهذا قد اختلفت مذاهب المسلمين فيه، فمذهب الخوارج أن الإيمان هو الطاعة ومال إلى ذلك كثير من المعتزلة.

واختلفت مذاهبهم في تسمية النوافل إيمانًا، فذهب أبو الهذيل إلى تسمية النوافل إيمانًا ومنع غيره.

وصار أهل الحديث إلى أن الإيمان هو معرفة بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان.

وذهب بعض العلماء إلى أن الإيمان: هو المعرفة بالقلب والإقرار بها.

وذهبت الكرامية إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فحسب، ومضمر الكفر عندهم إذا أظهر الإيمان مؤمن حقا، غير أنه يستوجب الخلود في النار، ولو أضمر الإيمان، ثم لم يتفق منه إظهاره، فليس بمؤمن وله الخلود في الجنة"(٢).

"ويرى بعض الباحثين أن الخوارج تفردوا في تفسير مفهوم الإيمان، دون سائر المسلمين، فقد كان المسلمون قبل الخوارج يرون أن الإيمان يعني الاعتقاد الداخلي، ثم الإقرار به نطقًا باللسان، لكن الخوارج زادوا مسألة الإخلال بالعمل ينقص الإيمان في هذا المفهوم عنصرًا هو العمل الخارجي

---

(١) دراسات عن الفرق لأحمد جلي ص٤٩.

(٢) لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول لأبي الحجاج يوسف المكلاتي ص٣٨٧، تحقيق فوقية حسين محمود، دار الأنصار، ط:الأولى ١٩٧٧م.

العضوي"(١).

وهذا كله يرجع إلى مسألة إنفاذ الوعد والوعيد.

يقول شارح جوهرة التوحيد تحت قوله:

وخاذل لمن أراد بعده ومنجز لمن أراد وعده

"وما يجب شرعا اعتقاده: أن الله تعالى معط ـ لمن أراد به خيرًا ـ وعده الذي سبقت به إرادته في الأزل؛ إذ المراد لا يتخلف عن الإرادة؛ لأنه لو تخلف إعفاء الموعود به لزم الكذب والسفه والخلف والتبديل في القول، وهو خلاف قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾[آل عمران:١٩٤]، وقوله: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ ﴾[ق:٢٩]، فوعد الله المؤمنين بالجنة لا يتخلف ـ شرعا ـ قطعًا، إذ الخلف في الوعد نقص يجب تنزيه الله تعالى عنه، وأما الوعيد فلا بد من تحققه بالكافرين قطعًا.

وأما عصاة المؤمنين فيجوز أن يغفر الله لهم، ويجوز أن يعذبهم، ويدخلهم النار إلا أنه يقطع بإنفاذ الوعيد في بعض المؤمنين لورود أخبار بذلك"(٢).

فمسألة ارتكاب الكبيرة من أكثر المسائل التي أثارت الجدل بين المسلمين حتى جعلها أحد الكتاب المحدثين السبب في نشأة علم الكلام

(١) قراءة جديدة في مواقف الخوارج وفكرهم وأدبهم لأحمد سليمان معروف ص١٣٦، دار طلاس، ط:الأولى ١٩٨٨م.

(٢) الخوارج الحروريون لأحمد حجازي السقا ص٤٥، مكتبة الكليات الأزهرية.

والفرق، وقد دخلت هذه المسألة في علم الكلام، بعد أن صار علمًا، وكما أن هذه النظرية كانت منطلق الخارجي، فإن حركة المعتزلة في الأصل نشأت من الجدل في مرتكب الكبيرة، ومن هنا تأتي أهمية الخوارج في ظهور حركة الاعتزال.

المهم أن مسألة مرتكب الكبيرة هي الأصل في إنكار الخوارج للشفاعة:

"ولقد خالفت الخوارج غيرها من الفرق الإسلامية بشأن ارتكاب الكبائر إذ قالوا: إن مرتكب الكبيرة يخرج من الإسلام، وينتقل إلى دائرة الكفر، أما نوعية العذاب في الآخرة، فيزعمون أن مرتكبي الكبائر من منتحلي الإسلام يعذبون عذاب الكافرين، ويخلدون في النار"[(١)].

والذي أدى بالخوارج إلى مثل هذه الآراء هو سوء فهمهم للقرآن، فهم فهموا منه ما لم يدل عليه فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب، إذا كان المؤمن هو البر التقي، فمن لم يكن برًا تقيًا فهو كافر وهو مخلد في النار، فكانت بدعتهم لها مقدمتان كما يقول ابن تيمية[(٢)]:

"الأولى: أن من خالف القرآن بعمله أو رأيه فهو كافر.

الثانية: أن عثمان وعليًا ومن والاهما كانوا كذلك، وكلا المقدمتين خطأ"[(٣)].

---

(١) الخوارج في العصر الأموي لنايف محمود معروف ص:٢٠٠، دار الطليعة للطباعة والنشر.

(٢) دراسات عن الفرق لأحمد جلي ص٥٠.

(٣) الفتاوى (١٣/ ٣٠-٣١).

الأدلة على تكفير مرتكب الكبيرة:

استدل جمهور الخوارج على أن مرتكب الكبيرة كافر من القرآن بما يلي:

١- ما ذكر الله في صفة عباد الرحمن في سورة الفرقان من قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾[الفرقان: ٦٨-٦٩] وقوله: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا ﴾[النساء:١٤] قالوا: "وقد علمنا أن من ترك الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد، وارتكب شرب الخمر والزنا، وقتل النفس المحرمة فهو متعد لحدود الله، فهو من أهل العقاب وبين أن الفاسق كالكافر في أنه من أهل الخلود إلا من تاب من الفساق أو آمن من الكفار"[(١)].

٢- "قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[آل عمران:٩٧] قالوا: إن الله وصف تارك الحج بالكفر وترك الحج ذنب، فإذن كل مرتكب للذنب كافر.

٣- قوله: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[آل عمران:١٠٦] قالوا: إن الفاسق لا يجوز أن يكون ممن ابيضت وجوههم فوجب أن يكون ممن اسودت وجوههم، ووجب من ثَمَّ أن يُسمى كافرًا"[(٢)].

---

(١) هذه مبادئنا ص١٦٩.

(٢) دراسة عن الفرق ص٥٠-٦٠.

٤- قوله: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[الأنعام:١٢١] فقد حكم على أن من أطاع المشركين بأنه مشرك مثلهم.

٥- قوله: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٥].

هذه الآية في حق من خفت موازينه، ووجه الاستدلال بهذه الآية هو أن الفاسق ممن خفت موازينه، وكل من خفت موازينه فهو مكذب بالآيات مشرك، فالفاسق مكذب مشرك(١).

ومن الملاحظ أنه مع وفرة الآيات التي يستدل بها الخوارج إلا أننا نجدهم يقللون من الاستدلال بالأحاديث في مثل هذه القضايا؛ لأنها أحادية لم تبلغ حد التواتر - على حد قولهم - حتى إن ذكروا أحاديث فلمجرد التدعيم، ونسوق منها حديثين:

أولاً: قال رسول الله ﷺ: [**من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدًا مخلدًا أبدًا**](٢).

ثانيًا: قوله ﷺ: [**ومن قتل نفسه بحديدة فهو يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا أبدًا**](٣).

---

(١) انظر: مشارق أنوار العقول لسالمي (١/ ٣٩٦-٣٩٧) عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، ط:الأولى ١٩٨٩م.

(٢) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل النفس ٤٧، رقم١٧٥.

(٣) البخاري: جنائز ٨٣.

قالوا: وواضح أن هذه الأحاديث في صاحب الكبيرة من أهل الملة، وإلا فإن الكافر مقطوع بخلوده في النار قتل نفسه أو لم يقتل[(١)].

ومن الشبه التي برروا بها معتقدهم قالوا:

"إنه لا يجوز أن يجتمع في الإنسان الواحد الإيمان والنفاق، فيكون محمودًا من وجه مذمومًا من وجه آخر، فيستحق الجنة والنار جميعًا. فلا بد من خلود في النار أو خلود في الجنة"[(٢)].

الجواب عن هذه الأدلة:

نُعرض هنا عن الرد المفصل لكل آية أو حديث، ونذكر الرد العام من كتب أهل السنة أو المعتزلة أو الشيعة.

أولاً: "إن هذه الآيات التي استشهد بها الخوارج واضح فيها تمسكهم بظواهر النصوص، ومحاولة فهمها من غير اعتبار للآيات الأخرى التي تصف مرتكب الكبيرة بأنه مؤمن، ومن غير اعتبار لعمل الرسول عليه الصلاة والسلام، وسنته التي تبين القرآن وتفسره، وهذه الآيات التي احتج بها الخوارج إما أنها تصف حال المؤمنين والكفار في الآخرة، أو يقصد بها استحلال ذنب...الخ"[(٣)].

---

(١) هذه مبادئنا ص١٦٩-١٧٠.

(٢) الخوارج في العصر الأموي ص٢٠١. انظر لمزيد من الأدلة: الحق الدامغ لأحمد الخليلي ص٢٠٢.

(٣) دراسة عن الفرق ص٥١.

ثانيًا: إن عليًا ﷺ في إحدى خطبه رد على مزاعم الخوارج، فأنكر عليهم تكفيرهم لمرتكب الكبيرة، واحتج عليهم بفعل الرسول ﷺ وأعلمهم بأنه لو كان مرتكب الكبيرة كافرًا لما صلى عليه النبي ﷺ، ولما مكنه من وراثة المسلم أو نكاح المسلمات، أو أخذ نصيبه من الفيء"[(١)].

أما ابن أبي الحديد[(٢)] فإنه يغير وجه الرد، ويجعلها فلسفية، فيقول ـ ردًا على تلك المزاعم ـ بتكفير الفاسق مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[النور:٥٥]: "فوجد أن هذه الآية تدل على فسق الكافر، ولكنها لا تدل على كفر الفاسق"[(٣)].

ثالثًا: قد رد على الخوارج في مسألة تكفيرهم صاحب الكبيرة القاضي عبد الجبار المعتزلي في شرح الأصول الخمسة فقال: "إن صاحب الكبيرة لا يسمى كافرًا؛ لأن الشرع جعل اسم الكفر على من يستحق العقاب العظيم، ويختص بأحكام مخصوصة نحو المنع من المناكحة الموارثة والدفن في مقابر المسلمين، ومعلوم أن صاحب الكبيرة ممن يستحق العقاب العظيم، ولا تجري عليه هذه الأحكام فلم يجز أن يسمى كافرًا"[(٤)].

---

(١) أبو الحسن، أحمد بن عبد الواحد بن أبي الحديد، توفي في ربيع الأول سنة ٤٦٩هـ وعمره بضع وثمانين سنة، انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤١٨).

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٨/ ١١٢).

(٣) شرح ابن أبي الحديد (٨/ ١١٧)، تحقيق محمد أبو الفصل إبراهيم، ط:الثانية ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م، عيسى البابي الحلبي.

(٤) ص٧١٢.

رابعًا: "هذا المذهب يناقض معظم الآيات من الكتاب والأخبار من السنة[(١)] ويغلق باب الرحمة، ويفضي إلى اليأس وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[الزمر:٥٣].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النساء:١١٦].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[الشعراء:٢٢٧].

ومن أوضح ما يلزمهم أن يقال لهم:

الشرع يدل على درء السيئات بالحسنات، فإحباط العقاب أحق، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[هود:١١٤] ثم الطاعات ثابتة على حقائقها، صحيح أداؤها، والإصرار على الكبائر لو كان يدرأ ثواب الطاعات لكان ينافي صحتها كالردة. ومفارقة الملة، فإنها لما كانت محبطة، كانت منافية لصحة العبادات. ثم الثواب يستحق على الطاعات، ولو كان عندهم بحسبها، ووقوعها طاعات، وذلك يتحقق مع الكبيرة الواحدة.

والجواب عن الشبهة: لا خلاف أنه موصوف بكونه مطيعًا بطاعته، موقنًا

---

(١) أمثال حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ وهو رديف على الرحل: [ما من أحد شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسوله صادقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار، قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس ليستبشروا؟ قال: إذن يتكلوا. وأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا] متفق عليه ولفظه للبخاري، ك: العلم.

موحدًا، وكل ما ذكرناه من سمة الأولياء ـ ثم إنما تتناقض سمة المشاقة والموافقة في الشيء الواحد ولا بعد في المخالفة في الشيء والموافقة في غيره، ثم إن لم يكن يدمن الإحباط والإسقاط فهلا أحبطتم العقاب وغلبتم الثواب"(١).

ونختم هذه الردود بقول لشيخ الإسلام في ثنايا أحد رسائله فيقول:

"فصل: ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله، ولا بخطأ أخطأ فيه كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة، فإن الله تعالى قال: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ... ﴾[البقرة:٢٨٥].

وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى أجاب هذا الدعاء، وغفر للمؤمنين خطأهم، والخوارج المارقون الذين أمر النبي ﷺ بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولم يكفرهم علي بن أبي طالب ولا الصحابة، بل جعلوهم مسلمين، ولم يقاتلوهم حتى سفكوا الدم الحرام وأغاروا على أموال المسلمين فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، لا لأنهم كفار، ولهذا لم يسب حريمهم، ولم يغنم أموالهم، فإذا كانوا هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يكفروا مع أمر الله ورسوله ﷺ بقتالهم، فكيف بمن اشتبه عليه الحق في مسائل غلط فيها".

ثم يختم الشيخ رحمه الله بعد هذه الحجة الدامغة بقوله:

"ولهذا كان السلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضا موالاة الدين لا

---

(١) انظر: لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول لأبي الحجاج يوسف بن محمد المكلاتي ص٣٩١، تحقيق فوقية حسين محمود، دار الأنصار، ط:الأولى ١٩٧٧م.

يعادون كمعاداة الكفار، فيقبل بعضهم شهادة بعض، ويأخذ بعضهم العلم عن بعض ويتوارثون، ويتناكحون".

ثم قال في فائدة كبيرة له:

"إن الذنب لا يوجب كفر صاحبه كما تقول الخوارج، بل ولا تخليده في النار ومنع الشفاعة فيه كما يقوله المعتزلة"(١).

(١) رسالة لشيخ الإسلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ... ﴾، مخطوط من جامعة الملك سعود برقم ٠٨٢/ م.

المبحث الثالث: أدلة الخوارج على إنكار الشفاعة

يذكرون أدلتهم من القرآن على إنكار الشفاعة لأهل الكبائر، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[الأنبياء:٢٨].

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ [البقرة:٤٨].

﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[غافر:١٨].

"وهذه الآيات عامة كما رأيت، ففي الأولى تصريح بأن الشفاعة مقصورة على من ارتضاه الله، وفي الثانية دليل على نفيها عن الظالم، وهو اسم لكل من ظلم نفسه أو ظلم غيره، فلا تخص المشركين كما زعموا، فإنها وإن كان سبب نزولها فيهم فلا عبرة بخصوص السبب مع عموم اللفظ"[(١)].

وقد أسهب شيخهم أحمد الخليلي[(٢)] في سرد الأدلة من الكتاب والسنة، ثم أورد كذلك اعتراضات أهل السنة عليهم، وحاول أن يردها بمثل ما عنده من أدلتهم ففي الحق الدامغ:

"استدل بقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا

---

(١) مشارق أنوار العقول لعبد الله بن حميد السالمي (٢/ ١٣٢)، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، ط:الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(٢) أحمد الخليلي الشامي (١١٨٩هـ-١٧٧٥م) أحد المدرسين بالأزهر، من مؤلفاته: إعراب الآجرومية، معجم المؤلفين (١/ ١٧)، دار إحياء التراث.

مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾[آل عمران:٢٤] ووجه الاستدلال: إثبات أن هذه العقيدة من عقائد اليهود، وأنها جرأتهم على معصية الله، وقادتهم إلى الإعراض عن كتابه، وذكرت في معرض تفنيد ضلالهم وتبكيتهم على عيوبهم"[١]، ولصاحب المنار في تفسيره هذه الآية كلام جاء فيه: "لعل المراد بعبارة الآية أنهم كانوا يعتقدون أن الإسرائيلي إذا عوقب فإن عقوبته لا تكون إلا قليلة، كما هو اعتقاد كثير من المسلمين اليوم، إذ يقولون: إن المسلم المرتكب لكبائر الإثم والفواحش، إما أن تدركه الشفاعات، وإما أن تنجيه الكفارات، وإما أن يمنح العفو والمغفرة بمحض الفضل والإحسان، فإن فاته كل ذلك عذب على قدر خطيئته، ثم يخرج من النار، ويدخل الجنة"[٢].

* قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴾[النساء:٩٣].

وجه الاستدلال: "أن الله تعالى توعد فيها قاتل المؤمن ـ فيما توعده به ـ بالخلود في النار، مع أن القتل كبيرة دون الشرك".

يقول الخليلي: "وقد حاولوا التخلص مما دل عليه هذا النص بضروب من التأويلات التي أنكر فيها بعضهم على بعض، ولم يتفقوا منها على شيء".

---

(١) الحق الدامغ لأحمد بن حمد الخليلي ص٢١٠، ١٤٠٩هـ.

(٢) انظر: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (٣/ ٢٦٧-٢٦٨)، دار المنار، ط:الرابعة.

قال الفخر الرازي[١]: "وزعم الواحدي[٢] أن الأصحاب سلكوا في الجواب عن هذه الآية طرقا كثيرة قال: وأنا لا أرتضي شيئا منها، لأن التي ذكروها إما تخصيص وإما معارضة، وإما إضمار، واللفظ لا يدل على شيء من ذلك.

قال: والذي أعتمده وجهان: الأول: إجماع المفسرين على أن الآية نزلت في كافر قتل مؤمنا، ثم ذكر تلك القصة.

الثاني: أن قوله: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ معناه الاستقبال، أي أنه سيجزى بجهنم، وهذا وعيد ـ قال ـ وخلف الوعيد كرم، وعندنا أنه يجوز أن يخلف الله وعيد المؤمنين، فهذا حاصل كلامه الذي زعم أنه خير مما قاله غيره، وبعدما أورد الفخر هذا الكلام أخذ ينقضه مع ما عرف عنه من التعصب للقول بخروج أهل الكبائر من النار، وهذا نص كلامه:

"أما الوجه الأول: فضعيف، وذلك أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وأما الوجه الثاني: فهو في غاية الفساد؛ لأن الوعيد قسم من أقسام الخبر، فإذا جوز على الله الخلف فيه، فقد جوز الكذب على الله، وهذا خطأ عظيم، بل يقرب من أن يكون كفرا؛ فإن العقلاء أجمعوا على أنه

---

(١) الأربعين (٢/ ٢١٢).

(٢) الإمام العلامة أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري الشافعي صاحب التفاسير الثلاثة (البسيط) و(الوسيط) و(الوجيز) وله (أسباب النزول) توفي سنة ٤٦٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٣٩).

تعالى منزه عن الكذب. ثم يقول: ونحن لا ننازع الفخر في كون هذا الوعيد لا يشمل القاتل غير المعتدي كالمقتص، ولا التائب من قتله مع استيفاء شروط التوبة، ولكنا ننازع في تخصيصه بحصول العفو لغير التائب، وبطلان ذلك من وجهين: أولهما: أن هذا التخصيص إما أن يكون مقتضيا إبطال وعيد قاتل العمد بالخلود في النار رأسا.

ثانيهما: أن قوله تعالى: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ لا يدل بحال على العفو عن أصحاب الكبائر دون الشرك مع الإصرار عليها.

* قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس:٢٦-٢٧].

الاستدلال به من وجوه:

أولها: أن الله وعد بالجنة الذين أحسنوا، وحصرها فيهم بقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ فعرّف المسند والمسند إليه، ووسط بينهما ضمير الفصل لتأكيد الحصر.

ثانيها: أنه أخبر عنهم أنهم لا يصيبهم قتر ولا ذلة، ولا يعقل أن يصلى أحد النار ولو لمدة ثواني فلا يرهقه فيها قتر ولا ذلة.

ثالثهما: أنه توعد الذين عملوا السيئات بالنار مخلدين فيها، وهذا الحكم يصدق على من أتى أي سيئة، فإن السيئات جنس غير محصورة أفراده، وما كان كذلك فحكمه يصدق على كل فرد من أفراده سلبا وإيجابا، ألا ترى أن قول القائل تزوجت النساء لا يعني أنه تزوج جميع أفراد النساء، بل يصدق على ما لو تزوج ولو واحدة منهن.

فإن قيل: إن الله وعد المحسنين بالجنة، وكل من أتى حسنة فقد أحسن، على أن من المفسرين من فسر المحسنين هنا بالموحدين؛ لأن التوحيد أس الحسنات.

فجوابه: لو كان الأمر كذلك لم يكن داع إلى أمر أو نهي في كتاب أو سنة ما دام المطلوب هو التوحيد وحده.

* قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾[الجن:٢٣].

ولا يماري أحد يؤمن بما أنزل الله أن مقارفة للكبير معصية لله ولرسوله، فإن قيل إن هذا الوعيد خاص بالمعصية الكبرى، وهي الإشراك بالله تعالى.

قلنا: إن ورود الحكم العام في بعض أفراد مدلولاته لا يخصص عمومه، وكما توعد المشركون بهذا الجزاء توعد سائر أصحاب الكبائر في نصوص أخرى.

أما السنة:

روى مسلم في صحيحه: [**لا يدخل الجنة قاطع رحم**](١).

وروى الشيخان عن رسول الله ﷺ أنه قال: [**من شرب الخمر في الدنيا يحرمها في الآخرة**](٢).

وهو كناية عن حرمانه من دخول الجنة، لأن أهل الجنة لهم فيها ما تشتهيه أنفسهم وتلذ أعينهم، فلا يحرمون من شيء.

روى مسلم في صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال: [**صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**](٣).

روى البخاري ومسلم عن حذيفة بن اليمان ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: [**من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام**](٤)ا.هـ(٥).

درء تلك الشبه:

ونحن هنا نحاول إيضاح بطلان شبه تكفير مرتكب الكبيرة والتي هي أصل القول بنفي الشفاعة لأهل الكبائر.

---

(١) رواه مسلم، ك: البر والصلة والأدب، ب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها رقم١٩.

(٢) رواه مسلم، ك: الأشربة، ب: عقوبة من شرب الخمر لم يتب منها بمنعه في الآخرة رقم٧٦.

(٣) رواه مسلم، ك: اللباس والزينة، ب: النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات رقم ١٢٥.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، ب٢٧، حديث رقم١١٥.

(٥) انظر: الحق الدامغ ص٢٠٢-٢٢٥.

أولاً: "ينبغي أن يعرف أن القول الذي لم يوافق الخوارج والمعتزلة عليه أحد من أهل السنة هو القول بتخليد أهل الكبائر في النار، فإن هذا القول من البدع المشهورة، وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين على أنه لا يخلد في النار أحد ممن في قلبه مثقال ذرة من إيمان، واتفقوا أيضًا على أن نبينا ﷺ يشفع فيمن يأذن الله له بالشفاعة فيه من أهل الكبائر من أمته.

ثانيًا: قد نقل البعض عن الصحابة في كون القاتل لا توبة له خلافًا، كما روي عن ابن عباس أن القاتل لا توبة له، وهذا غلط على الصحابة، فإنه لم يقل أحد منهم أن النبي ﷺ لا يشفع لأهل الكبائر، ولا قال إنهم يخلدون في النار، ولكن ابن عباس في إحدى الروايتين عنه قال: إن القاتل لا توبة له. وعن أحمد بن حنبل في قبول توبة القاتل روايتان أيضًا والنزاع في التوبة غير النزاع في التخليد، وذلك أن القتل يتعلق به حق آدمي، فلهذا حصل فيه النزاع.

ثالثًا: أما قول القائل: إن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله، فهذا ممنوع، وهذا هو الأصل الذي تفرعت عنه البدع في الإيمان، فإنهم ظنوا أنه متى ذهب بعضه ذهب كله، ولم يبق منه شيء.

ولهذا كان (أهل السنة والحديث) على أنه يتفاضل، وجمهورهم يقولون يزيد وينقص، ولم يعرف فيه مخالف من الصحابة"[(١)].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٢٢).

ومن آثار الصحابة والسلف الصالح الدالة على زيادة الإيمان:

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: حدثنا يزيد بن هارون حدثنا محمد بن طلحة عن زبيد، عن ذر قال: كان عمر بن الخطاب يقول لأصحابه: [**هلموا نزدد إيمانًا، فيذكرون الله عز وجل**].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: [**اللهم زدنا إيمانًا ويقينًا وفقهًا**] وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول لرجل: [**اجلس بنا نؤمن نذكر الله تعالى**].

وعن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه أنه كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه فيقول: [**قم بنا نؤمن ساعة**].

قال مالك بن دينار[١] رحمه الله: الإيمان يبدو في القلب ضعيفًا ضئيلاً كالبقلة، فإن صاحبه تعاهده فسقاه بالعلوم النافعة والأعمال الصالحة وأماط عنه الدغل وما يضعفه ويوهنه أوشك أن ينمو ويزداد...الخ[٢]، ويستمر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في دحض شبههم بعبارات جامعة بعيدًا عن الرد الجزئي؛ لأن رد الأصل هو رد للجزء تضمنًا فيقول رحمه الله: "ومذهب هؤلاء باطل بدلائل كثيرة من الكتاب والسنة، فإن الله سبحانه أمر بقطع يد السارق دون قتله، ولو كان كافرًا مرتدًا لوجب قتله؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [**من بدل دينه فاقتلوه**][٣] وقال: [**لا يحل دم امرئ مسلم إلا**

(١) هو مالك بن دينار معدود من التابعين من أعيان كتبه المصاحف، ولد في أيام ابن عباس توفي سنة ٢٢٧هـ وقيل ٢٣٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٦٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٢٤).

(٣) البخاري، ك/ استتابة المرتدين، ب/ حكم المرتد، رقم ٦٩٢٢ (١٢/ ٢٣٧، ٢٣٩).

بإحدى ثلاث: كفر بعد إسلام، وزنا بعد إحصان، أو قتل نفس يقتل بها](١)

وأمر سبحانه بجلد الزاني والزانية مائة جلدة، ولو كان كافرين لأمر بقتلهما، وأمر سبحانه بأن يجلد قاذف المحصنة ثمانين جلدة.

وكان النبي ﷺ يجلد شارب الخمر ولم يقتله، بل قد ثبت عنه ﷺ في صحيح البخاري(٢) وغيره: أن رجلاً كان يشرب الخمر وكان اسمه عبد الله حمارًا، وكان يضحك النبي ﷺ، وكان كلما يأتي به إليه جلده، فأتي به إليه مرة فلعنه رجل فقال النبي ﷺ: **[لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله]** فنهى عن لعنه بعينه، وشهد له بحب الله ورسوله مع أنه قد لعن شارب الخمر عمومًا".

وأيضًا فإن الله سبحانه قال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ﴾ [الحجرات:٩-١٠].

"فقد وصفهم بالإيمان والأخوة وأمرنا بالإصلاح بينهم"(٣) اهـ.

ومما تقدم يتضح لنا فساد هذا القول لفساد الأصل القائم عليه ذلك أن القوم اعتمدوا على فهم فاسد للقرآن، وأعرضوا عن السنة المفسرة، فما

---

(١) مسلم، ك/ القسامة، ب/ ما يباح به دم المسلم، رقم٢٥.

(٢) البخاري، ك/ الحدود، ب/ ما يكره من لعن شارب الخمر، رقم ٦٧٨ (١٢/ ٦٦، ٦٨).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٨٢-٤٨٤)، ونثر اللآلي على نظم الأمالي لعبد الحميد الألوسي ص٢٦٤ وما بعدها ، سنة ١٣٣٠هـ، مطبعة الشابندر.

كان منهم إلا أن ضلوا وأضلوا.

قبل الختام:

قبل أن نترك هاتين الفرقتين اللتين اتحدتا في زمن النشأة ومكان المنبت نود أن نلقي الضوء على الأصول التي اتفقتا فيها، والأمور الأخرى التي اختلفنا فيها.

أولاً: ما اتفقت فيه الخوارج والشيعة.

١- الغلو:

ولكل منهم نصيب من الغلو من ناحية، فحين نجد أن الشيعة تغالي في الأفراد والأشخاص، كما غالت في علي ﷺ وآل البيت وغيرهم من أئمتهم نجد أن الخوارج تغالي في الدين وأحكامه، والبراءة وشدة الموقف من المخالفين مما أدى بهم إلى التكفير والخروج والقتال.

٢- الجهل والحمق وقصر النظر، ومن أبرز الأمثلة عليه:

لدى الشيعة: تعلقهم بل غلوهم في علي ﷺ، مع براءته من فعلهم وتأديبه لطوائف منهم.

أما الخوارج فمما يدل على جهلهم موقفهم من الصحابة ﷺ.

٣- قلة العلم الشرعي، وضعف الفقه في الدين:

ولعلنا بالنسبة للشيعة نقول فقدان العلم؛ لأنهم لا يأخذونه عن أئمة السنة، وأغلب مصادر علمهم عن الشيعة أمثالهم وفيهم متهمون

بالكذب والوضع.

أما الخوارج فإن فيهم من الاغترار بالعلم القليل، وليس منهم جلد على طلب العلم إلا أنهم يجتمعون في عدم الاهتمام بالحديث والسنن إلا ما يوافق أهواءهم.

٤- مجانبة السنة والخروج على جماعة المسلمين وأئمتهم:

فالشيعة فارقت الجماعة في الاعتقاد والعمل، وترى الخروج بالسيف لكنه مشروط عندهم بخروج مهديهم الموهوم.

والخوارج فارقت الجماعة في الاعتقاد والعمل، وخرجت على أئمة المسلمين بالسيف.

٥- ترك العمل بالحديث وآثار السلف:

وهذا اتفقنا عليه وهو في الشيعة أشهر، فكل منهم لا يعتمد على السنة الصحيحة أو أكثرها إلا فيما يرون أنه يعضد أهواءهم. ويجانبون آثار السلف.

٦- فساد الاعتقاد في الصحابة:

الشيعة (الرافضة) يكفرون سائر الصحابة، ولا يستثنون إلا نفرًا قليلاً، ويسبون كل السلف فضلاً عن سائر أهل السنة.

أما الخوارج فيكفرون الصحابة كعلي وعثمان ومعاوية وأبي موسى وعمرو بن العاص ﷺ وأصحاب الجمل وصفين أو أكثرهم، ويسبون بعض السلف، ويلزمونهم.

٧- تكفير المخالف لهم من المسلمين:

فالخوارج والشيعة كلهم يكفرون المسلمين الذين يخالفونهم، وإن اختلفت أصول التكفير عندهم وأسبابه.

فالشيعة كما يكفرون سائر الصحابة، وزعموا أنهم مرتدون فقد كفروا سائر أئمة المسلمين وعامتهم.

إلا أن الخوارج تكفر بعض الصحابة بسبب التحكيم، عمله أو إقراره، وكفروا مرتكب الكبيرة من المسلمين، وكفروا كل من خالفهم على اختلاف في درجة الكفر (كفر شرك أو كفر نعمة).

نقاط الاختلاف بين الفرقتين في أمور كثيرة منها:

١- الشيعة: غلت في آل البيت، وقدستهم.

الخوارج: أبغضوهم وناصبوهم العداء.

٢- الشيعة: تعتمد على الكذب في الرواية والتلقي لمصادر الدين، ويكذبون حتى على أنفسهم.

الخوارج: لا يكذبون في الدين لا في الرواية ولا على الخصوم لأنهم يرون الكذب من كبائر الذنوب التي توجب التكفير.

٣- الشيعة: يدينون بالتقية.

والخوارج: يعلنون أقوالهم وعقائدهم.

٤- الخوارج يلزمون أنفسهم بقتال المخالفين في أكثر الأحوال.

أما الشيعة: فإنهم غالبًا لا يقاتلون إلا مع إمام من أئمتهم.

٥- الخوارج: من الأعراب وأهل الجفاء والغلظة في الطباع غالبًا.

والشيعة: من العجم غالبًا.

٦- والشيعة: من طباعهم الخيانة والعذر والكيد الخفي لخصومهم.

الخوارج: هم بعكس ذلك فإن فيهم صراحة ومعالنة ويصدعون بالبراء من خصومهم.

٧- الشيعة: هم أهل طاعة عمياء يتبعون كل ناعق.

الخوارج: صعب قيادهم ولا يسلمون لأحد.

٨- الشيعة: أهل تأويل وتعطيل للنصوص.

الخوارج: أهل ظاهر يأخذون بظواهر النصوص دون فقه، ثم مالوا إلى مذهب المعتزلة في الصفات كالإباضية اليوم.

٩- مصادر التلقي: عند الروافض يتلقون عن المعصوم.

والخوارج: يتبعون القرآن بمقتضى فهمهم الخاطئ.

١٠- الشيعة الروافض: تقوم أصولهم على البدع والمحدثات والشركيات في الاعتقاد والعبادات وكثير من الأحكام.

أما الخوارج: فالبدع والشركيات عندهم قليلة.

١١- والشيعة عبر التاريخ أضر على الأمة وأعظم كيدًا للمسلمين.ا.هـ[(١)].

---

(١) انظر: الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام لناصر العقيل ص١٨-٢٣، دار الوطن، =

١٢- الشفاعة: الشيعة: ممن يتوسع في إثبات الشفاعة حتى جعلوها لكل من وافق هواهم.

الخوارج: ضيقوا الخناق في الشفاعة طبقًا لأصولهم فنفوها عن أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ.

=

ط:الأولى ١٤١٦هـ ودرء التعارض بين العقل والنقل (٧/ ١٣٨-١٣٩)، ومجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٧٧-٤٩١)، ومنهاج السنة (٥/ ١٥٤).

الفصل الثالث

الشفاعة عند المعتزلة

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: التعريف بهم.

المبحث الثاني: قول المعتزلة في الشفاعة.

المبحث الثالث: أدلتهم.

التمهيد

تكاد تجمع المصادر التاريخية وكتب الفرق على أن نشأة مذهب الاعتزال ترجع إلى اختلاف واصل بن عطاء[١] مع شيخه الحسن البصري[٢] رحمه الله في الحكم على مرتكب الكبيرة، واعتزاله مجلسه لهذا السبب. وفيما عدا هذه الرواية الشهيرة فإن الملطي[٣] رحمه الله يعود بنشأة المعتزلة إلى أيام تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، لأنهم كانوا من أصحاب علي فاعتزلوا الناس ولزموا البيت والمساجد قائلين: نشتغل بالعلم والعبادة فسموا بذلك (المعتزلة).

وعلى أية حال، فقد انفصلت المعتزلة وأطلقوا على أنفسهم اسم

---

(١) واصل بن عطاء، أبو حذيفة ولد بالمدينة سنة ٨٠هـ وارتحل إلى البصرة وأقام بها، ويعد واصل مؤسس مدرسة الاعتزال، وكانت له قدرة بيانية، من مصنفاته: التوبة، المنزلة بين المنزلتين، معاني القرآن. الفهرست (٢٠٢-٢٠٣)، وفيات الأعيان (٢/ ٧-١١٢)، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، ١٩٦٩م.

(٢) الحسن البصري، هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، ولد في المدينة سنة ٢١هـ/ ٦٤٢م، وانتقل إلى البصرة، وكان من خيار التابعين، من مصنفاته: تفسير القرآن، كتاب إلى عبد الملك بن مروان في الرد على القدرية. الأعلام للزركلي (٢/ ٢٤٢)، وفيات الأعيان (٢/ ٧٢).

(٣) الملطي، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن أبو الحسين الملطي العسقلاني عالم بالقرآن، من فقهاء الشافعية من أهل (ملطية)، نزل بعسقلان وتوفي بها، له مصنفات في الفقه منها التنبيه والرد. الأعلام (٦/ ٢٠٢).

المعتزلة وأطلقه عليهم غيرهم على ما سيأتي.

ففارقوا جماعة المسلمين، وانفصلوا عنهم حريصين على التميُّز والظهور بما أعلنوه من عقائدهم وأصولهم الخمسة التي وضعوها مخالفة للقرآن والسنة، ولهذا فقد قوبلوا بالاستنكار والمعارضة من جانب العلماء؛ لأنهم ابتدعوا آراء لم يعرفها الأوائل، كالحكم على مرتكب الكبيرة بأنه في (منزلة بين المنزلتين) ونفي القدر.

فكان عبد الله بن المبارك[(١)] رحمه الله حينذاك يحذر المسلمين منهم بقوله: (أيها الطالب علما إيت حماد بن زيد[(٢)] فخذ العلم بحلم، ثم قيده بقيد، وذر البدعة من آثار عمرو بن عبيد[(٣)])[(٤)].

ومع هذا فلم يستطع مؤلفو الفرق تحديد السنة التي ظهرت فيها فرقة المعتزلة؛ وذلك لأن أصول التاريخ العربي لم تعين ذلك، وكل ما حوته هذه

---

(١) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء التميمي المروزي أبو عبد الرحمن الحافظ، شيخ الإسلام المجاهد صاحب التصانيف والرحلات، أفنى عمره في الأسفار حاجًا ومجاهدًا وتاجرًا، جمع الحديث والفقه والعربية، له كتاب الجهاد، وهو أول من صنف فيه، ولد سنة ١١٨هـ/ ٧٣٦م، وتوفي سنة ١٨١هـ/ ٧٩٧م. الأعلام (٤/ ٢٥٦).

(٢) حماد بن زيد بن درهم (٩٨-١٧٩هـ) الأزدي الجهني مولاهم البصري أبو إسماعيل شيخ العراق في عصره، من حفاظ الحديث المجودين، كان ضريرًا طرأ عليه العمى، يحفظ أربعة آلاف حديث، خرج حديثه الأئمة الستة. الأعلام (٢/ ٣١٠).

(٣) عمرو بن عبيد أبو عثمان، ولد في بلخ سنة ٨٠هـ كان جده من سبي كابل، درس على الحسن البصري الفقه والحديث، توفي سنة ١٤٤هـ. وفيات الأعيان (٣/ ٤٦٠)، ط: ١٩٧٠م.

(٤) انظر: منهج علماء الحديث في أصول الدين لمصطفى حلمي ص٨٤-٨٥، دار الدعوة.

الأصول هو أن بداية ظهورهم كانت في البصرة بعد أن انشقوا عن حلقة الحسن البصري ومن المعروف أن الحسن البصري توفي سنة ١١٠هـ وأن الرجلين اللذين أسسا مدرسة الاعتزال، وهما واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، ولدا سنة ٨٠هـ فلا يعقل أن يكونا قد بدءا هذه الحركة الفكرية قبل العشرين من حياتهما وعلى ذلك تكون المعتزلة قد قامت في بداية القرن الهجري الثاني في سنة محصورة بين (١٠٠-١١٠هـ). وهذا يوافق ما يذهب إليه صاحب مروج الذهب من أنهم ظهروا بعد المائة الأولى من سني الهجرة[١].

ونشأت هذه الفرقة في العصر الأموي، ولكنها شغلت الفكر الإسلامي في العصر العباسي ردحا طويلا من الزمن. وأصل هذه الفرقة كما سبق هو واصل بن عطاء الملقب بالغزال المولود سنة ٨٠هـ والمتوفي سنة ١٣١هـ في خلافة هشام بن عبد الملك، وذلك أنه دخل على الحسن البصري رجل فقال: يا إمام الدين، ظهر في زماننا جماعة يكفرون صاحب الكبيرة ـ يريد وعيدية الخوارج ـ وجماعة أخرى يرجئون الكبائر، ويقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، فكيف تحكم لنا أن نعتقد في ذلك؟ فتفكر الحسن، وقبل أن يجيب قال واصل: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق، ولا كافر مطلق، ثم قام إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد، وأخذ يقرر على جماعة من أصحاب الحسن ما أجاب به، من أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، ويثبت له المنزلة بين المنزلتين، قائلاً:

---

(١) أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية لعائشة يوسف المناعي ص٢٣، دار الثقافة.

إن المؤمن اسم مدح، والفاسق لا يستحق المدح، فلا يكون مؤمنا، وليس بكافر أيضًا لإقراره بالشهادتين، ولوجود سائر أعمال الخير فيه فإذا مات فلا توبة خلد في النار إذ ليس في الآخرة إلا فريق في الجنة، وفريق في السعير، لكن يخفف عنه وتكون دركته فوق دركات الكفار فقال الحسن: اعتزل عنا واصل، فلذلك سمى هو وأصحابه المعتزلة[(١)].

أما أصول المعتزلة فهي خمسة:

التوحيد ـ العدل ـ الوعد والوعيد ـ المنزلة بين المنزلتين ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[(٢)].

وهذه الأصول الخمسة يجتمع الكل عليها، ومن لم يقل بها جميعًا فليس معتزليًا بالمعنى الصحيح عندهم. قال أبو الحسن الخياط أحد زعماء المعتزلة في القرن الثالث الهجري: "وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فإذا أكملت هذه الخصال فهو معتزلي.

١ - التوحيد:

فهو لب مذهبهم، ورأس نحلتهم، وقد بنوا على هذا الأصل: استحالة

---

(١) التفسير والمفسرون (١/ ٣٦٨)، وانظر: مع رسل الله وكتبه واليوم الآخر لحسن أيوب ص٤٢٤، دار القلم.

(٢) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٤٢)، مجموع الفتاوى (١٣/ ٩٨/ ١٢٦).

رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، وأن الصفات ليست شيئًا غير الذات، وأن القرآن مخلوق لله تعالى.

٢- العدل:

فقد بنوا عليه: أن الله تعالى لم ينشأ جميع الكائنات، ولا خلقها ولا هو قادر عليها كلها، بل عندهم أن أفعال العباد لم يخلقها الله تعالى، لا خيرها ولا شرها، ولم يرد إلا ما أمر به شرعا، وما سوى ذلك فإنه يكون بغير مشيئة.

٣- الوعد والوعيد:

ومضمونه أن الله يجازي من أحسن بالإحسان، ومن أساء بالسوء، لا يغفر لمرتكب الكبيرة ما لم يتب، ولا يقبل في أهل الكبائر شفاعة، ولا يخرج أحدًا منهم من النار، وبأوضح عبارة: إنهم يقولون يجب على الله أن يثيب المطيع، ويعاقب مرتكب الكبيرة، فصاحب الكبيرة إذا مات ولم يتب لا يجوز أن يعفو الله عنه، لأنه أوعد بالعقاب على الكبيرة وأخبر به.

٤- المنزلة بين المنزلتين:

وهي التي قصدها واصل بن عطاء في جوابه السائل للحسن البصري.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فهو مبدأ تقرر عندهم وواجب على المسلمين لنشر الدعوة الإسلامية وهداية الضالين وإرشاد الغاوين، ولكنهم بالغوا في هذا الأصل، وخالفوا ما عليه الجمهور، فقالوا: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون

بالقلب إن كفى، وباللسان إن لم يكف القلب، وباليد إن يغنيا، وبالسيف إن لم تكف اليد[١].

أما فرقهم فمن أهما:

الواصلية ـ العمرية ـ الهذلية ـ النظامية[٢].

(١) انظر: الحسنة والسيئة لابن تيمية ص١١٩، دار المعرفة، منهج علماء الحديث في أصول الدين ص٨٥، التنبيه والرد للملطي ص٤٢، دار الثقافة الإسلامية، ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م، الفرق الإسلامية لمحمود البشبيشي ص١٦، المطبعة الرحمانية، ط:الأولى ١٣٥٠هـ ١٩٣٢م.

(٢) منار الهدى لطالب بيان الحق والهدى لمحمد أولي بن المنذر الأنصاري ص١٦٥، مطابع المدينة، ط:الأولى ١٤٠٥هـ.

المبحث الأول: التعريف بهم.

تعريف المعتزلة لغة:

إذا نظرنا في كتب اللغة نجد أنها تُدرج المعتزلة تحت مادة عزل، يقول ابن منظور:

"عزل الشيء يعزله عزلاً، وعزله فاعتزله وانعزل وتعزل: نحاه جانبًا فتنحى، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾[الشعراء:٢١٢] معناه أنهم لما رموا بالنجوم منعوا من السمع.

واعتزل الشيء وتعزله، ويتعديان بعن: تنحى عنه.

وتعازل القوم: انعزل بعضهم عن بعض. والمعزال الراعي المنفرد"[١].

أما عن أصل الكلمة فيوضحه ابن فارس فيقول:

"عزل: العين والزاي واللام أصل صحيح يدل على تنحية وإمالة، وعزل الإنسان الشيء يعزله إذا نحاه في جانب"[٢].

أما عن معاني مادة عزل واشتقاقاتها فيقول الجوهري:

"الاسم العزلة يقال: (العزل عبادة).

والأعزل الذي لا سلاح معه[٣] وقوم عزل.

(١) لسان العرب (٢/ ٧٦٧-٧٦٨).

(٢) مقاييس اللغة ص٧٦٩.

(٣) جاء في الفائق في غريب الحديث أنه ﷺ قال: [من رأى مقتل حمزة؟ فقال رجل أعزل: أنا =

والأعزل من الخيل: الذي يقع ذنبه في جانب، وذلك عادة لا خلقة، وهو عيب.

والأعْزَلُ: سحابٌ لا مطر فيه"(١).

قال الزمخشري ﷺ: "يقال أعوذ بالله من الأعزل على الأعزل أي من الرجل الذي لا سلاح معه على الفرس المعوج العسب، فهو يميل ذنبه إلى شق والعرب تتشاءم به إذا كانت إمالته إلى اليمين"(٢).

أما الراغب فهو يضيف معنىً آخر فيقول:

"عزل: الاعتزال تجنب الشيء عمالة كانت أو براءةً أو غيرهما بالبدن كان ذلك أو بالقلب، يقال: عزلته واعتزلته وتعزلته فاعتزل"(٣).

وفي الحديث: [**سأل رجل من الأنصار عن العزل**] يعني عزل الماء عن النساء حذر الحمل(٤).

والمعتزلة: فرقة من القدرية زعموا أنهم اعتزلوا فئتي الضلالة عندهم أي أهل السنة والجماعة والخوارج(٥).

=

رأيته هو الذي لا سلاح معه] (٢/ ٢٤٥) لمحمود عمر الزمخشري، تحقيق علي البجاوي، محمد أبو الفضل، ط: الثانية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(١) الصحاح (٥/ ١٧٦٣).

(٢) أساس البلاغة ص٣٠١.

(٣) المفردات ص٣٣٤.

(٤) النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٣٠).

(٥) انظر: تاج العروس ص١٥، فصل العين باب اللام، والمنجد مادة عزل ص٥٠٤.

والمعزال المستبد برأيه.

والأعزل من الطير من لا يقدر على الطيران.

والأعزل ماء في ديار كلب في دار لهم، والأعزلان واديان يقال لأحدهما الأعزل الريان؛ لأن به ماء، وللآخر الأعزل الضمآن، قال أبو عبيدة: هما واديان يقطعان بطن المروت في بلاد بن حنظلة بن مالك.ا.هـ(١).

تعريف المعتزلة اصطلاحًا:

تختلف وجهات النظر عند الكتاب في التعريف بفرقة أو طائفة، فنجد أن بعضهم يرى أن التعريف بها من جهة التاريخ والعصر الذي نشأت فيه، وآخر يرى أن التعريف بها عن طريق سرد معتقداتها، وثالث ينظر إلى أهم رجالها فيعرفها عن طريقه وإليك الأمثلة:

فنبدأ بالشهرستاني رحمه الله:

يقول عند الحديث عن المعتزلة: "ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية والعدلية، وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركا، وقالوا: لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى، احترازًا من وصمة اللقب؛ إذ كان الذم به متفقًا عليه لقول النبي ﷺ: [**القدرية مجوس هذه الأمة**](٢) وكانت الصفاتية تعارضهم بالاتفاق

---

(١) تاج العروس ص١٥-١٦.

(٢) أخرجه أبو داود في السنة، ب/ في القدر، إسناده منقطع. انظر: جامع الأصول (١٠/ ١٣٠).

على أن الجبرية والقدرية متقابلتان تقابل التضاد، فكيف يطلق لفظ الضد على الضد؟ وقد قال النبي ﷺ: [**القدرية خصماء الله في القدر**] والخصومة في القدر انقسام الخير والشر على فعل الله، وفعل العبد لن يتصور على مذهب من يقول بالتسليم والتوكل، وإحالة الأحوال كلها على القدر المحتوم، والحكم والمحكوم"(١).

أما البغدادي رحمه الله: فقد عرض للمعتزلة، وسماهم قدرية، وعرف بهم عن طريق ذكر مقالاتهم وفرقهم، فقال: "بيان مقالات فرق الضلال من القدرية والمعتزلة عن الحق، ثم قال: إن المعتزلة افترقت فيما بينها عشرين فرقة كل فرقة منها تكفر سائرها وهن:

الواصلية ـ العمروية ـ الهذلية ـ النظامية ـ الأسوارية ـ المعمرية ـ الإسكافية...الخ.

ثم قال: ويجمعهم كلهم في بدعتهم أمور:

منها: نفيها كلها عن الله عز وجل صفاته الأزلية.

منها: قولهم باستحالة رؤية الله عز وجل بالأبصار.

منها: اتفاقهم على القول بحدوث كلام الله تعالى.

منها: أنه سبحانه غير خالق لأكساب الناس.

ومنها: اتفاقهم على دعواهم أن الفاسق من أمة الإسلام بالمنزلة بين

---

(١) الملل والنحل (١/ ٤٣).

المنزلتين.

كذلك دعوى إجماع المعتزلة: على أن الله سبحانه لا يغفر لمرتكبي الكبائر من غير توبة منهم غلطًا منه عليهم، لأن محمد بن شبيب البصري، والصالحي، والخالدي هؤلاء الثلاثة من شيوخ المعتزلة، وهم واقفية في وعيد مرتكبي الكبائر، وقد أجازوا من الله تعالى مغفرة ذنوبهم من غير توبة"[1].

أما ابن حزم رحمه الله: فقد فصل في ذكر شنع المعتزلة، وأورد ما لم يذكره غيره من دقائق أقوالهم وعاداتهم وعباداتهم[2]، وكذلك أبو الحسن الأشعري وهو أعلم بمذهبهم. فقد عاش أربعين سنة في الاعتزال.

يقول الجرجاني: المعتزلة "أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل مجلس الحسن البصري"[3].

وقد نقله عنه أحد الكتاب المحدثين، وزاد عليه فقال:

المعتزلة: "اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجًا عقليًا متطرفًا في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل مجلس الحسن البصري"[4].

أما الملطي رحمه الله: فنجده يسلك وجها آخر في التعريف بالمعتزلة

---

(١) الفرق بين الفرق ص١١٤.

(٢) الفصل في الملل من الأهواء والنحل (٥/ ٥٧)، ومقالات الإسلاميين (١/ ٢٣٥).

(٣) التعريفات ص٢٨٢.

(٤) المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق ص١٣-١٤، دار العاصمة، ١٤٠٩هـ.

فيقول: "الطائفة السادسة من مخالفي أهل القبلة هم المعتزلة، وهم أرباب الكلام وأصحاب الجدل والتميز والنظر والاستنباط والحجج على من خالفهم وأنواع الكلام، والمفرقون بين علم السمع وعلم العقل، والمنصفون من مناظرة الخصوم وهم عشرون فرقة يجتمعون على أصل واحد لا يفارقونه، وعليه يتولون وبه يتعادون، وإنما اختلفوا في الفروع[(١)].

أما من عرفها عن طريق تاريخ ظهورها فيقول:

"المعتزلة أعظم مدرسة من مدارس الفكر والكلام عرفها الإسلام وأقدمها. ظهرت في بداية القرن الهجري الثاني في مدينة البصرة التي كانت في ذلك العصر مجمعا للعلم والأدب. وقد كان أفراد مدرسة المعتزلة تجمعهم روابط متينة من وحدة العقيدة ووحدة الهدف الذي ينزعون إليه ويقفون جهودهم عليه"[(٢)].

أصل تسمية المعتزلة:

قدمنا فيما مضى تعريف كلمة الاعتزال في اللغة والاصطلاح ولكن ما سبب لصوق هذه الكلمة بتلك الفرقة ومن الذي أطلقها؟

لقد اختلف الباحثون في أصل هذه التسمية على آراء:

---

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي ص٤٠، علق عليه محمد زاهد الكوثري، مكتبة الثقافة الإسلامية، ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م.

(٢) المعتزلة لزهدي حسن جار الله ص١، مطبعة مصر، ١٣٦٦هـ ١٩٤٧م.

الرأي الأول:

التفسير الشائع الذي أورده كُتَّاب الفرق[(١)] والذي يفيد بأن كلمة "المعتزلة" لفظ أطلقه أهل السنة للتدليل على أنهم انفصلوا عنهم، واعتزلوا قول الأمة بأسرها في مرتكب الكبيرة، فهو بهذا الاعتبار اسم يتضمن نوعًا من الذم.

الرأي الثاني:

يرى جولد تسيهر[(٢)] أن هذه الفرقة الكلامية ولدت من نزعة ورعة، وأنه كان من هؤلاء الجماعة الورعين المعتزلة أي: الزهاد الذين يعتزلون الناس، ويؤيد رأيه بشبهات.

الرأي الثالث:

أن منشأ الاعتزال من أصل سياسي كما تذكر كتب التاريخ[(٣)] وأن المعتزلة الدينية أتباع واصل بن عطاء وعمر بن عبيد كانوا في الأصل استمرارًا في ميدان الفكروالنظر لفئة سياسية سبقتها في الظهور في فئة المعتزلة السياسيين الذين ظهروا في حرب صفين، وقبلها في معركة الجمل.

---

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ٥٢)، والفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٠-٢١.

(٢) جولد تسيهير: مستشرق مجري ولد سنة ١٨٥٠م، درس في بودابست، وعمل أستاذًا بجامعتها، تنقل دارسًا وباحثًا في بلاد كثيرة، صحب في سوريا الشيخ طاهر الجزائري، وأقام في القاهرة، ودرس على شيوخ الأزهر، له مؤلفات منها: الظاهرية مذهبهم وتاريخهم. الموسوعة العربية الميسرة ص٦٦٨.

(٣) انظر: تاريخ الأمم والملوك (٦/ ٣٢٤٤)، وفرق الشيعة للنوبختي ص١٠٠.

الرأي الرابع:

يقول: إن من بين الفرق اليهودية التي كانت منتشرة في ذلك العصر وما قبله طائفة يقال لهم "الفروشيم"(١) وقال إن معناها المعتزلة. وذكر بعضهم أن هذه الفرقة تتكلم في القدر وتقول: ليس كل الأفعال خلقها الله فلا يبعد أن يكون هذا اللفظ أطلقه بعض ممن أسلم من اليهود.

والرأي الأقرب للصواب في أصل تسمية المعتزلة ـ والله أعلم ـ أن اسم الاعتزال ظهر أثناء الحروب التي حصلت في عهد علي رضي الله عنه لكنه لم يطلق على فئة بعينها، بل من اعتزل عن السياسة أطلقت عليه ومن اعتزل للعبادة أطلقت عليه، ثم إن وجود هذه الحروب مما أورث الخلاف بين المسلمين وتفرقهم فرقًا، كل فرقة ترى أنها على الصواب ومن سواها على الخطأ حتى ساقها هذا إلى البحث في مرتكب الكبيرة، وقصة ذلك السائل الذي أتى الحسن البصري.

وعلى ذلك، فظهور هذه التسمية على فرقة بعينها مستقلة إنما حصل في حلقة الحسن البصري رحمه الله"(٢).

ويؤكد هذا ما ذكره صاحب مروج الذهب حيث قال: "وأما القول بالمنزلة بين المنزلتين وهو الأصل الرابع، فهو أن الفاسق المرتكب للكبائر

---

(١) انظر: المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ص٢٠٩، المطبعة النموذجية مكتبة الأدب.

(٢) انظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد بن عبد الله المعتق ص١٤-٢١، دار العاصمة، ط:الأولى ١٤٠٩هـ.

ليس بمؤمن ولا كافر، بل يسمى فاسقًا إلى أن قال: ولهذا سميت المعتزلة، وهو الاعتزال"[(١)].

الأسماء التي تطلق على المعتزلة:

إذا نظرنا إلى المعتزلة نجد أن لها أسماء كثيرة منها ما أطلقه غيرهم عليهم، ومنها ما أطلقوه هم على أنفسهم ومنها ما اشتركوا في إطلاقه مع غيرهم.

القسم الأول: ما اشتركوا في إطلاقهم مع غيرهم.

١- المعتزلة: إن كانت بمعنى المنشقين فقد سماهم بها أهل السنة لبعدهم عن المنهج الحق.

إن المعتزلة أنفسهم لما لصق بهم هذا الاسم الدال على الذم أخذوا يبرهنون على فضله، وأن المراد به الاعتزال عن الأقوال المحدثة، ويستدلون على ذلك أن لفظ الاعتزال في القرآن لم يرد إلا في الاعتزال عن الباطل قال تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾[مريم:٤٨] [(٢)].

القسم الثاني: ما أطلقه غيرهم عليه.

١- **المعتزلة**: وسبق بيانه.

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي (٣/ ١٥٤)، دار الأندلس، ١٤٠٤هـ.
ولمزيد من المعرفة يراجع أصول العقيدة ص٢٧، والمعتزلة لزهدي جار الله ص٢ وما بعدها، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازي ص٣٤، علق عليه محمد البغدادي، دار الكتاب العربي.

(٢) انظر: المنية والأمل للقاضي عبد الجبار ص٧ جمعة أحمد المرتضى، دار المعرفة.

٢- الجهمية:

سبب تلقيبهم هو أنه لما كانت الجهمية سبقت المعتزلة في الظهور واشتهرت آراؤها إلا أن سبقها للمعتزلة سبق قريب، ثم لما خرجت المعتزلة كانت قد وافقت الجهمية في مسائل كثيرة منها نفي الرؤية والصفات وخلق الكلام، لذا أصبح يطلق على كل معتزلي جهمي ولا عكس؛ لذا أطلق أئمة الأثر لفظ الجهمية على المعتزلة كالإمام أحمد في كتابه (الرد على الجهمية) والبخاري كذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "لما وقعت محنة الجهمية نفاة الصفات في أوائل المائة الثالثة على عهد المأمون وأخيه المعتصم ثم الواثق. دعوا الناس إلى التجهم وإبطال الصفات، وطلبوا أهل السنة للمناظرة، لم تكن المناظرة مع المعتزلة فقط، بل كانت مع جنس الجهمية من المعتزلة والنجارية والضرارية، وأنواع المرجئة، فكل معتزلي جهمي، وليس كل جهمي معتزليا، لأن جهمًا أشد تعطيلاً لنفيه الأسماء والصفات"[(١)].

٣- القدرية:

يلقب المعتزلة بالقدرية لنفيهم القدر، يقول البغدادي:

"... وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون أكسابهم، وأنه ليس لله عز وجل في أكسابهم وفي أعمال سائر الحيوانات صنع ولا تقدير، ولأجل

---

(١) منهاج السنة (١/ ٢٥٦)، انظر: تاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي ص٤٤، ط:الأولى، مطبعة المنار.

هذا القول سماهم المسلمون قدرية"[١]، إلا أن المعتزلة لا ترتضيه، ولذا يقولون: إنه أولى أن يطلق على من أثبت القدر خيره وشره. إلا ابن قتيبة[٢] (يرى أن مدعى الشيء لنفسه أحق أن يدعى به)[٣].

٤ - الثنوية والمجوسية:

يقول المقريزي رحمه الله[٤]: "إن المعتزلة يدعون الثنوية، لقولهم الخير من الله والشر من العبد"[٥]، ولما كان هذا القول يشبه قول الثنوية، فإن المعتزلة اكتسبوا علاوة على أسمائهم العديدة اسم المجوسية.

ولا شك أن المعتزلة لا يقبلون هذا الاسم، وهم إنما تنصلوا من اسم القدرية وأنكروه بشدة تخلصًا من وصمة لقب المجوسية، إذ كان النبي ﷺ ذم القدرية بتسميتها مجوس هذه الأمة.

---

(١) الفرق بين الفرق ص٩٤.

(٢) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد عالم في أنواع من العلوم كاللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه، سكن بغداد وحدث فيها، من تصانيفه: عيون الأخبار، غريب القرآن. ولد سنة ٢١٣هـ وتوفي ٢٧٦هـ. معجم المؤلفين (٦/ ١٥٠).

(٣) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٩٨، دار الكتب العلمية، ط:الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

(٤) هو أحمد بن علي بن عبد القادر يعرف بابن المقريزي (٧٦٩-٨٤٥هـ)، أبو العباس، مؤرخ محدث مشارك في بعض العلوم، ولد بالقاهرة ونشأ بها على مذهب أبي حنيفة، من مصنفاته الكثيرة: العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، مجمع الفوائد ومنبع الفرائد. معجم المؤلفين (٢/ ١١).

(٥) الخطط للمقريزي (٤/ ١٦٩)، مكتبة المثنى.

٥- مخانيث الخوارج:

من ألقاب المعتزلة وسبب التسمية: أن المعتزلة ولا سيما شياخهم الأولان: واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد كانوا يوافقون الخوارج في تخليد مرتكب الكبيرة في النار مع قولهم: إنه ليس بكافر، فهم قد وافقوا الخوارج في التخليد، لكن لم يجرأوا على تكفيره، لذا سموا بهذا الاسم.

٦- الوعيدية:

من أسماء المعتزلة، سماهم به أحد المرجئة في شعر قاله في هجاء أبي هاشم(١):

يعيب القول بالإرجاء حتى يرى بعض الرجاء من الجرائر

وأعظم من ذوي الإرجاء جرمًا وعيدي أصر على الكبائر

واسم الوعيدية آت من قول المعتزلة بالوعد والوعيد.

٧- المعطلة:

كان أهل السنة يطلقون على الجهمية الأولى نفاة الصفات اسم المعطلة لتعطيلها الله تعالى عن صفاته، وحين قام المعتزلة واقتبسوا عن الجهمية الأولى قولها بنفي الصفات، لزمهم اسم المعطلة.

---

(١) أبو هاشم الجبائي: هو عبد السلام بن أبي علي محمد الجبائي، كان هو وأبوه من كبار المعتزلة، وله مقالات على مذهب الاعتزال، وكان له ولد يسمى أبا علي، وكان لا يعرف شيئًا، ولد سنة سبع وأربعين ومائتين وتوفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ببغداد. وفيات الأعيان (٣/١٨٣)، سير أعلام النبلاء (١٥/٦٣).

يقول الشهرستاني: "إن من معاني التعطيل ظواهر الكتاب والسنة عن المعاني التي تدل عليها"[١].

وبما أن المعتزلة كانوا يلجأون في الآيات التي لا توافق أغراضهم إلى التأويل، فلا يبعد أن يكون سببًا آخر في تسميتهم بالمعطلة، ونجد بعض أهل السنة كابن القيم يستعملون لفظ المعطلة في كلامهم، فقد وضع ابن القيم كتابه (الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة) وهو يقصد بالدرجة الأولى المعتزلة.

القسم الثالث: ما أطلقوه على أنفسهم.

١- المعتزلة: وسبق ذكره.

٢- أهل العدل والتوحيد: وذكر المقبلي[٢] أن المعتزلة كانوا يطلقون على أنفسهم أهل العدل والتوحيد والعدلية، ولذا يقول: "وتسمي المعتزلة نفسها بالعدلية، وأهل العدل والتوحيد.ا.هـ، أما مؤرخو أهل السنة فقد ذكر الشهرستاني أنهم يسمون أصحاب العدل والتوحيد... والعدلية"[٣].

والمعتزلة يفضلون أن يدعوا بهذا الاسم، وذلك أنه علاوة على المعنى الحسن فإنه مشتق من أهم قاعدتين من قواعد الاعتزال اللتين تدور حولهما

---

(١) نهاية الإقدام ص١٢٣، تحقيق الفروجيوم، مكتبة المثنى، القاهرة.

(٢) العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآيات والمشايخ ص٣٦٨، تحقيق بشير عيون، دار البيان.

(٣) الملل والنحل (١/ ٤٩).

أكثر تعاليمهم وهما: العدل ـ التوحيد.

٣- أهل الحق والفرقة الناجية والمنزهون الله عن النقص:

كذلك هي من أسماء المعتزلة التي سموا بها أنفسهم؛ لأنهم يعتبرون أنفسهم على الحق، ومن سواهم على الباطل؛ لذا يدعون خصومهم بالمجبرة، والقدرية والمجوزة والمشبهة والحشوية والمرجئة وغير ذلك"[١].

(١) انظر في هذا الموضوع المعتزلة وأصولهم الخمسة ص٢٢-٢٧، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

المبحث الثاني: قول المعتزلة في الشفاعة

يتصل البحث في الشفاعة بالبحث في الوعد والوعيد؛ لأن المعتزلة إذا كانوا يجتمعون مع باقي الأمة في القول: إن شفاعة النبي ﷺ ثابتة لأمته، فإنهم يقولون بوجوب تخليد مرتكب الكبائر في النار، وهذان القولان يبدو عليهما التناقض في ظاهر الأمر، ولذا فإن بحث المعتزلة في موضوع الشفاعة مرتبط بموضوع الوعد والوعيد، وأيضًا الشفاعة تمثل أقوى الأدلة من جانب خصوم المعتزلة ضد مذهبهم في خلود الفساق في النار.

والمعتزلة لا يجادلون في ثبوت الشفاعة، ولكنهم يجادلون فيمن تثبت له هذه الشفاعة: وقد ذكر الأشعري مقالة المعتزلة في الشفاعة، وأنها أنكرت ثبوتها لأهل الكبائر، وقالت بإبطاله[(١)].

وقد ذكر الباقلاني أقوالهم، وحررها في كتابه الإنصاف فقال:

"اعلم أن المعتزلة افترقت فرقتين، فقوم منهم أنكروا الشفاعة أصلاً ورأسًا، وردوا الأخبار الصحيحة الواردة فيها وما دل عليه القرآن من ذلك.

وقالت الفرقة الثانية: إن للأنبياء شفاعة، وللملائكة، لكن لثلاث فرق من المؤمنين:

الفرقة الأولى منهم: أصحاب الصغائر، وليست لهم كبيرة من الذنوب.

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/ ١٦٦).

الفرقة الثانية: قوم عملوا الكبائر، وتابوا منها وندموا عليها.

والفرقة الثالثة: قوم من المؤمنين لم يعملوا ذنبًا أصلاً، فأما صاحب الكبيرة الذي مات من غير توبة، فلا شفاعة له عندهم. وكلا القولين باطل"[(١)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في مرتكب الكبيرة عند المعتزلة: "والمعتزلة ينفون عنه اسم الإيمان بالكلية واسم الإسلام أيضًا، ويقولون: ليس معه شيء من الإيمان والإسلام، ويقولون: نزله منزلة بين المنزلتين، فهم يقولون إنه يخلد في النار لا يخرج منها بالشفاعة، وهذا هو الذي أنكر عليهم، وإلا لو نفوا مطلق الاسم وأثبتوا معه شيئًا من الإيمان يخرج به من النار لم يكونوا مبتدعة"[(٢)].

يقول ناظم سلم الوصول إلى علم الأصول:

وثالثًا يشفع من أقوام ماتوا على دين الهدى الإسلام
وأوبقتهم كثرة الآثام فأدخلوا النار بذا الإجرام
أن يخرجوا منها إلى الجنان بفضل رب العرش ذي الإحسان

قال الشارح:

فهذه الشفاعة حق يؤمن بها أهل السنة والجماعة، كما آمن بها الصحابة

---

(١) الإنصاف للباقلاني ص٣٣١، تحقيق عماد الدين حيدر، عالم الكتب، ط:الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٥٧-٢٥٨).

رضوان الله عليهم... وأنكرها في عصر التابعين المعتزلة، وقالوا بخلود من دخل النار من عصاة الموحدين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ويشهدون أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويصومون رمضان، ويحجون البيت الحرام، ويسألون الله الجنة، ويستعيذون به من النار في كل صلاة ودعاء، غير أنهم ماتوا مصرين على معصية عملية عالمين بتحريمها معتقدين مؤمنين بما جاء في الوعيد الشديد"(١).

ومما يدل على أن المعتزلة لم تنكر أصل الشفاعة، بل إنما جادلوا فيمن تثبت له.

قول التفتازاني(٢) رحمه الله في الشفاعة:

"الشفاعة دل على ثبوتها النص والإجماع، إلا أن المعتزلة قصروها على المطيعين والتائبين لرفع الدرجات، وزيادة المثوبات"(٣).

يقول الأيجي(٤) في شرح المواقف:

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (٢/ ٩٦).

(٢) مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني سعد الدين عالم مشارك في النحو والبيان والفقه والمنطق، توفي بسمرقند سنة ٧٩٣هـ وكانت ولادته ٧١٢هـ، من تصانيفه: المقاصد في علم الكلام، حقائق التنقيح لصدر الشريعة في أصول الدين. انظر: معجم المؤلفين (١٢/ ٢٢٨).

(٣) شرح المقاصد لمسعود بن عمر التفتازاني (٥/ ١٥٨)، تحقيق عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، ط:الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

(٤) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الإيجي الشافعي، ولد سنة ٧٠٨هـ عضد الدين عالم في العلوم العقلية والكلام، توفي مسجونًا بقلعة دريميان، من مؤلفاته: الرسالة =

"وطلب المغفرة لذنب المؤمن شفاعة له في إسقاط عقابه عنه، وقالت المعتزلة إنما هي لزيادة الثواب، لا لدرء العقاب، لقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ [البقرة:٤٨] وهو عام في شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام وغيره"[(١)].

أما بالنسبة لكتب المعتزلة المعتمدة فإن القاضي عبد الجبار المعتزلي يثبت الشفاعة للتائبين وينكر على أبي هاشم أن الشفاعة تحسن مع إصرار المذنب على الذنب كما في العفو.

فيقول: "وجملة القول في ذلك، هو أنه لا خلاف بين الأمة في أن شفاعة النبي ﷺ ثابتة للأمة، وإنما الخلاف في أنها تثبت لمن؟ فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين...

ثم يقول شفاعة الفساق الذين ماتوا على الفسوق، ولم يتوبوا يتنزل بمنزل الشفاعة لمن قتل ولد الغير، وترصد للآخر حتى يقتله، فكما أن ذلك يقبح فكذلك ههنا"[(٢)].

= العضدية في الوضع، المواقف في علم الكلام، وكانت وفاته سنة ٧٥٦هـ. انظر: معجم المؤلفين (٥/ ١١٩).

(١) شرح المواقف للشريف الجرجاني (٥/ ٣١٣)، منشورات الشريف الرضي، مطبعة السعادة، ط:الأولى ١٣٢٥هـ ١٩٠٧م.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي ص٦٨٧-٦٨٩، (المحيط بالتكليف) السفر ٢٩ اللوحة ٧٨ ب من المصورة بدار الكتب المصرية نقلا عن المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية ص٦٤ لمحمد عمارة، ط:الأولى ١٩٧٢م، المؤسسة العربية.

ويوضح مذهب المعتزلة في الشفاعة ما ورد في شرح العقائد النسفية من أن "الشفاعة ثابتة للرسل والأخيار في حق أهل الكبائر بالمتستفيض من الأخبار خلافًا للمعتزلة، وهذا مبنى على جواز العفو والمغفرة بدون الشفاعة، فبالشفاعة أولى، وعندهم لما لم يجز لم تجز(١).

ولما كان أصل العفو والشفاعة ثابتًا بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة والإجماع قالت المعتزلة بالعفو عن الصغائر مطلقًا، وعن الكبائر بعد التوبة، وبالشفاعة لزيادة الثواب. وكلاهما فاسد، أما الأول فلأن التائب ومرتكب الصغيرة المجتنب عن الكبيرة لا يستحقان العذاب عندهم، فلا معنى للعفو.

وأما الثاني فلأن النصوص دالة على الشفاعة بمعنى طلب العفو عن الجناية"(٢).

وقد تصدى الإمام الباقلاني لتفنيد قولهم، وبيان فساده، فقال:

"فيقال لهم: أما الشفاعة للفريقين، فلا معنى لها، لأنها شفاعة إلى الله في أن لا يظلم ولا يجور على عباده بعقاب غير مستحق؛ لأن صاحب الصغيرة غير مستحق العذاب إذا فعلها مع مجانبة الكبائر عندكم وعلى

---

(١) وعند المعتزلة لما كانت مغفرة صاحب الكبيرة بدون الشفاعة ممتنعة، كانت كذلك مع الشفاعة، كمغفرة الكافر. تبصرة الأدلة لأبي المعين النسفي (٢/ ٧٩٢)، تحقيق كلود سلامة، الجفان والجابي للطباعة والنشر، ط:الأولى ١٩٩٣م.

(٢) شرح العقائد النسفية للتفتازاني ص١١٨-١٢٥، حققه كلود سلامة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

أصولكم. وكذلك التائب من الكبيرة قد أزال عن نفسه العقاب بتوبته، وصار عقابه عليها مع التوبة ظلمًا قبيحًا، فلا معنى للشفاعة فيمن هذه حاله.

فأما الشفاعة للسالم من كل الذنوب في أن يزاد على قدر ما يستحقه، فإنها خلاف الشفاعة المروية عن النبي ﷺ وآله، ولأن ذلك لم يذكر في شيء من الأخبار، وكذلك هي مخالفة للقرآن، لأن الشفاعة التي ذكرها سبحانه عن الملائكة إنما هي شفاعة في الغفران للذين تابوا من الكفر والظلم لأن يقيهم السيئات، وليس فيها ذكر الزيادة في النعيم.

ويقال لهم: ليس الكلام في الأمة في الزيادة على قدر الثواب، وإنما الكلام في الشفاعة التي جاءت بها الأخبار والقرآن فهل لها عندكم معنى أم لا؟

فإن قالوا: لا صاروا إلى جحد القرآن والروايات، وسألناهم على حد ما تقدم، وإن أثبتوها وتأولوها على بعض ما تقدم كلمناهم بها سلف، ولا جواب لهم عن شيء منه"[(١)].

مسألة الوعد والوعيد:

علمنا فيما سبق أن قول المعتزلة في الشفاعة مرتبط بأحد أصولهم الخمسة، وهو الوعد والوعيد، ولأهمية هذا الأصل فلنا وقفة معه.

---

(١) الإنصاف ص٤٢٨-٤٢٩.

تعريف الوعد والوعيد:

الوعد عند المعتزلة:

"هو الخبر الذي يفيد وصول نفع، أو منع ضرر عن الغير مستقبلاً، سواء كان هذا النفع مستحقاً كما في ثواب المطيعين، أو غير مستحق كالتفضل بالثواب غير المستحق، وسواء كان حسناً أو قبيحاً.

أما الوعيد:

فإنه كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى الغير أو تفويت نفع عنه في المستقبل، سواء كان هذا الوعيد حسناً مستحقاً مثل وعيد الله للعصاة بالعقاب، أو كان قبيحاً غير مستحق، مثل أن يتوعد السلطان بعض الناس الأبرياء بإتلاف نفسه ونهب ماله.

ويشترط المعتزلة في الوعد والوعيد اعتبار المستقبل؛ لأن الخبر[(١)] المتضمن للنفع أو للضرر في الحال لا يسمى وعداً ولا وعيداً، ولا يسمى المخبر به واعداً ولا متوعداً"[(٢)].

ويقول المعتزلة: إنه يجب عليه ـ أي المؤمن ـ أن يعلم أن وعده ووعيده حق، من أطاعه أدخله الجنة، ومن عصاه أدخله النار أبد الآبدين، لا كما يقول الجاهلون من خروج المعذبين من العذاب المهين إلى دار المتقين

(١) يراجع لتوضيح المقصد: إيثار الحق على الخلق لأبي عبد الله محمد بن المرتضى اليماني ص(٣٨٥)، مكتبة العلم بجدة، مكتبة ابن تيمية.

(٢) أصول العقيدة ص(٣٣٣-٣٤٣).

وكل المؤمنين"[١].

أما سبب تمسك المعتزلة بهذا الأصل فهو دفاعهم عن الحرية الإنسانية واحتكامهم إلى العقل، ومعنى هذا اعتقادهم أن إثابة المطيع ومعاقبة العاصي - إن لم يتب - أمر محتوم (أي يجب) على الله تعالى أن يفعله، فخلطوا بين الوعد والوعيد"[٢].

أما عن علاقة الوعد والوعيد بالشفاعة فهي أنه لما كان الوعد والوعيد عندهم ثابت وقوع؛ لأن الله تعالى صادق في وعده ووعيده - وذلك يوم القيامة - لا مبدل لكلماته، فلا يغفر الكبائر إلا بعد التوبة، فإذا خرج المؤمن من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها خلد في النار، وكان عذابه فيها أخف من عذاب الكفار؛ لذلك فإن المعتزلة أنكروا الشفاعة يوم القيامة، فتجاهلوا الآيات القرآنية التي تقول بها، وتمسكوا بالآيات التي تنفيها، لأن الشفاعة تتعارض مع مبدأ الوعد والوعيد، فلا يستطيع أحد أن يشفع عند الله لأحد، ويجعله ينجو من العقاب، بل تجد كل نفس يومئذ من الثواب بقدر عملها الصالح ومن العذاب بقدر عملها السيء.

ويؤيد هذا ما ذكره الإمام ابن حزم رحمه الله بقوله:

"وقد بنى المعتزلة على أصلهم في عدم جواز خلف الوعيد أن الذنب

---

(١) رسالة العدل والتوحيد ليحيى بن الحسن (٢/ ٧٣)، تحقيق محمد عمارة، دار الهلال.

(٢) انظر: منهج علماء الحديث في أصول الدين لمصطفى حلمي ص(٩٥)، دار الدعوة.

الكبير مخرج عن الإيمان والإسلام، فإن مات عليه فهو غير مسلم، وغير المسلم مخلد في النار"[١].

ومن أجل هذا فقد أنكروا شفاعة النبي ﷺ لعصاة المؤمنين.

الأدلة على الوعيد:

استوعب الإمام الرازي الأدلة على القطع بالوعيد ومسائله أن وعيد الفساق منقطع، ونحن هنا نلخص ما ساقه الإمام:

فقال: "اعلم أنهم تمسكوا في المسألة بالقرآن والأخبار.

أما القرآن: فمجموع ما يتمسكون به من الآيات محصور في ثلاثة أنواع:

أحدها: أنهم تمسكوا بلفظ (من) في معرض الشرط، وزعموا: أنه يفيد العموم.

ثانيها: أنهم تمسكوا بصيغة الجمع مع دخول حرف التعريف فيها.

وثالثها: تمسكوا بصيغة (الذين).

النوع الأول: فهو حجج.

الحجة الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا ﴾[النساء:١٤] ومعلوم: أن من ترك الصلاة والحج والزكاة والصوم وقتل وزنى ولاط، فقد تعدى الحدود، فإن قيل: الحدود لفظ جمع دخل فيه حرف التعريف فيفيد العموم وتعدي الحدود لا يصدق

---

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٤٥).

إلا عند تعدي جميع الحدود.

الحجة الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[النساء:٩٣] وإذا ثبت أن جزاءه ذلك، وجب أن يصل إليه. لقوله تعالى: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾[النساء:١٢٣] لا يقال: الآية نزلت في بعض الكفار؛ لأنا نقول: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

الحجة الثالثة: قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾[طه:١١١] ولا شك أن هذا الوعيد يتناول الظالم، سواء كان كافرًا أو مؤمنًا.

الحجة الرابعة: قوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[النمل:٨٩-٩٠] فلما دل النصف الأول من هذه الآية على أن الوعيد حاصل على وجه الاستدلال به: أنه تمسك بعموم اللفظ، والرسول عليه السلام ما أنكر عليه في ذلك فدل هذا على أن هذه الصيغة للعموم.

النوع الثاني: من أقسام صيغة العموم من الآيات التي تمسك بها المعتزلة في الوعيد، صيغة الجمع المحلاة بحرف التعريف.

الحجة الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾[مريم:٨٦].

الحجة الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[مريم:٧٢].

الحجة الثالثة: قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا

﴿مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ﴾[النحل:٦١] يبين أنه تعالى يؤخر عقابهم إلى يوم آخر.

ثم عقب ﷺ بعد ذلك ببيان وجه الاستدلال بهذه الآيات بعدة وجوه منها:

أولا: أن الأنصار لما طلبوا الإمامة: احتج عليهم أبو بكر ﷺ بقوله عليه السلام: [**الأئمة من قريش**](١) والأنصار عرفوا صحة تلك الحجة ولولا أن الجمع المحلى بحرف التعريف يفيد العموم، وإلا لما صحت تلك الحجة، لأن قولنا بعض الأئمة من قريش، لا ينافي كون بعض الأئمة من غيرهم.

ثانياً: أن هذا الجمع يؤكد بما يقتضي الاستغراق فوجب أن يكون هذا الجمع مقتضياً للاستغراق.

النوع الثالث: من صيغ العموم: ما يتمسك بها المعتزلة في هذا المقام، وهو صيغة الجمع المقرونة بحرف (الذين).

كقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين:١-٢]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[النساء:١٠]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾[يونس:٢٧].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٨٣)، وقال الهيثمي: رجاله ثقات. انظر: مجمع الزوائد (٥/ ١٩٢)، وصححه الألباني في كتاب السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٥٣١).
قال ابن حجر في الفتح (٧/ ٣٢): "قد جمعت طرقه عن نحو أربعين صحابيا...".

وأما الأخبار فكثيرة:

أحدها: قوله ﷺ: **[من أخذ شبراً من أرض، طوقه الله يوم القيامة من سبع أرضين]**[(١)].

وثانيها: قوله عليه السلام: **[والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله؟، قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه]**[(٢)].

وثالثها: قوله عليه السلام: **[من شرب الخمر في الدنيا، ولم يتب لم يشربها في الآخرة]**[(٣)]، ولا شك أن صيغ العموم في هذه الأحاديث متناولة للكفار، ولأهل الكبائر من أهل الصلاة.

ثم قال: واعلم أن أصحابنا[(٤)] أجابوا عن هذه الكلمات من وجوه:

المقام الأول: نسلم أن صيغة (من) في معرض الشرط تفيد العموم، ولا نسلم أن صيغة الجمع إذا كانت معرفة بالألف واللام، كانت للعموم، ويدل عليه وجوه:

أحدها: أنه يصح إدخال لفظي كل وبعض على هاتين اللفظين فيقال: كل من دخل داري وبعض من دخل داري، ويقال أيضاً: كل الناس كذا وبعض الناس كذا، ولو كانت لفظة (من) عند الشرط تفيد الاستغراق،

(١) أخرجه البخاري، ك/ المظالم، ب/ من ظلم شيئاً من الأرض، رقم ٢٤٥٤ (٥/ ٧٦).

(٢) أخرجه البخاري، ك/ الأدب، ب/ إثم من لا يأمن جاره بوائقه، رقم ٦٠١٦ (١٠/ ٣٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٥، ٢٦) في الأشربة، ومسلم: رقم (٢٠٠٣) ٧٦ في الأشربة.

(٤) يقصد الأشاعرة.

لكان إدخال لفظ الكل عليها تكريراً، وإدخال لفظ البعض عليها نقض.

وأما تمسكهم بدليل الاستثناء، فجوابه: أن الاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لصح دخوله تحت المستثنى منه، ويدل عليه وجوه:

أحدها: أنه ثبت في أصول الفقه أن ظاهر الأمر لا يفيد التكرار، مع أنه يصح أن يقال: صل إلا في الوقت الفلاني، ومن المعلوم أن الاستثناء ههنا لا يفيد إلا منع الصحة.

ثانيها: أن صيغ جموع القلة يصح دخول الاستثناء فيها، وصيغ جموع القلة لا تفيد الاستغراق، وإلا لما كانت جموع قلة.

المقام الثاني: سلمنا: أن هذه الصيغ موضوعة للعموم، ولكنها تفيد العموم قطعاً أم ظناً؟ والأول ممنوع، والثاني مسلم، فنحن ندل على أن هذه الصيغ تفيد العموم ظنا، وإذا كان كذلك، لم يجز التمسك بها في هذه المسألة.

المقام الثالث:

سلمنا أن هذه الألفاظ تفيد معنى الاستغراق إفادة قطعية، لكن العقلاء أجمعوا على أن التمسك بالعموميات مشروط بأن لا يوجد شيء من المخصصات؛ لأنه لا نزاع في جواز تطرق التخصيص إلى العمومات، فلم قلتم: إنه لم يوجد ههنا شيء من المخصصات، حتى يتم استدلالكم؟ أقصى ما في الباب أن يقال: بحثنا وطلبنا، فلم نجد شيئاً من المخصصات، لكن استدلال بعدم الوجدان على عدم الوجود، في غاية الضعف.

المقام الرابع:

هب أنه لابد للمعترض من بيان الوجه التفصيلي في أنه لا يجوز التمسك بهذه العمومات، لكنا نقول: وجد المانع عن التمسك بها.

المقام الخامس:

أن عمومات الوعيد معارضة بعمومات الوعد، وهي كثيرة في القرآن كقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾[الزلزلة:٧] وبالجملة: فالقرآن مملوء منها، وإذا عرفت هذا فنقول: عمومات الوعد راجحة على عمومات الوعيد".ا.هـ[(١)].

أما الشبهة في هذا المقام فيقول القاضي عبد الجبار:

"فاعلم أنه تعالى إذا كلفنا الأفعال الشاقة، فلابد من أن يكون في مقابلها من الثواب ما يقابله... لأنه لو لم يكن في مقابلة هذه الأفعال الشاقة ما ذكرناه كأن يكون القديم تعالى ظالما عابثاً"[(٢)].

وهذا مردود من وجهين:

١ - "ما ذكرتموه مبني على أن العبد يستحق بنفسه على الله تعالى شيئاً، وهذا باطل، فإن العبد لا يستحق بنفسه على الله تعالى شيئاً، وليس له أن يوجب على ربه شيئاً لا لنفسه ولا لغيره.

---

(١) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (٢/ ٢١٢-٢٢٨)، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، ط:١، ١٤٠٦هـ.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة ص٦١٤-٦١٥.

ووجوب إثباته سبحانه تعالى لعباده الطائعين، إنما كان ذلك لإخباره به، وهو صادق في وعده لا يخلف الميعاد.

٢- إن الله تعالى لو قدر أنه عذب من يشاء من عباده، لم يكن لأحد منعه ولا يكون بذلك ظالماً، قال تعالى: ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[المائدة:١٧].

واستدلوا لوجوب الوفاء بالوعيد على الله تعالى "بأن الطريق في الوعد والوعيد واحدة، وكما أنه لا يجوز الخلف في الوعد، فكذلك لا يجوز الخلف في الوعيد"[١].

وهذا أيضاً مردود:

بأن الطريق في الوعد والوعيد ليست متحدة، فالوعد حق على الله تعالى لعباده، والوعيد حق لله تعالى على عباده، وفرق بين الأمرين، ولهذا اتفق أهل السنة والجماعة على أنه يجب على الله تعالى الوفاء بما وعد به عباده، لكونه سبحانه صادقاً في خبره، والصادق لا يخلف الميعاد، فهم يوجبون ذلك بحكم الوعد، لا بحكم الاستحقاق، فالوعد أوجبه الله تعالى على نفسه، والاستحقاق أوجبه العبد على ربه، والعبد لا يملك الإيجاب على ربه".ا.هـ[٢].

---

(١) شرح الأصول الخمسة ص١٣٦.

(٢) آراء المعتزلة الأصولية لعلي بن سعد الضويحي ص١١٨-١١٩، مكتبة الرشد، ط:١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.، انظر في الرد على أهل الزيغ والبدع للأشعري ص١٢٩، دار لبنان للطباعة والنشر، ط:١ ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م، ومدارج السالكين ابن القيم (١/ ٣٩٦).

مسألة مرتكب الكبيرة:

من عقيدة أهل السنة والجماعة أن مرتكب الكبيرة من أهل التوحيد لا يكفر ولا يخلد في النار إذا مات عليها بدون توبة، بل هو مؤمن بإيمانه، عاص لله، فاسق في الدنيا بكبيرته، وفي الآخرة يبقى تحت مشيئة الله، إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه، وإن عذبه فلا يخلد في نار جهنم.

والحكم على مرتكب الكبيرة من المسائل التي كانت سبباً في ضلال بعض الفرق، وذلك راجع لأسباب: منها عدم فهمهم لكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، أو الاعتماد على العقل وتحكيمه في النصوص أو اتباع الأهواء والشهوات.

فالصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لم يكن أحد منهم يكفر مرتكب الكبيرة؛ ذلك أن هذا الحكم خاص بالله ورسوله، بل إن الصحابة كانوا يمسكون عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعوا النبي ﷺ يقرأ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النساء:٤٨] فعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: [**ما زلنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا من نبينا ﷺ يقول:** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النساء:٤٨، ١١٦] **قال: فأمسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا، ونطقنا به ورجوناه**](١).

---

(١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد لأبي بكر البيهقي ص١٥١، تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، ط:١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م وص٢٤٥، تحقيق أبو العينين، دار الفضيلة.

وما زال الأمر على ما هو عليه حتى ظهرت البدع، وبعد الناس عن عصر النبوة وظهرت بدعة الخوارج بتكفير مرتكب بسبب إنكارهم للتحكيم، ثم ظهرت بدعة المعتزلة وقالوا: إنه في منزلة بين المنزلتين، أي لا مؤمن ولا كافر، وقالت كلتا الطائفتين: إنه خالد في نار جهنم، ونجد محمد بن نصر المروزي[١] يبين أن سبب ضلال المعتزلة أنها: "قد غلت في تأويل هذه الأخبار التي جاءت في نفي الإيمان عمن ارتكب الكبائر من أهل الأهواء والبدع"[٢].

ولا يغيب عنا هنا أن من أسباب ضلالهم أنهم لا يرون أن للمعاصي تأثيراً على الإيمان، أما أهل السنة والجماعة فيرون أن المعاصي توهن الإيمان وتنقصه.

ويوضح هذا جلياً شيخ الإسلام حيث يقول:

"إنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب إشارة إلى بدعة الخوارج المكفرة بمطلق الذنوب، فأما أصل الإيمان الذي هو الإقرار بما جاءت به الرسل عن الله تصديقاً وانقياداً له، فهذا أصل الإيمان الذي من لم يأت به فليس بمؤمن... فعلم أن الإيمان يقبل التبعيض، والتجزئة وأن قليله يخرج الله به من النار من دخلها، ليس هو كما يقوله الخارجون عن مقالة أهل

(١) محمد بن نصر المروزي أبو عبد الله (٢٠٢-٢٩٤)هـ ففيه أصولي محدث حافظ ولد ببغداد وتفقه بمصر على أصحاب الشافعي، توفي بسمرقند، من تصانيفه: الصلاة، الوتر، قيام الليل. انظر: معجم المؤلفين (٢/ ١١).

(٢) الإمام محمد بن نصر المروزي جهوده في بيان عقيدة السلف لموسم بن منير بن مبارك النفيعي (٢/ ٧٢٥)، دار الوطن، ط:١، ١٤١٦هـ.

السنة: إنه لا يقبل التبعيض والتجزئة، بل هو شيء واحد، إما أن يحصل منه، أو لا يحصل منه شيء"(١).

ونحن نفصل بحول الله وقوته مقالة المعتزلة في مرتكب الكبيرة، ونسرد أدلتهم والرد عليها إن شاء الله تعالى.

فالمعتزلة يقولون:

"إن كانت المعصية كبيرة فاسم مقترفها (الفاسق) لا المؤمن ولا الكافر، فيخرج به صاحبها من الإيمان، ولا يدخل في الكفر، فيكون بمنزلة بين المنزلتين، لأن الناس اختلفوا فيه:

فمنهم من قال: إنه مؤمن بما معه من التصديق فاسق بما اقترف من الذنب، وهو قول أهل السنة والجماعة.

ومنهم من قال: إنه كافر، وهو فاسق، وهو قول الخوارج.

ومنهم من قال: إنه منافق وهو فاسق، وهو قول الحسن البصري(٢).

فاتفقت الأمة على إطلاق اسم الفاسق، واختلفوا فيها وراء ذلك، فأخذنا بالمتفق عليه، وتركنا ما اختلفوا فيه، فقلنا: إنه فاسق وليس بمؤمن ولا كافر ولا منافق وحكمه أنه مخلد في النار إن مات قبل التوبة"(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٧٤-٤٧٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ابن تيمية (٧/ ٥٢٣-٥٢٤).

(٣) التمهيد لقواعد التوحيد لأبي المعين النسفي ص٣٥٧، تحقيق: حبيب الله حسن أحمد، دار الطباعة، ط:١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

وقد عرض صاحب الانتصار لهذه القضية ودلل على أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين بالأدلة العقلية والنقلية، وقرر أن قول المعتزلة هو مما يعلم بالاضطرار فيقول:

"فكيف يكون واصل بن عطاء ﷺ والمعتزلة قد خرجوا من الإجماع بقولهم بالمنزلة بين المنزلتين؟ وهل يكون قول أوضح صواباً، ولا أصح معنى من قول المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين، ولو كان شيء من الدين يعلم صوابه بالاضطرار لعلم قول المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين؟ باضطرار"[(١)]، أما القاضي عبد الجبار فيقول: إن "صاحب الكبيرة لا يسمى مؤمناً ولا كافراً ولا منافقاً، بل يسمى فاسقاً، وكما لا يسمى باسم هؤلاء، فإنه لا يجري عليه أحكام هؤلاء، بل له اسم بين الاسمين أو حكم بين الحكمين"[(٢)].

والجواب عن هذا:

"ما يزعمه المعتزلة أن نأخذ المتفق عليه، ونترك المختلف فيه قول باطل، لأن ذلك يصير إلى إحداث قول لم يكن من الأمة، وخروج عن جميع أقاويل السلف، وهذا خرق للإجماع، وخروج عنه، وهو باطل بالإجماع، وفيه أيضاً إحداث القول بمنزلة بين الإيمان والكفر، وهو خروج عن

(١) الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد لأبي الحسن عبد الرحيم الخياط المعتزلي ص١٥٣، تحقيق: تيبرج، دار الندوة الإسلامية، ١٩٨٧م.

(٢) شرح الأصول الخمسة ص١٣٩-١٤٠، وفضل الاعتزال ص٦٤ نقلاً عن آراء المعتزلة الأصولية ص١٢٣.

الإجماع، والأخذ بالإجماع بمخالف الإجماع من وجهين جهل فاحش.

ثم الأمة إذا اختلفت في شيء على أقاويل صار ذلك منهم إجماعاً على أن ما عدا هذه الأقاويل باطل، فكان الواجب بعد ذلك البحث عن هذه الأقاويل وعرضها على الدلائل، واتباع ما شهد الدليل بصحته وعند العجز عن التمييز بين الحق منها والباطل يجب التوقف والرجوع إلى من أكرم بالعلم والخضوع له والتعلم منه.

فأما جعل التوقف الذي هو مقتضى تعارض الأدلة ونتيجة العجز عن ترجيح البعض على البعض، ومن موجبات الحيرة مذهبا يتمسك به وعقيدة يدان بها محيد عما توجبه العقول وتقتضيه الأصول وبالله العصمة"[١].

الأدلة والرد عليها:

١-الأدلة النقلية ٢- الأدلة النقلية.

١-الأدلة النقلية:

أولاً: استدلوا بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾[الأحزاب:٤٣].

فوصف نبيه بالرأفة والرحمة بالمؤمنين، فقال: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١٢٨].

وقال في الزانيين: ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾[النور:٢].

---

(١) التمهيد لقواعد التوحيد ص٣٦١-٣٦٢.

قالوا: فلو كانا مؤمنين لما أمر بترك الرأفة بهما، وكيف يصف رسول الله ﷺ بالرأفة بالمؤمنين، ويأمره أن لا تأخذه رأفة بالزانيين؟ لولا أن الزانيين ليسا بمؤمنين، لأنهما لو كانا مؤمنين لكان الذي وصفه به من الذي نهاه عنه، وغير جائز أن يصفه بصفة وينهاه عنها، لأن ذلك يتضاد ويختلف.

قالوا: فدل ما وصفناه على أن الزانيين ليسا بمؤمنين.

الجواب:

وقد تصدى لهذه الشبهة الإمام محمد بن نصر المروزي، ودحضها بالأدلة الواضحة، فقال: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [**ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم فيجعل صفائح فيكوى بها جبينه وجنباه، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**...]الحديث(١)، ثم قال ابن نصر: "فهذا الحديث حجة على أهل الأهواء كلهم من الخوارج والمعتزلة وغيرهم؛ لأنهم كلهم خلا المرجئة ـ يزعمون أن مانع الزكاة إذا مات غير تائب أنه من أهل النار خالداً مخلداً لا يخرج منها أبداً وأيسوه من رحمة الله تعالى ومن شفاعة الشافعين.

فأكذب النبي ﷺ مقالتهم في الحديث، فأخبر أن الله عز وجل يعاقب مانع الزكاة بالعقوبة التي ذكرها، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار،

---

(١) رواه مسلم، ك١٢ ب٦ ح٢٦.

فأطمعه في دخول الجنة، ولم يؤيسه من رحمة الله تعالى، خوفه دخول النار ولم يؤمنه منها.

فدل ما ذكرنا أن مانع الزكاة ليس بكافر ولا مشرك، إذ أطمعه في دخول الجنة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء:٤٨].

ودل ذلك أيضاً على أنه مؤمن، إذ أطمعه في دخول الجنة لقول النبي ﷺ: [**لا يدخل الجنة إلا مؤمن**][(١)].

ثم إضافة على ذلك فإن "الشرع يدل على درء السيئات بالحسنات، فإحباط العقاب أحق، وقد قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود:١١٤] ثم الطاعات ثابتة على حقائقها، صحيح أداؤها.

والإصرار على الكبائر، لو كان يدرأ ثواب الطاعات كالردة، ومفارقة الملة، فإنها لما كانت محبطة، كانت منافية لصحة العبادات، ثم الثواب يستحق على الطاعات، وإن كان عندهم بحسها ووقوعها طاعات، وذلك يتحقق مع الكبيرة الواحدة محققة دونها"[(٢)].

أما الآيات من القرآن الكريم التي تأولوا فيها المعاني لتوافق أهواءهم، ونحن نسوق بعضاً منها، والرد عليها:

قال تعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾[الليل:١٥-١٦].

---

(١) مسلم: الصلاة (٢/ ١٠١٤).

(٢) الإمام أحمد بن نصر المروزي (٢/ ٧٢٨-٧٢٩).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا ﴾[النساء:١٤].

وقال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾[البقرة:٨١].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا ﴾ [النساء:٩٣].

وأيضاً قالوا: إن الرب سبحانه ذكر حال الأشقياء، وحال السعداء، وربط الخلود بهما، ولم يذكر في الكتاب العزيز قسماً ثالثاً.

فقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ ﴾[هود:١٠٨] وقال: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ ﴾ [هود:١٠٦] وقال: ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾[الشورى:٧].

واستدلوا أيضاً بقصة إبليس لعنه الله، إذ كان عارفاً بالله تعالى مطيعاً له غير أنه ارتكب كبيرة، وهي الامتناع عن السجود لآدم عليه السلام مما استوجب اللعنة والكفر والتخليد في النار.

الجواب عن هذه الشبه:

أما قوله: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ فمعناه يكفر بالله ورسوله، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ ﴾ وتعدي جميع الحدود، لا يتصور إلا من كافر، وأما المؤمن المطيع لله سبحانه المستعين بسننه، كيف يكون متعدياً جميع الحدود بمعصية واحدة؟

وكذلك قوله: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[البقرة:٨١] وكذلك قوله: ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾[النساء:٩٣].

والعمد من كل وجه لا يتصور إلا من الكافر.

وآية ذلك: أن الرب تعالى لما ذكر القصاص، ووجوبه، لم يقرنه بالوعيد والخلود، وحيث ذكر الخلود لم يتعرض للقصاص، وذلك أصدق دلالة على أن التوعد بالخلود للكافر المستحل الذي لا يجري ظواهر الأحكام.

فإن المرجئ الذي لم يلتزم أحكامنا إذا قتل لم نقض عليه بوجوب القصاص.

ثم الخلود، وإن كان ظاهراً في التأبيد، فليس هو نصاً فيه، فقد يطلق، والمراد به امتداد مدد تطاول أمدها، وعلى هذا التأويل تحيى الملوك بتخليد الملك، ويعارض استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النساء:١١٦]، وقد جاء في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة باب في سياق ما روي من أن القاتل عمداً له توبة، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنًا ... ﴾ وأنها منسوخة بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ ثم ذكر ما روي عن السلف في إثبات التوبة لكل ذنب، ثم ذكر حديث القاتل تسعة وتسعين، وكيف أنه مع ذلك كانت له توبة(١).

---

(١) انظر: المنتقى من شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي ص(٢٣٠) اختصره محمود آل موفي.

وهذا نص في محل النزاع، ولا سبيل لهم إلى حمل الآية على التوبة من وجهين:

أحدهما: أن قبول التوبة حتم عندهم، فلا سبيل إلى تعلق التوبة بالمشيئة.

الثاني: أنه تعالى فرق بين الشرك وما دونه، والتوبة عن الشرك تجبه، كما أن التوبة عن المعاصي تسقط أوزارها"[١].

ومما يدل على فساد قولهم أمرين:

الأول: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ [البقرة:١٧٨] سمى القاتل بغير الحق مؤمنا، فثبت أن صاحب الكبيرة مؤمن.

الثاني: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] ولو كان الجمع بين المعصية والإيمان محال، لما صح هذا الكلام، وخرج عن كونه مفيداً، وهو باطل"[٢].

٢-الأدلة العقلية:

قالوا: استحقاق الخلود في العقاب يختص بالكبائر.

والمعتزلة قسموا الذنوب إلى الصغائر والكبائر، والعقاب عندهم أو أكثرهم لا يجب وجوب الثواب، فإن الثواب لا يجوز حطه، والعقاب يجوز

---

(١) لباب العقول ص(٣٩٥-٣٩٦).

(٢) المسائل الخمسون في أصول الدين، للإمام فخر الدين الرازي ص(٦٩-٧٠)، تحقيق أحمد حجازي السقا، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع.

إسقاطه عند البصريين وفريق من البغداديين.

الجواب:

هذا المذهب يناقض معظم الآيات من الكتاب والأخبار من السنة، ويغلق باب الرحمة ويفضي إلى اليأس والقنوط.

وقد قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزمر:٥٣].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:١١٦].

وقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾[الشعراء:٢٢٧].

ففرق بين الإيمان والعمل، وخاطب في كل آية الفاسقين بخطاب المؤمنين.

ومن أوضح ما يلزمهم أن نقول:

من أصلكم أن الوعيد على التأبيد يستحق بزلة واحدة، ويحبط لأجلها ثواب الطاعات، وذلك ـ مع تسليم فاسد أصولكم في القول بالتحسين والتقبيح ـ مستحيل.

فإن مرجع العقود عندكم ومداركها إلى أمثلة في الشاهد، ونحن نعلم أن من خدم غيره، وبلغ جهده دائباً في رعاية حقه مائة سنة فصاعداً، ثم بدرت منه بادرة واحدة، فليس يحسن إحباط جميع حسناته بسيئة واحدة،

وإن كان الثواب والعقاب متنافيين.

فليس الثواب بأن يحبط أولى من العقاب بأن يسقط"[١].

(١) لباب العقول لأبي الحجاج المكلاتي ص٣٩١-٣٩٢، ط. الأولى ١٩٧٧م، دار الأنصار.

المبحث الثالث: أدلتهم

استدل المعتزلة على مذهبهم بأدلة نقلية وعقلية على إثبات أن الشفاعة للتائبين وليست لأهل الكبائر العاصين.

المطلب الأول: الأدلة النقلية.

النوع الأول:

استدلوا بآيات الكتاب الحكيم في إثبات تعذيب أصحاب الذنوب والمعاصي في النار، وعدم إخراجهم منها، وأن هذا يدل على عدم ثبوت الشفاعة يوم القيامة لأهل العذاب.

قال القاضي عبد الجبار: "دلت الدلالة على أن العقوبة تستحق على طريق الدوام، فكيف يخرج الفاسق من النار بشفاعة النبي ﷺ، وقال: ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾[الزمر:١٩] [١].

ونجد أنه في موضع آخر من كتبه يذكر وجه الاستدلال فقال: "إن هذه الآية تدل على أنه ﷺ لا يشفع للفجار والفساق؛ لأنه لو شفع لهم لوجب أن يكون منقذاً من النار، وقد نفى الله تعالى عنه ذلك"[٢].

---

(١) شرح الأصول الخمسة ص(٦٨٩).

(٢) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار، القسم الثاني ص(٥٩٢) تحقيق عدنان زرزور، دار التراث.

قوله تعالى: ﴿ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[غافر:١٨].

"قالوا: والظالم هو الآتي بالظلم، وذلك يتناول الكافر وغيره، لا يقال: إنه تعالى نفى أن يكون للظالمين شفيع يطاع، ولم ينف شفيعاً يجاب القول، لأنا نقول: الجواب عنه من وجهين:

الأول: أن كل عاقل يعلم أنه ليس في الوجود أحد يطيعه الله تعالى، فلا يكون في حمل الآية على ما ذكرتم فائدة.

الثاني: أن الشفيع دون المشفوع إليه، لأنه لو كان فوقه يسمى آمراً وحاكماً، ولا يسمى شفيعاً، فلفظ الشفيع أفاد كونه دون الله تعالى، فلم يمكن حمل قوله "يطاع" على من فوقه. فكان المراد: أنه ليس لهم شفيع مقبول القول"[1].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[البقرة:٢٧٠] والشفيع لا شك أنه من الأنصار.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴾[الانفطار:١٤-١٦].

قالوا: "ولو كانت الشفاعة مقبولة في حق العصاة إما في إسقاط العقاب أو في الإخراج من النار بعد الدخول فيها لكان قوله: ﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا

---

(١) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي (٢/ ٦٠)، دار الفكر، والأربعين في أصول الدين للرازي (٢/ ٢٤٩)، ط.الأولى، ١٤٠٦هـ، دار التضامن.

بِغَآئِبِينَ﴾ خلفاً"(١).

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[الزخرف:٧٥]، وقوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦]، وقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾[السجدة:٢٠].

قال القاضي عبد الجبار في الاستدلال بهذه الآيات:

"لو كان الفاسق يخرج من النار إما بانقطاع ما يستحقه من النار، أو بالشفاعة لما صح ما ذكره الله تعالى من أنه كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها"(٢).

الجواب عن شبه استدلالهم بهذه الآيات: يرد على هذه الشبهة من عدة وجوه كما يأتي:

الوجه الأول:

أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر الأئمة يقرون بما تواترت به الأحاديث(٣) الصحيحة عن النبي ﷺ أن الله يخرج من النار قوماً من عصاة

(١) الأربعين في أصول الدين (٢/ ٢٥٠).

(٢) متشابه القرآن ص(٥٦١) من القسم الثاني.

(٣) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢/٦) ص(١٠٨٩)، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ابن تيمية ص١٠٨-١١٢، تحقيق عبد الرحمن اليحيى، دار الفضيلة، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٥٢٤) بتحقيق التركي.

المؤمنين بعد أن يعذبهم الله ما شاء أن يعذبهم، ويخرجهم بشفاعة محمد ﷺ.

الثاني: أن الآيات التي احتج بها المنكرون للشفاعة خاصة بالكفار فقط، ومما يدل على ذلك ما ورد في كتاب البعث والنشور من قوله: "آيات التخليد كلها في الكفار"(١) كذلك ما ورد في كتاب تمهيد الأوائل حيث يقول: "جميع هذه الآيات وما كان بمعناها يراد بها أهل الكفر والجحد والتكذيب، ولم يعن بهذا الوعيد أحداً من أهل الإسلام"(٢).

أما الجواب عن استدلالهم بالآيات مفصلاً:

١ – فقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ [الزمر:١٩]، المراد بكلمة العذاب هاهنا هي قوله تعالى لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[ص:٨٥] ومعنى الآية: التسلية لرسول الله ﷺ؛ لأنه كان حريصاً على إيمان قومه، فأعلمه الله أن من سبق عليه القضاء وحقت عليه كلمة الله لا يقدر رسول الله ﷺ أن ينقذه من النار.

٢– أن معنى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[آل عمران:١٩٢] ربنا إنك من تدخل النار من عبادك فتخلده فيها فقد أخزيته، ولا يخزى مؤمن مصيره إلى الجنة، وإن عُذب

(١) البعث والنشور للبيهقي ص(٤٩)، تحقيق عامر حيدر، ط.الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية.

(٢) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني ص(٤٢٤)، تحقيق عماد الدين حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية.

بالنار بعض العذاب. فهذه الآية خاصة بمن لا يخرج من النار، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ أي الكفار، وهذه الآية ليس فيها ما يدل على تخليد كل من أُدخل النار أو على نفي الشفاعة.

٣- أما قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾[السجدة:٢٠] وغيرها فقد أجمع المفسرون على أن المراد بالذين فسقوا هم الذين كفروا وفارقوا طاعته"(١).

النوع الثاني:

الاحتجاج بنصوص الوعيد في الكتاب والسنة دالة على التصريح بالخلود في النار أو الحرمان من الجنة لمرتكبي بعض المعاصي، وأن في هذا دلالة على عدم إمكان الشفاعة لهم يوم القيامة.

* قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[النساء:٩٣].

واستدلوا بما روي عن النبي ﷺ: [**من تحسى سماً وقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالداً فيها أبداً**](٢) وفي الصحيحين(٣) عن أبي هريرة ﷺ قال:

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ١٠٧)، دار الحديث، وابن كثير (٣/ ٤٦٣) مطبعة الشعب، ولمزيد من الرد انظر: الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين لناصر الجديع ص(١١٤-١١٧)، دار أطلس للنشر والتوزيع.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٤٧٨).

(٣) رواه البخاري (٧/ ٣٢)، ومسلم، ك/ الإيمان، ب/ ٤٧ (١/ ١٠٣) رقم ١٧٥.

قال رسول الله ﷺ: [**من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً**].

وجاء أيضاً في الصحيحين عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: [**لا يدخل الجنة نمام**][1].

الجواب عن هذا:

١ - "أن ما ورد من الوعيد بالخلود في النار أو الحرمان من الجنة لمن ارتكب تلك الذنوب محمول على من استحل ذلك، فإنه يصير باستحلاله كافراً، أما من فعلها معتقداً تحريمها فلا يلحقه هذا الوعيد، وإن لحقه وعيد الدخول في النار لكنه دون تخليد"[2].

٢- "أن هذا جزاء من فعل شيئاً من تلك الذنوب، ولكن الله تكرم على الموحدين فأخرجهم من النار إلى الجنة بتوحيدهم".

٣- أن هذا وعيد، وإخلاف الوعيد لا يذم بل يمدح، والله تعالى يجوز عليه إخلاف الوعيد، ولا يجوز عليه خلف الوعد، والفرق بينهما أن الوعيد حقه فإخلافه عفو وهبة، وذلك موجب كرمه وجوده وإحسانه، وأن الوعد حق عليه أوجبه على نفسه، والله لا يخلف الميعاد.

٤- أن هذه النصوص وأمثالها مما ذكر فيه المقتضي للعقوبة، يقال في شأنها: لا يلزم من وجود مقتضى الحكم وجوده، فإن الحكم إنما يتم بوجود

---

(١) صحيح البخاري، ك/ الأدب، ب/ إثم القاطع (٧/ ٧٢)، ومسلم (٤/ ١٩٨).

(٢) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٩٥).

مقتضيه وانتفاء مانعه، وغاية هذه النصوص الإعلام بأن كذا سبب للعقوبة، ومقتض لها وقد قام الدليل على ذكر الموانع، كالتوبة والتوحيد والحسنات العظيمة الماحية، والمصائب الكبار المكفرة، وإقامة الحدود ونحوها"[١].

٥- إن هذا يحمل على من فعله على وجه التكذيب للصادق فيما أخبر به أن هذا الفعل كبيرة حرام ونحو ذلك، وهذا صحيح لأن الرسول ﷺ قال: [**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة**] فقال أبو ذر: وإن زنا وإن سرق؟ فقال: [**وإن زنا وسرق وقتل وشرب الخمر، وإن رغم أبي ذر**][٢]، فصح ما قلناه، وقبلنا جميع الأخبار الصحاح، ولم نضرب بعضها ببعض، ولا أسقطنا بعضها ببعض، كما يفعل أهل البدع الذين ضاهوا اليهود في قولهم: ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾[النساء:١٥٠] [٣].

النوع الثالث:

الاحتجاج بما جاء في القرآن الكريم من الآيات النافية للشفاعة، وأنها لا تنفع العصاة يوم القيامة، وإنما تختص بزيادة درجات أهل الجنة.

ومن الآيات التي استدلوا بها:

قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[المدثر:٤٨].

---

(١) الشفاعة والرد على المخالفين ص(١١٩-١٢٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٤٣).

(٣) الإنصاف للباقلاني ص(٢٣٦).

قال الزمخشري[(١)] عند هذه الآية مقرراً إنكار الشفاعة لعصاة المؤمنين وغيرهم ما عدا الشفاعة في رفع الدرجات في الجنة: "لوشفع لهم الشافعون جميعاً، الملائكة والنبيون وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم، لأن الشفاعة لمن ارتضاه الله، وهم مسخوط عليهم، وفيه دليل على أن الشفاعة تنفع يومئذ؛ لأنها تزيد في درجات المرتضين"[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ [غافر:١٨].

قالوا: "فالله تعالى نفى أن يكون للظالمين شفيع البتة، وأصحاب الكبائر ظالمون"[(٣)].

وقوله: ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ﴾[البقرة:٢٥٤].

قالوا: "ظاهر الآية يقتضي نفي الشفاعات بأسرها"[(٤)].

قوله: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة:٤٨].

قالوا: "فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة، لأنه نفى أن تقتضي نفس عن نفس حقاً أخلت به من فعل أو ترك، ثم نفى أن يقبل منها شفاعة

---

(١) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري جار الله أبو القاسم، عالم بالتفسير واللغة والأدب، سافر إلى مكة فجاور بها زمناً ملقب بجار الله، أشهر كتبه: الكشاف، أساس البلاغة. ولد عام ٤٦٧هـ وتوفي عام ٥٣٨هـ (١٠٧٥م ـ ١١٤٤م). الأعلام (٨/ ٥٤).

(٢) الكشاف (٤/ ١٦٢)، دار الفكر.

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١/ ٣٧٩)، ط.الثالثة (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م)، دار الكتاب العربي.

(٤) التفسير الكبير للرازي (٢/ ٦٠)، ط.الأولى، دار الفكر.

شفيع"[١].

وقوله: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[الأنبياء:٢٨] والفاسق غير مرتضى، وقوله: ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾ [الزمر:١٩].

قالوا: "أخبر تعالى عن ملائكته أنهم لا يشفعون لأحد إلا أن يرتضيه الله عز مجل، والفاسق ليس بمرتضى عند الله تعالى وإذا لم تشفع الملائكة له فكذا الأنبياء عليهم السلام لأنه لا قائل بالفرق"[٢].

الجواب:

يجاب عن هذه الشبه بأن ما جاء في القرآن الكريم من آيات الشفاعة المنفية يتعلق بالكفار فقط، بخلاف عصاة الموحدين، فإن الشفاعة ثابتة لهم، كما دلت عليه النصوص الشرعية من القرآن والسنة المثبتة للشفاعة.

قال ابن حزم ﷺ: "قد صحت الشفاعة بنص القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فصح يقيناً أن الشفاعة التي أبطلها الله عز وجل هي غير الشفاعة التي أثبتها عز وجل، وإذ لا شك في ذلك فالشفاعة التي أبطل عز وجل هي الشفاعة للكفار الذين هم مخلدون في النار... فإذ لا شك فيه فقد صح يقيناً أن الشفاعة التي أوجب الله عز وجل لمن أذن له واتخذ عنده عهداً ورضي قوله، فإنما هي لمذنبي أهل الإسلام

(١) متشابه القرآن ص(٩٠).

(٢) التفسير الكبير للرازي (٢/ ٦٠).

وهكذا جاء الخبر الثابت"[١].

وأما الشفاعة في زيادة درجات أهل الجنة فهذه لا خلاف عليها، لكن لا يعني هذا التأويل جميع نصوص الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات، فهذا باطل، وألفاظ النصوص الشرعية في الشفاعة صريحة في بطلان ذلك[٢].

هذا بالنسبة للرد المجمل أما الرد المفصل على استدلالهم بالآيات التي احتجوا بها فهو كما يأتي:

١ - قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[المدثر:٤٨].

"المراد بهذه الآية الكفار، حيث لا تنفعهم الشفاعة يوم القيامة.

وهو يدل بسبب التخصيص على ضد هذا الحكم في حق المؤمنين"[٣].

٢ - قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ﴾[غافر:١٨].

قال الإمام ابن جرير الطبري ﷺ مبيناً معنى الآية "ما للكافرين بالله يومئذ من حميم يحم لهم فيدفع عنهم عظيم ما نزل بهم من عذاب الله، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم، فيطاع فيما شفع، ويجاب فيما سأله"[٤].

فصار المراد بالظالمين الكفار، فإن الظالم على الإطلاق هو الكافر.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٦٤).

(٢) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (٣/ ٣٥)، راجعه خليل الميس، ط.الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

(٣) انظر: التفسير الكبير (٢/ ٦٩)، انظر: الشريعة للآجري ص(٣٣٥) أنصار السنة المحمدية.

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٣).

٣- قوله تعالى: ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ﴾ [البقرة:٢٥٤].

والجواب عن هذه الآية هو الجواب عن قوله: ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ ﴾ [البقرة:٤٨] فهب أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إلا أن تخصيص مثل هذا العام بذلك السبب المخصوص يكفي فيه أدنى دليل، فإذا قامت الدلائل الدالة على وجود الشفاعة وجب المصير إلى تخصيصها"(١).

وقد أوضح هذا بالتفصيل الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية(٢).

٤- قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[الأنبياء:٢٨].

قال الإمام ابن حزم رداً على من احتج بهذه الآية على إنكار الشفاعة وقصرها على المحسنين فقط: "لا حجة لهم فيها، لأن من أذن الله في إخراجه من النار وأدخله الجنة، وأذن للشافع في الشفاعة له في ذلك فقد ارتضاه"(٣).

ثم يرد عليهم أيضاً: "أنا لا نسلم لهم زعمهم أن الفاسق غير مرضي من جهة الإيمان والعمل الصالح، وإن كان مبغوضاً من جهة الذنوب والعصيان، وارتكاب القبائح، بخلاف الكافر، فإنه ليس بمرضي مطلقاً،

---

(١) التفسير الكبير للرازي (٢/ ٦٩)، وانظر: تفسير النسفي لعبد الله بن أحمد النسفي (١/ ٤٧)، دار الكتاب العربي.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٣، ٤).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٦٤).

لعدم الأساس الذي تبنى عليه الحسنات... وهو الإيمان"[(١)].

يقول سيف الدين الآمدي[(٢)] راداً على المعتزلة في أبكار الأفكار:

"وقوله تعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ فهو حقيقة في ذات المشفوع له فالرضى غير متعلق بذاته، ولهذا فإنه لا يقال رضيت ذات فلان، فلابد من التجوز فكما يمكن التجويز بذلك عمن ارتضى أفعاله فيمكن التجوز به عمن ارتضيت الشفاعة له، وليس أحد المجازين أولى من الآخر، وتقدير أن يراد منه من ارتضيت الشفاعة له لا يدل على نفي الشفاعة إلا بتقدير عدم الرضا بالشفاعة، وإن سلمنا وجوب حمل الآية على من ارتضى فعله، فلا نسلم وجوب حمله على كل الأفعال فإن حمل اللفظ على الفعل إنما كان ضرورة العمل باللفظ فيكون حجة في أقل ما ندفع به الضرورة ولا يعم، وعلى هذا فيكون الفاسق المؤمن مرضياً من جهة إيمانه فلا يكون خارجاً عن صورة الاستثناء. وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ...﴾ [الزمر:١٩] دليل على أن من حقت عليه كلمة العذاب لا شفاعة في حقه، ونحن نقول به فإن المراد من قوله حقت عليه كلمة العذاب أنه قُطع بعذابه وذلك عندنا غير متصور في حق غير الكافر الذي مات على كفره"[(٣)].

---

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢١٧-٢١٨).

(٢) أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي نسبه إلى آمد مسقط رأسه، اشتهر بلقبه سيف الدين وينسب الآمدي إلى الحنبلي الشافعي، ولد سنة ٥٥١هـ وتوفي ٦٣١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣١٩).

(٣) أبكار الأفكار للآمدي ج٢ فصل٢، ثواب أهل الجنة وعقاب أهل النار، مخطوط مصور من =

النوع الرابع:

الأحاديث الدالة على أن محمداً ﷺ لا يشفع لبعض الناس في بعض المواطن من القيامة.

- استدلوا بحديث أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام دخل المقبرة فقال: [**السلام عليكم دار قوم المؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أني قد رأيت إخواننا: قالوا: يا رسول الله ألسنا إخوانك؟ قال: بل أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد، قالوا: يا رسول الله كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك؟ قال: أرأيت إن كان لرجل خيل غير محجلة... ألا فليذادان رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم ألا هلم فيقال إنهم قد بدلوا بعدك فأقول فسحقاً فسحقاً**][(١)].

وجه الاستدلال: أنه لو كان شفيعاً لهم لم يكن يقول فسحقاً فسحقاً؛ لأن الشفيع لا يقول ذلك، وكيف يجوز أن يكون شفيعاً لهم في الخلاص من العقاب الدائم، وهو يمنعهم شربة ماء.

- استدلوا بحديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال لكعب ابن عجرة: [**يا كعب بن عجرة أعيذك بالله من إمارة السفهاء إنه سيكون أمراء من دخل عليهم فأعانهم على ظلمهم وصدقهم بكذبهم فليس مني، ولست**

=

مكتبة تركيا جامعة الملك سعود رقم٣٥/ ب.

(١) رواه مسلم، ك/ الطهارة، ب/ استحباب إطالة الغرة والتحجيل رقم٣٩.

منه، ولن يرد علي الحوض...][1].

وجه الاستدلال: أنه إذا لم يكن من النبي ولا النبي منه، فكيف يشفع له؟ وقوله: [ولم يرد عليَّ الحوض] دليل على نفي الشفاعة؛ لأنه إذا منع من الوصول إلى الرسول حتى لا يرد عليه الحوض، فبأن يمتنع الرسول من خلاصه من العقاب أولى.

- استدلوا بحديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: [**لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك من الله شيئاً، قد أبلغتك**][2].

قالوا: وهذا صريح في المطلوب؛ لأنه إذا لم يملك له من الله شيئاً، فليس له في الشفاعة نصيب.

الجواب عن شبهة استدلالهم بهذه الأحاديث:

قال الإمام الفخر الرازي في الجواب عن هذه الأحاديث:

"وأما الأحاديث فهي دالة على أن محمداً ﷺ لا يشفع في بعض مواطن القيامة، وذلك لا يدل على أنه لا يشفع لأحد البتة من أصحاب الكبائر ولا أنه يمتنع من الشفاعة في جميع المواطن، والذي نحققه أنه تعالى بين أن أحداً من الشافعين لا يشفع إلا بإذن الله، فلعل الرسول لم يكن

---

(١) رواه مسلم، ك/ ٢٢، ب/ ٤ ح ٢٠.

(٢) رواه البخاري، ك/ الجهاد، ب/ ١٨٩ الغلول برقم ٣٧٣ (٦/ ٢٢٨)، ومسلم، ك/ الإمارة، ب/ غلظ تحريم الغلوم (١٢/ ٢٩٩).

مأذوناً في بعض المواضع وبعض الأوقات، فلا يشفع في ذلك المكان، ولا في ذلك الزمان، ثم يصير مأذوناً في موضع آخر وفي وقت آخر في الشفاعة، فيشفع هناك، والله أعلم"[(١)].

(١) تفسير الفخر الرازي (٢/ ٧٠).

المطلب الثاني: الأدلة العقلية:

ذكر الإمام الباقلاني أن من جملة شبههم أنهم قالوا: إنه روي عن الحسن البصري وغيره أن النبي ﷺ قال: [**لا تنال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي**][(١)] و وروي عن القاضي عبد الجبار أن المراد بالحديث أي إذا تابوا"[(٢)].

الجواب عن هذا النوع:

أن هذا عن الحسن لم يصح، ولم يرد في خبر صحيح ولا في سقيم، وإنما هو اختلاف وكذب، ولا يعارض الآثار الصحاح المتفق على صحتها.

ثم لو جاز أن يكون قد روي فلم يسقط الصحيح المجمع على صحته بالضعيف السقيم الذي لا أصل له، مع إمكان الجمع بين الكل واستعمال الجميع، فتحمل صحاح الأخبار على ما قلنا، ويحمل هذا الخبر على أنه أراد به الكبائر التي تخرج من الإسلام، ويصير هذا كما قلنا إن جمع بين كل ما ذكر في القرآن، وإن كان ظاهره يناقض بعضه بعضاً عند الجهال مثلكم، فإنه تعالى قال: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴾[المرسلات:٣٥].

ثم قال في موضع آخر: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [الطور:٢٥] فيحمل هذا على أنهم لا ينطقون عند الصراط، والميزان ويسأل بعضهم بعد ذلك، حتى لا نسقط شيئاً من كتاب الله، ولا ينقض بعضه

(١) الإنصاف ص(٢٢٤).

(٢) شرح الأصول الخمسة ص(٦٩١).

ببعض، فكذلك يحمل قوله: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" في حق من يبقى على الإيمان حتى يخرج من دار الدنيا، ويحمل ما ذكروا لو كان صحيحاً على من خرج من الدنيا على غير إيمان، ونكون أسعد وأولى، لأنا نثبت الصحيح بتأويل لشيء باطل لا أصل له أن لو صح، وهم يسقطون الصحيح المتفق على صحته بشيء باطل ثم يصح"[١].

الوجه الثالث: لا دليل على تقييد هذه الشفاعة لأهل الكبائر بالتوبة، لا في هذا الحديث ولا في غيره.

ومن المعلوم أن التوبة تجب ما قبلها، وأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، ومن تاب من أي ذنب توبة صادقة تاب الله عليه، وغفر ذنبه، فالله تعالى يغفر الذنوب جميعاً للتائبين.

وما دام أن التائب ذنبه مغفور فلا يحتاج إلى شفاعة أحد، وإنما يحتاج إلى المغفرة أو الشفاعة المذنب الذي مات ولم يتب"[٢]، وقد أيد هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى[٣].

النوع الثاني:

قال القاضي عبد الجبار: "الرسول إذا شفع لصاحب الكبيرة فلا يخلو: إما أن يشفَّع أو لا، فإن لم يُشفَّع لم يجز لأنه يقدح بإكرامه، وإن شفِّع لم

---

(١) الإنصاف للباقلاني ص(٢٣٤).

(٢) انظر: الشفاعة والرد على المنكرين ص(١٢٩-١٣٢).

(٣) (١١/ ١٨٤-١٨٥)

يجز أيضاً لأنا دللنا على أن إثابة من لا يستحق الثواب قبيح، وأن المكلف لا يدخل الجنة تفضلاً"[١].

الجواب:

أن هذه الشبهة للمعتزلة مبنية على مسألة الوعد والوعيد، وقد سبق الكلام عليها وبيان فسادها.

النوع الثالث:

قال القاضي عبد الجبار: "اتفقت الأمة على هذا القول: (اللهم اجعلنا من أهل الشفاعة) فلو كان الأمر على ما ذكرتموه ـ أي أهل السنة ـ لكان يجب أن يكون هذا الدعاء دعاء لأن يجعلهم الله تعالى من الفساق، وذلك خلف"[٢].

الجواب عن هذا النوع:

قال الإمام الفخر الرازي: "إن عندنا تأثير الشفاعة في جلب أمر مطلوب، وأعني به المشترك بين جلب المنافع الزائدة على قدر الاستحقاق، ودفع المضار المستحقة على المعاصي، وذلك القدر المشترك لا يتوقف على كون العبد عاصياً فاندفع السؤال"[٣].

---

(١) شرح الأصول الخمسة ص(٦٨٩).
(٢) المرجع السابق ص(٦٩٢).
(٣) التفسير الكبير (٢/ ٦٩).

ويجاب عن هذه الشبهة أيضاً بما نقل عن القاضي عياض رحمه الله أنه قال: "قد عرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح رضي الله عنهم شفاعة نبينا ﷺ ورغبتهم فيها" ثم قال: "وعلى هذا لا يلتفت إلى قول من قال: إنه يكره أن يسأل الإنسان الله تعالى، أن يرزقه شفاعة محمد ﷺ؛ لكونها لا تكون إلا للمذنبين، فإنها قد تكون لتخفيف الحساب، وزيادة الدرجات، ثم عاقل معترف بالتقصير ويحتاج إلى العفو، غير معتد بعمله، مشفق منه أن يكون من الهالكين، ويلزم هذا القائل ألا يدعو بالمغفرة والرحمة، لأنها لأصحاب الذنوب أيضاً، وهذا كله خلاف ما عرف من دعاء السلف والخلف"[1].

النوع الرابع:

فإن قيل: أليس عندكم أن الرسول ﷺ لا يشفع إلا في مؤمن، وقد وردت الروايات **[لا يزني الزاني وهو مؤمن]**، **[ولا يسرق السارق وهو مؤمن]**[2].

وكذلك روي أنه قال: **[ليس منا من يأتينا بطينا ويأتي جاره خميصاً]**[3] **[ومن غشنا فليس منا]**[4] إلى غير ذلك، فكيف يشفع الرسول ﷺ فيمن

---

(١) انظر: شرح النووي (٣/ ٢٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، ك/ الحدود، ب/ السارق حين يسرق (٤/ ١٧٣).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٦٦).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، ك/ الإيمان، ب/ قوله ﷺ من غشنا فليس منا (١/ ٦٩).

ليس بمؤمن؟

الجواب:

أن يقال لهم:

١- هذه الأخبار لا حجة فيها، ولا تعارض أخبار الشفاعة، فإنها محتملة لوجوه إذا صرفت إليها صحت، ولم تكن معارضة لأخبار الشفاعة.

٢- أن يكون المراد لا يزني ولا يسرق حين يفعل ذلك، وهو مؤمن؛ أي مستحل لذلك، حتى يصح الجمع بين هذه الأخبار وبين قوله ﷺ: **[من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن سرق وإن زنا وإن شرب الخمر]**(١).

٣- يكون أراد بذلك إذا فعله على وجه التكذيب لتحريم هذه الأشياء، والله تعالى لم يحرمها، أو يكون المراد ليس بمؤمن كإيمان المؤمن الذي لم يكن منه سرقة وزنا وشرب خمر؛ أي في البر والطهارة والعفة ونحو ذلك أي المراد كمال الإيمان"(٢).

الشبهة الأخيرة: شبهة الحلف بالطلاق.

وهذه الشبهة مما تعلق بها المعتزلة كثيراً حتى إن الإمام الباقلاني رد على هذه الشبهة في اثنين من كتبه(٣) فيقول: "فإن قيل: ما تقولون فيمن

---

(١) أخرجه البخاري، ك/ الدعوات، ب/ ما جاء في الرقاق (٤/ ١٢٠).

(٢) الإنصاف للباقلاني ص(٢٣٦-٢٣٧).

(٣) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ص(٤٢٩)، الإنصاف ص(٢٣٩).

حلف بالطلاق الثلاث أنه يفعل فعلاً ينال به شفاعة الرسول عليه السلام، ويستحق به شفاعة الرسول، أو قال: أفعل فعلاً يجوز أن يشفع لي فيه الرسول مما استحق من العقاب بماذا تأمرونه؟ أتأمرونه بالمعصية أم بالطاعة؟

قلنا الجواب من وجهين:

أحدهما: أنا نقول نأمره بالتمسك بالتوحيد والإيمان دون فعل الذنوب؛ لأن الشفاعة لا تنال بالذنوب، وإنما تنال بالإيمان دون الذنوب، وهذا كما أن زيداً يشفع في ذنب صديقه، أو قريبه أو حبيبه في دار الدنيا إلى من ملك إسقاط ذلك لا يقال: إنه نال ذلك بالذنب الذي أذنبه أو الخطأ الذي أخطأه، وإنما ناله بالصداقة المتقدمة أو القرابة أو السؤال المتقدم، لا نفس الذنب، ونأمره أيضاً بفعل الطاعات حتى ينال بذلك شفاعة الرسول ﷺ في الزيادة له من البر والنعيم ونحو ذلك.

الجواب الثاني:

أنا نعارضكم بمثل هذا: لا تجدون أنتم عنه محيصاً، فنقول لكم: ما تقولون فيمن سمع قوله تعالى: ﴿ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٢].

فحلف رجل بالطلاق الثلاث ليفعلن فعلا يجب عليه فيه التوبة أو الاستغفار حتى يتوب منه ويستغفر ما تأمرونه؟ فإن قالوا نأمره بالطاعة، وفعل الخير قلنا لهم: هذا لا يصح، لأن الإنسان لا يجب عليه التوبة أو الاستغفار من فعل الطاعة والخير بإجماع المسلمين، وإن قلتم: نأمره بفعل

المعاصي والذنوب حتى تجب عليه التوبة والاستغفار فيتوب ويستغفر حتى يتخلص من يمينه، فقد استحللتم ما حرم الله وأمرتم بها لا يجوز لمسلم أن يأمر به، وإن قلتم: لا نأمره بفعل المعصية، ولكن إن ابتلي بشيء من ذلك قلنا له قد فعلت ما وجب به عليك التوبة والاستغفار وزوال حكم اليمين، قلنا لكم: نحن أيضاً نقول لمن حلف ليفعلن فعلاً يجوز أن يشفع فيما يستحق عليه من العقاب شفاعة الرسول ﷺ، نقول له تمسك بالطاعة والإيمان، فإن ابتليت بشيء من المعاصي فقد خرجت من اليمين، ويجوز أن يشفع لك الرسول، لا أنا نأمره بالمعصية بوجه من الوجوه"[1].

ومما يدل على فساد قولهم وأصل قولهم وأدلتهم أنهم ذهبوا في هذا كله إلى التمسك بأمور ظنوها قطعية في الدلالة وهي ظنية، ومن ذلك:

أولاً: "ردهم للأحاديث التي لا توافق أقوالهم ومذاهبهم ويدعون أنها مخالفة للعقول فيجب ردها كالمنكرين لعذاب القبر والصراط والميزان، ورؤية الله عز وجل في الآخرة.

ثانياً: قدحهم في الرواة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وفيمن اتفق الأئمة من المحدثين على عدالتهم وإمامتهم، كل ذلك ليردوا به على من خالفهم في المذهب، وأحياناً كانوا يردون فتاوى الصحابة أمام العامة لينفروا الأمة عن أتباع السنة وأهلها.

---

(١) الإنصاف للباقلاني ص(٢٣٩-٢٤٠). انظر: أصول الدين للبغدادي ص(٢٤٥)، ط.الأولى ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م، مطبعة الدولة، استانبول.

ثالثاً: ذهبت طائفة إلى نفي أخبار الآحاد جملة والاقتصار على ما تحتسنه عقولهم في فهم القرآن"[١].

ومما تقدم نكون قد عرضنا لقول المعتزلة وأدلتهم وأصل قولهم وبينا فساد هذا، ولله الحمد والمنة.

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/ ١٤٠). ولمزيد من الرد عليهم انظر: ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره لمحمد الحربي ص(١٣٣)، عالم الكتب، ط.الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

المطلب الثالث: احتجاجاتهم أن الشفاعة ثابتة بخبر الواحد.

وقد أورد هذه الشبهة أحد كبار المعتزلة، وهو القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني عند كلامه عن الشفاعة فقال:

"ما روى عن النبي ﷺ أنه قال: [**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**]... وهذا الخبر لم تثبت صحته، ولو صح فإنه منقول بطريق الآحاد عن النبي ﷺ ومسألتنا طريقها العلم، فلا يصح الاحتجاج به"(١).

الجواب عن هذه الشبهة من عدة وجوه:

الوجه الأول:

هذا الحديث أخرجه جمع من أصحاب السنن والمسانيد(٢) عن عدد من الصحابة ﷺ، وأن بعض أئمة الحديث قد نصوا على صحته.

الوجه الثاني:

أن الامتناع عن الاحتجاج بهذا الحديث ـ على افتراض صحته ـ لأنه من أحاديث الآحاد غير مسلم، لما تقدم من بيان صحته، ولأن القول بأن

---

(١) شرح الأصول الخمسة ص(٦٩٠).

(٢) أخرجه أبو داود، ك/ السنة، ب/ الشفاعة (٥/ ١٠٦)، والترمذي في سننه، ك/ صفة القيامة (٤/ ٦٢٥)، والإمام أحمد في مسنده (٣/ ٢١٣)، واللالكائي في شرك أصول اعتقاد أهل السنة (٦/ ١١٠١).

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٨٨) إسناده صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني في كتاب السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٣٩٩) وقال: صحيح بطرقه.

أحاديث الآحاد لا تثبت بها عقيدة قول مبتدع وحادث لا أصل له في الشريعة وكل ما كان كذلك فهو قول مردود.

الوجه الثالث:

لو وجد دليل قطعي يدل على أن أحاديث الآحاد لا تثبت بها عقيدة لعلمها الصحابة وصرحوا بها، وكذلك من بعدهم من السلف.

الوجه الرابع:

هذا القول مخالف للمنهج العلمي الذي كان عليه الصحابة، فقد كان الواحد منهم يقبل خبر من حدثه عن الرسول ﷺ ويجزم به ولا يرد قول أخيه بحجة أن الحديث الذي نقله إنما هو حديث آحاد وكذلك إرسال الرسول ﷺ الرسل إلى الأمراء والبلدان لتبليغ رسالة الله يدل على قبول خبر واحد. يقول ابن حجر عند شرحه لكتاب أخبار الآحاد (باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة)...: "وقصد الترجمة الرد به على من يقول إن الخبر لا يحتج به إلا إذا رواه أكثر من شخص واحد حتى يصير كالشهادة ثم جاء في الكتاب أبواب منها باب بعث النبي ﷺ الأمراء والرسل واحداً بعد واحد"(١).

الوجه الخامس:

الأدلة الدالة على وجوب الأخذ بأدلة الكتاب والسنة تشمل العقائد

---

(١) فتح الباري، ك/ أخبار الآحاد (١٣/ ٢٣١)، دار المعرفة.

والأحكام فتخصيص هذه الأدلة بالأحكام دون العقائد إذا كانت آحاد تخصيص من غير مخصص.

الوجه السادس:

قولهم هذا في ذاته عقيدة (أي أن أحاديث الآحاد لا يحتج بها) وعلى طريقتهم فإن هذه العقيدة تحتاج إلى دليل قطعي ينهى عن الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة ولا دليل على ذلك.

الوجه السابع:

أمر الله تعالى رسوله بالبلاغ المبين، ومعلوم أن البلاغ المبين هو الذي تقوم به الحجة على المبلغ ويحصل به العلم، فلو كان خبر الواحد لا يحصل به العلم لم يقع به التبليغ فإن الحجة إنما تقوم بما يحصل من العلم.

الوجه الثامن:

هذا القول يقتضي ترك العمل بأحاديث الآحاد التي فيها عقيدة وعمل، لأن عدم الأخذ بها في العقائد رد لها، فكيف يؤخذ بها في الأحكام؟!

الوجه التاسع:

ذكر الإمام ابن القيم[1] كلام العلماء في حجية خبر الواحد أمثال الشافعي في الرسالة وابن حزم وغيره من العلماء.

---

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة للموصلي (٢/ ٤٦٧) ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م، دار الندوة الجديدة.

الوجه العاشر:

أنه قد دلت على الشفاعة أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها.[(١)] ا.هـ[(٢)].

فما أحوج المنكرين إلى بعض التأمل في السنة المطهرة حتى يرجعوا إلى الصواب.

---

(١) البخاري، ك/ التوحيد، ب/ شفاعة الرب عز وجل يوم القيامة والأنبياء وغيرهم (٨/ ٢٠٢)، ومسلم ك/ الإيمان (١/ ١٨٢)، ابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٦٥٤).

(٢) انظر: الرسالة للشافعي ص(٣٦٩) وما بعدها، والعقيدة في الله لعمر الأشقر ص(٥١)، ط. الثانية ١٩٧٩م، مكتبة الفلاح، والشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين للجديع ص(١٢٩)، وأخبار الآحاد في الحديث النبوي للشيخ عبد الله بن جبرين.

الفصل الرابع

الشفاعة عند الأشاعرة والماتريدية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بهم.

المبحث الثاني: قول الأشاعرة والماتريدية وأدلتهم.

المبحث الأول: التعريف بهم

المطلب الأول: التعريف بالأشاعرة.

الأشاعرة: هم أتباع أبي الحسن الأشعري الذي كان معتزلياً فرجع عن ذلك إلى إثبات الصفات العقلية السبعة، وتأويل الصفات الخبرية، وهو الذي عليه الأشاعرة، ثم انتهى أبو الحسن إلى مذهب السلف في غالب معتقده كما صرح بذلك في كتاب الإبانة.

وأبو الحسن هو علي بن إسماعيل، من ذرية أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ، ولد بالبصرة سنة ٢٧٠هـ تزوجت أمه بعد وفاة أبيه إسماعيل بأبي علي الجبائي شيخ المعتزلة في عصره، وحامل راية الاعتزال، ونشأ أبو الحسن في حجره، وتلقى عليه علومه حتى صار نائبه وموضع ثقته وأمين سره.

ولم يزل أبو الحسن يتزعم المعتزلة ويدافع عنهم، حتى ثار عقله الكبير، ونفسه القلقة على مذهب الاعتزال، ونشأ في نفسه رد فعل ضد تأويلات المعتزلة فاعتكف في بيته خمسة عشر يوماً يفكر ويتأمل ويستخير الله حتى اطمأنت نفسه ورأى أنه لا يسعه إلا الإعلان بالبراءة عن الاعتزال والرجوع إلى مذهب السلف.

مؤلفاته:

لأبي الحسن الأشعري مؤلفات كثيرة، قال ابن حزم إنها خمسة وخمسون مصنفاً.

أما ما وصل إلينا منها فهو:

١- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: ويعد من أهم كتب المقالات وأوثقها وأدقها في نسبة الأقوال إلى أصحابها.

٢- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع: وقد بين فيه كثيراً من القضايا الكلامية التي رد فيها على المعتزلة، وشرح فيها مذهبه في بعض المسائل من أمثال: وجوب الصانع ـ القرآن ـ الإرادة ـ الرؤية ـ القدر...الخ.

٣- رسالته إلى أهل الثغر: وهذه الرسالة تشتمل على مقدمة طويلة حول منهج الرسل في الاستدلال وأنهم لم يدعوا إلى دليل الإعراض الذي دعا إليه المعتزلة وأهل الكلام ثم بعد ذلك عرض ما أجمع عليه السلف في مسائل العقيدة المختلفة من أمثال: الصفات ـ الرؤية ـ القدر ـ النبوة ـ الإيمان ـ الشفاعة...الخ.

٤- الإبانة عن أصول الديانة: وهو من أهم كتب الأشعري، وأكثرها إثارة للجدل؛ لأنه يحوي جوانب من العقيدة تخالف ما عليه متأخرو الأشعرية ونسبته ثابتة للأشعري[١].

---

(١) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٣٤٥)، ومقدمة تحقيق الإبانة لفوقية محمود =

أعلام المذهب:

ومن أسباب انتشار المذهب الأشعري أن جمهرة من العلماء اعتمدوه ونصروه وخاصة فقهاء الشافعية والمالكية المتأخرين والأعلام الذين تبنوه:

كالباقلاني وابن فورك والبيهقي والإسفراييني والشيرازي والجويني والقشيري والبغدادي والغزالي والرازي والآمدي والعز بن عبد السلام وبدر الدين بن جماعة والسبكي ـ وغيرهم كثير ولم يكن هؤلاء أشاعرة فقط بل كانوا مؤلفين ودعاة إلى هذا المذهب، ولذلك ألفوا الكتب العديدة في نصرة المذهب، لذا فلم يكن أبو الحسن الأشعري مؤسس مذهب الأشاعرة فارس الميدان وحده، بل جاء من بعده أتباع لهم شأن في هذا المجال بعضهم تابعه متابعة تامة، وبعضهم خالفه فيما ذهب إليه على اختلاف في مقدار هذه المخالفة مما أدى إلى التطور في مذهب الأشاعرة حسب العلماء في كل عصر، ومن أبرز من تطور المذهب على يديه الإمام الباقلاني الذي يعد الرجل الثاني بعد أبي الحسن الأشعري، وكذلك أبو المعالي الجويني إمام الحرمين الذي لم يعد ناقلاً لمذهب أشياخه بل إنه ناقش ورد على بعضها أمثال مسائله تكليف ما لا يطاق والاستطاعة مما ليس هذا مجال البسط فيه[1].

=

ص(٣٨)، ومذاهب الإسلاميين لبدوي (١/ ٤٨٧)، ط.الأولى ١٩٧١م، دار العلم للملايين، وتبيين كذب المفتري ص(١٢٨) ١٣٩٩هـ دار الكتاب العربي، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ٢٨٤)، دار صادر.

(١) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، فقد عرض فصلاً في تطور المذهب الأشعري وأشهر رجاله (٢/ ٥٠٩).

أما مجمل عقيدته :

١- إثبات أن الله موجود واحد، أزلي، وأن العالم حادث.

٢- إثبات صفات الله تعالى دون تفرقة بين الخبرية والعقلية، ومن ذلك إثبات صفات السمع والبصر والحياة والإرادة، والكلام، والقدرة، والعلم، واليدين، والوجه، والاستواء، والنزول، والعلو، والمجيء، وغيرها مما هو ثابت في الكتاب والسنة.

٣- أما الصفات الاختيارية فلا يثبتها صفات قائمة بالله تتعلق بمشيئته واختياره، بل إما أن يؤولها أو يثبتها أزلية وذلك خوفا من حلول الحوادث.

٤- الإيمان بكلام الله، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، لكن الكلام عنده أزلي.

٥- إثبات الرؤية، وأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة.

٦- الإيمان بالقدر مع القول بالكسب، وأن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل.

٧- الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ومرتكب الكبيرة مؤمن فاسق.

٨- في الإمامة والصحابة، وأمور المعاد وغيرها يقول كما قال أهل السنة[1].

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة للأشعري ص(٧)، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ط.الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م، دار البيان.

والأشاعرة اليوم تعتقد بأمور أخرى بناءً على التطور المذهبي الذي حدث من خلال رجالها[١].

---

(١) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن بن صالح المحمود (٢/ ٤٩٣) مكتبة الرشد، ط.الثانية ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

المطلب الثاني: التعريف بالماتريدية.

الماتريدية: هم أتباع أبي منصور الماتريدي، وهم يشبهون في غالب آرائهم الأشاعرة لذا أدرجناهم (الأشاعرة ـ الماتريدية) في فصل واحد وهما أقرب الفرق إلى أهل السنة والجماعة.

والماتريدي هو: محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، السمرقندي.

والماتريدي: نسبة إلى ماتريد، ويقال لها ماتريت، وهي محلة قرب سمرقند. ويحتل الماتريدي منزلة كبيرة في تاريخ الفكر الإسلامي حيث إنه مؤسس لإحدى المدارس الكلامية التي ذاع وانتشر فكرها في العالم الإسلامي، وهي المدرسة الماتريدية.

وأبو منصور الماتريدي حنفي على مذهب الإمام أبي حنيفة في الفقه"(١).

"ولقد خلع عليه أصحابه ألقاباً كثيرة فيذكر الكغوي أنه قد سمي إمام الهدى وقدوة أهل السنة والاهتداء، رافع أعلام السنة والجماعة، قالع أضاليل الفتنة والبدعة، الشيخ الإمام أبو منصور الماتريدي إمام المتكلمين،

---

(١) انظر: الماتريدية دراسة وتقويماً لأحمد بن عوض الحربي ص(٧٩-٩٩)، دار العاصمة، ط.الأولى ١٤١٣هـ ومنار الهدى لطالب بيان الحق لمحمد أولى بن المنذر الأنصاري ص(١٧٢)، وتاج التراجم لأبي الفداء قاسم بن قطلوبغا رقم٢١٧، حققه محمد خير رمضان، ط.الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، دار القلم.

ومصحح عقائد المسلمين، وهذه الألقاب تدل على مكانته العلمية بين أصحابه، فقد فاق الأقران وتجمل به الزمان، وشاعت مؤلفاته، وسارت مصنفاته، واتفق الموافق والمخالف على علو قدره وعظمة محله وطيب بشره.

أما عن أسرته فلا تمدنا المصادر بشيء عن أسرة الماتريدي ولا عن أحد من أسرته.

كذلك لم تذكر المصادر شيئاً عن تاريخ مولده، وإن كان يرجح أنه ولد في عهد المتوكل ٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ وذلك لأن تاريخ وفاة اثنين من أساتذة الماتريدي، وهما محمد بن مقاتل الرازي كان سنة ٢٤٨هـ، ونصير بن يحيى البلخي كان سنة ٢٦٨هـ وعلى هذا يكون مولوداً في وقت يسمح بتلقيه العلم على يد هؤلاء، واتفقت المراجع على تاريخ وفاة الماتريدي ٣٢٢هـ ودفنه في سمرقند"[١].

"وقد كان الماتريدي أبو منصور يجلس مع أبي نصر العياضي شيخه في حلقة أبي بكر أحمد الجوزجاني، فقد تخرجا معاً في حلقته، وكذلك كان يجلس الإمام أبو بكر أحمد الجوزجاني تلميذ محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، وقد عكفت هذه المشيخة على رواية كتب الإمام أبي حنيفة، ورسائله ووصاياه في أصول العقائد ودراستها، فكان الفقه الأكبر لأبي حنيفة والرسالة والفقه الأبسط وكتاب العالم والمتعلم والوصية هي التعليقة التي يحملها فقهاء مذهب

---

(١) إمام أهل السنة والجماعة، أبي منصور الماتريدي لعلي بن عبد الفتاح المغربي ص(١١) وما بعدها، مكتبة وهبة.

النعمان في أصول العقائد، وقد حملها الماتريدي، ورواها عن شيوخه، ولكنها أخذت شكلاً آخر على يديه بحيث أصبح هو متكلم مدرسة أبي حنيفة ورئيس أهل السنة والجماعة في بلاد ما وراء النهرين (سيحون وجيحون).

تلاميذه:

وتخرج على يديه أربعة من أئمة العلماء هم:

- أبو القاسم إسحاق بن محمد بن إسماعيل الشهير بالحكيم السمرقندي (ت:٣٤٠هـ-٩٥١م).

- أبو الحسن علي بن سعيد الرستغنني.

- أبو محمد عبد الكريم بن موسى البزدوي (ت:٣٩٠هـ-٩٩٩م).

- أبو الليث البخاري"[١].

مؤلفاته:

١- **كتب في الفقه وأصوله:** وهما كتاب الجدل، وكتاب مآخذ الشرائع، ولهذين الكتابين أهميتها ومكانتها في أصول الفقه بين أتباع المذهب الحنفي، ولكن لم يقع لنا شيء من هذين المؤلفين.

٢- **كتب في علم الكلام:** ذكرت المصادر كتباً للماتريدي هي:

التوحيد ـ والمقالات ـ والرد على القرامطة ـ وبيان وهم المعتزلة ـ ورد

---

(١) كتاب التوحيد للإمام أبي منصور الماتريدي، تحقيق فتح الله خليف، المقدمة ص(٤) وما بعدها، دار الجامعات المصرية.

الأصول الخمسة لأبي محمد الباهلي ـ ورد أوائل الأدلة للكعبي ـ ورد وعيد الفساق للكعبي ـ ورد تهذيب الجدل للكعبي ـ ورد الإمامة لبعض الروافض.

ولم يحفظ لنا الزمن من هذه الكتب سوى كتاب التوحيد والمقالات، وكتاب التوحيد صحيح النسبة إلى الماتريدي حققه د.خليف، وكتاب المقالات لا يزال مخطوطا.

٣- **كتاب تأويل القرآن الكريم**: ذكره أصحاب الطبقات باسم: تأويلات القرآن، وذكره صاحب كشف الظنون[(١)] باسم: تأويلات أهل السنة، وهذا الكتاب قد حفظه لنا الزمان، وهو لا يزال مخطوطا سوى جزء يسير منه.

أشهر رجال الماتريدية وأعلامها:

١- أبو اليسر البزدوي.

٢- أبو المعين النسفي صاحب تبصرة الأدلة.

٣- نجم الدين عمر النسفي صاحب العقائد النسفية.

٤- نور الدين الصابوني.

٥- الكمال ابن الهمام صاحب فتح القدير في الفقه.

٦- ملا علي القاري، صاحب شرح نخبة الفكر، وشرح الفقه الأكبر.

منهج الماتريدي وعقيدته:

لا يبعد الماتريدي كثيراً عن أبي الحسن الأشعري، فهو خصم لدود

---

(١) لحاجي خليفة (١/ ٢٥٣).

للمعتزلة، وقد خالفهم في المسائل التي اشتهروا بمخالفة أهل السنة فيها مثل مسائل الصفات، وخلق القرآن، وإنكار الرؤية وتخليد أهل الكبائر في النار، والشفاعة وغيرها، ومع ذلك فلم ينطلق الماتريدي في الرد عليهم من منطلق السلف ـ رحمهم الله تعالى ـ إنما كان متأثراً بمناهج أهل الكلام(١).

من المسائل التي تميز بها مذهب الماتريدي:

١- القول بوجوب النظر وإبطال التقليد في مسائل العقيدة، ولذلك يقول: "نثبت أن التقليد ليس مما يعذر صاحبه".

٢- الاستدلال على إثبات الصانع بدليل حدوث الأجسام المبني على عدم خلوها من الأعراض وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، وهو لا يقتصر على هذا الدليل وإنما يذكر أدلة أخرى.

٣- استدلاله في بعض مسائل العقيدة بالسمع والعقل.

٤- الماتريدي يثبت الصفات العقلية لله تعالى كالسمع والبصر والقدرة والإرادة والإحياء والإماتة وغيرها من صفات الذات والفعل وهو لا يفرق بينهما لذا فهو يقول بأزلية صفات الفعل، ومنها صفة التكوين التي قال إنها أزلية.

٥- الماتريدي من نفاة الصفات الاختيارية لله تعالى تبعاً لمنعه حلول

---

(١) انظر: الماتريدية دراسة وتقويم ص(١٠٩) وما بعدها، وإمام أهل السنة والجماعة لأبي منصور ص(٢٢).

الحوادث بذات الله تعالى.

٦- ينكر الماتريدي أن يكون الله في جهة العلو ويؤول بعض الأدلة.

٧- يقول بأن الله فاعل مختار على الحقيقة، وهو خالق كل شيء والعبد مختار لما يفعله وهو فاعل كاسب.

٨- يميل إلى التحسين والتقبيح العقلي كما يثبت التعليل والحكمة في أفعال الله.

٩- والإيمان عند الماتريدي هو التصديق ومحله القلب ويستدل لذلك بدليل السمع من العقل.

١٠- يوافق الماتريدي أهل السنة في حكم مرتكب الكبيرة لذلك فهو يرد على المعتزلة والخوارج[(١)].

وبهذا نكون قد عرفنا بالماتريدية من حيث المؤسس والمنهج ورجال المذهب لنقف على قولهم في الشفاعة.

---

(١) انظر: كتاب التوحيد للماتريدي، تحقيق د.خليف ص(٣١)، والماتريدية دراسة وتقويم للهيبي ص(١٣١)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٤٨١)،. وإمام أهل السنة والجماعة أبي منصور للمغربي ص(٣١) وما بعدها، وتأويلات أهل السنة للماتريدي ج١، تحقيق إبراهيم عوضين، السيد عوضين ١٩٧٦م، القاهرة، عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾.

المبحث الثاني: قول الأشاعرة والماتريدية في الشفاعة

المطلب الأول: قولهم في الشفاعة.

أولاً: قول الأشاعرة في الشفاعة:

الأشاعرة يوافقون أهل السنة والجماعة في إثبات الشفاعة، ويقررون ذلك في كتبهم، ويردون على من أنكر ذلك من أمثال المعتزلة والخوارج.

فنجد أن شيخ الأشاعرة أبا الحسن الأشعري في كتابه الإبانة، وهو ما انتهى إليه اعتقاده فيما ألف يقول:

"مسألة: الكلام في الشفاعة والخروج من النار.

يقال لهم: قد أجمع المسلمون أن لرسول الله ﷺ شفاعة، فلمن شفاعته؟ أهي للمذنبين المرتكبين الكبائر أو للمؤمنين المخلصين؟

فإن قالوا: للمذنبين المرتكبين الكبائر وافقوا، وإن قالوا للمؤمنين المبشرين بالجنة الموعودين بها رد عليهم"[(١)]، ولعل ما يقصده الشيخ أبو الحسن الأشعري هو ما وضحه العلامة أبو عذبة في كتابه "الروضة البهية" حين ذكر مسألة في الإنكار العقلي لعذاب العبد المطيع حين يقول:

"لو وقع تعذيب المطيع لم يكن ذلك من ظلماً ولا عدواناً ـ أي تعذيباً ـ

---

(١) الإبانة ص١٧٧.

لأنه تعالى متصرف في ملكه بالتعذيب وتركه، فله ما يختار منها، يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد لكنه جاد في حق العباد بالإحسان ـ أي بأن أحسن إليهم ـ بترك العقاب، والجود إعطاء ما ينبغي، لا لغرض ولا لعوض".

إن قلت: كيف يتصور الجود بترك العقاب، وهو عدمي، والجود يقتضي كون ما يتعلق به وجوديا؟

قلت: لما كان ترك العقاب مستلزماً للأمن والسلامة، وهما وجوديان صح تعلق الوجود به، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴾[النساء:٥٧] فللّه ترك العقاب وبذل الثواب فضلاً على المطيعين أحدهما وجودي، والآخر عدمي.

إن قلت: إطلاق الفضل على الوجودي ظاهر؛ لإن إطلاقه على العدمي غير معقول.

قلت: الفضل الزيادة والإحسان الإتيان بما فيه صلاح الغير من غير أن يستحق ويستوجب ذلك، ولما لم يجب للعبد على الله تعالى شيء فكل ما يفعل في حقه من ترك العقاب وبذل الثواب يكون فضلا وإحسان، وقد جاء في الخبر: "الشرف كف الأذى وبذل الندى وهو إشارة إلى أن ترك الأذى أحد ركني التفضل والإحسان"[(١)].

---

(١) الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية للحسن بن عبد المحسن المشهور بأبي عذبة ص(٥٣)، حققه عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب.

ويقول في رسالة إلى أهل الثغر "وأجمعوا على أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته وعلى أنه يخرج من النار قوماً من أمته بعدما صاروا حمماً فيطرحون في نهر الحياة"[١].

نرى الإمام الباقلاني[٢] في كتابيه (الإنصاف) و(تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل) يقرر إثبات الشفاعة ويرد على شبه المعتزلة والخوارج ويبين فسادها فيقول: "اعلم أن أهل السنة والجماعة أجمعوا على صحة الشفاعة منه ﷺ لأهل الكبائر من هذه الأمة"[٣].

أما الإمام أبو المعالي الجويني: إمام الحرمين[٤] فإنه يذكر الشفاعة عن طريق العقل، وأنها ثابتة، وهي مذهب أهل الحق، فيقول في كتابه الإرشاد:

"إذا ثبت جواز الغفران، وقد شهدت له شواهد من الكتاب والسنة، لم نذكرها لشهرتها، فيترتب على ذلك تشفيع الشفعاء وحط أوزار المجرمين بشفاعتهم. فمذهب أهل الحق، أن الشفاعة حق، وقد أنكرها منكرو

(١) رسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري ص(٢٨٨)، مكتبة العلوم والحكم.

(٢) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني (٣٣٨-٤٠٣هـ) أبو بكر متكلم على مذهب الأشعري، ولد بالبصرة، وسكن بغداد، وسمع الحديث، ورد على المعتزلة والشيعة والخوارج، من تصانيفه: تمهيد الأوائل ـ الإنصاف. انظر: معجم المؤلفين (١٠/ ١٠٩).

(٣) الإنصاف ص(٢٣١)، وتمهيد الأوائل ص(٤١٥).

(٤) عبد الملك بن عبد الله الجويني (٤١٠-٤٧٨هـ) النيسابوري الشافعي المعروف بإمام الحرمين ضياء الدين أبو المعالي فقيه أصولي متكلم مفسر ولد في المحرم، من تصانيفه: الشامل ـ الإرشاد. انظر: معجم المؤلفين (٦/ ١٨٤).

الغفران ومن جوز الصفح والعفو بدءاً من الله تعالى، فلا يمنع الشفاعة، ومنهم من يمنعها على مصيره إلى تجويز الغفران، وذلك نهاية في الجهل لا يلتزمها ذو تحصيل"(١).

إن القارئ لعبارات إمام الحرمين يجد أنها تحتاج لمزيد من الإيضاح والتفسير يقول شارح الإرشاد:

"الشفاعة يؤمن بها أهل الحق، لورود الآثار في ذلك، وأما الذين أنكروا الغفران من الله جل وعز فإنهم منعوها، ومن جوز الصفح والعفو من الله جل وعز ابتداء لا يمنع الشفاعة، ومنهم من يمنعها مع مصيره إلى تجويز العقل، وهذا نهاية في الجهل، لأهم إذا جوزوا الغفران، والشفاعة تفضي إلى الغفران، فلم يمنعونها؟ ثم من يردون الشفاعة لنا معهم نقاش:

نبطل عليهم التقبيح والتحسين بالعقل ونلزمهم أن الرب تعالى يفعل ما شاء، وإن سلمنا لهم التقبيح والتحسين جدلاً، فإنا نقول: كما تبتدئ الملوك بالصفح عن المذنبين، كذلك أيضاً يصفحون عنهم بشفاعة رجال وجهاء عندهم، وهذا غير منكر من عادات العقلاء.

ولشهرة الشفاعة عند العقلاء قال الله تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾[النساء:٨٥] وأحاديث الشفاعة كثيرة.

وما زال المسلمون قبل ظهور البدع يسمون محمداً ﷺ شفيع الأمة،

---

(١) الإرشاد ص٣٣٠، تحقيق أسعد تميم، ط.الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، مؤسسة الكتب العربية.

وإذا كان الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم يشفعون لآبائهم، فأحرى وأولى أن يشفع فيهم هاديهم إلى سواء الطريق، ثم كان المسلمون مجمعين على الدعاء إلى الله جل وعز في أن يرزقهم الشفاعة، وكان ذلك في العصور الماضية. وفيما تقدم ذكر دليل على أن الشفاعة لا تختص برفع الدرجات دون حط السيئات لتنصيص الأخبار على ذلك، ولم ينكر منكر في الصدر الأول على عاص يدعو الله جل وعز في أن يشفّع فيه نبيه"(١).

أما دلائل العفو فقد بسط الكلام فيها الإمام الرازي في الأربعين في فصل أسماه الفصل الرابع في دلائله على العفو فقال:

"**الحجة الأولى**: الآيات الدالة على كون الله تعالى عفوا كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشورى:٢٥]".

ثم سرد آيات وأدلة عقلية ثم قال:

"**الحجة الثانية**: الآيات الدالة على كونه تعالى غافِراً أو غفوراً أو غفاراً.

قال تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ ﴾[غافر:٣]...

الحجة الثالثة: الآيات الدالة على كونه تعالى رحمانا ورحيما...

الحجة الرابعة: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النساء: ١١٦].

---

(١) شرح الإرشاد لأبي بكر بن ميمون ص(٦٣٣)، تحقيق أحمد حجازي السقا ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، مكتبة الأنجلو المصرية.

ووجه الاستدلال به: أن قوله تعالى: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ لا يجوز أن يتناول صاحب الصغيرة ولا صاحب الكبيرة بعد التوبة، فوجب أن يكون المراد به حمله على صاحب الكبيرة قبل التوبة...الخ"(١).

والمطالع لكتب الإمام فخر الدين الرازي(٢) يجد أن غالب كتبه في الرد على منكري الشفاعة وقد أفاض في كتابيه الأربعين(٣) والتفسير الكبير(٤) في الرد على هؤلاء، أما في كتاب (المسائل الخمسون) في أصول الدين فقد اكتفى بذكر المذهب الصحيح فيقول: "شفاعة محمد ﷺ شفاعة مقبولة في حق عصاة أمته يوم القيامة والدليل عليه: هو أنه أمر النبي ﷺ بالاستغفار فقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[محمد:١٩] فلزم أن يغفر الله تعالى لمن استغفر له النبي ﷺ"(٥).

أما نص قوله في الأربعين فيقول: "المسألة السابعة والثلاثون في شفاعة نبينا محمد ﷺ اتفقت الأمة على إثبات هذه الشفاعة، إلا أن المعتزلة قالوا بتأثيرها في إيصال ازدياد النعيم إلى أهل الثواب، وأصحابنا قالوا ذلك

---

(١) الأربعين في أصول الدين (٢/ ٢٣٥).

(٢) محمد بن عمر بن الحسن الطبرستاني (٥٤٣-٦٠٦هـ)، له مؤلفات ضخمة منها: مفاتيح الغيب وشرح الوجيز للغزالي. انظر: معجم المؤلفين (١١/ ٧،٩).

(٣) الأربعين (٢/ ٢٤٥).

(٤) التفسير الكبير (٢/ ٦٠).

(٥) المسائل الخمسون في أصول الدين، تحقيق أحمد حجازي السقا ص(٦٩)، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع.

حق، ولكن من جملة تأثيراتها إسقاط العقاب عن أهل العقاب".

أما في (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين) فقد عرض جانباً آخر لهذه المسألة وبين بالأدلة العقلية والمناظرات الكلامية أن مرتكب الكبيرة لا بد أن يعفو عنه ويدخل الجنة، وهذا أحد الأدلة العقلية لهم حيث إنهم يقولون إذا جاز العفو والغفران جازت الشفاعة"[1].

ثانياً: قول الماتريدية في الشفاعة:

الماتريدية تثبت الشفاعة لما ورد في النصوص الشرعية الدالة على ثبوتها.

فقد جاء عن أبي منصور الماتريدي في كتاب (التوحيد) عند الحديث عن مسألة الشفاعة ومناقشة النافين فيقول:

"ثم قال بعضهم: لو كانت الكبيرة مما تُجوّز الشفاعة لها، لكان من يحلف بفعل شيء يستوجب به الشفاعة، يؤمر بارتكاب الكبيرة.

فقال الفقيه رحمه الله: فنقول ذلك وهم؛ لأنه ليس الذي له أن يشفع هو الذي يستوجب الشفاعة، بل يستوجب بالحسنات التي بها يجب الولاية فيما ترك فحق من حلف بذلك ليس أن يقال له: اعص، ولكن يقال له: أطع لتستوجب به الشفاعة فيما عصيت، وكذلك من يحلف: لأفعلن الفعل الذي أستوجب به المغفرة، لا يقال له ارتكب الصغائر، بل يؤمر باتقاء الكبائر والتوبة عنها ليغفر له، فمثله أمر الشفاعة.

---

(١) انظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص(٢٣٥)، مكتبة الكليات الأزهرية.

والشفاعة من أعظم ما احتج بها، وقد جاء القرآن بها والآثار عن رسول الله ﷺ، والشفاعة في المعهود والمتعالم من الأمر تكون عند زلات يستوجب بها المقت والعقوبة، فيعفى عن مرتكبها بشفاعة الأخيار وأهل الرضا، ثم كانت الصغائر مما لا يجوز التعذيب عليها عند القائلين بالخلود في الكبائر، والكفار مما لا يعفى عنهم بالشفاعة، فإذا بطل عظيم ما جاء به من القرآن والآثار في الامتنان، وسقط ما جبل عليه أهل العلم من الرجاء بالله وبرحمته، بطل دعاء المسلمين بشفاعة الرسل، ولا قوة إلا بالله"(١).

وقال البزدوي(٢): "وكذا الشفاعة لأهل الكبائر حق عند أهل السنة والجماعة، فيشفع الرسل والأنبياء والعلماء لأهل الكبائر... ففيه أحاديث كثيرة... وكتاب الله تعالى دال عليه"(٣).

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[الأنبياء:٢٨]، ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾[طه:١٠٩].

وقال شارح الفقه الأكبر: "وشفاعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حق، أي عموماً في المقصود، وشفاعة نبينا صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم،

(١) كتاب التوحيد للإمام أبي منصور الماتريدي، تحقيق فتح الله خليف ص(٣٦٥).

(٢) علي بن محمد بن الحسن بن عبد الكريم البزدوي أبو الحسن فخر الإسلام الفقيه بما وراء النهر صاحب الطريقة على مذهب أبي حنيفة، توفي يوم الخميس من رجب سنة ٤٨٢هـ ودفن بسمرقند، له كتاب: المبسوط والجامع. انظر: التراجم (١٦٢/ ٢٠٥).

(٣) أصول الدين ص(١٦٢) نقلاً عن الماتريدية، دراسة وتقويم ص(٤٠) وما بعدها.

أي خصوصاً في المقام المحمود واللواء الممدود والحوض المورود، للمؤمنين المذنبين، أي من أهل الصغائر المستحقين للعقاب، ولأهل الكبائر منهم، أي من المؤمنين، المستوجبين للعقاب حق ثابت، فقد ورد: [**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**](١)...، بل الأحاديث في باب الشفاعة متواترة المعنى(٢).

وفي (شرح العقائد النسفية) يقول:

"والشفاعة ثابتة للرسل والأخيار في حق أهل الكبائر بالمستفيض من الأخبار"، وهذا مبني على ما سبق من جواز المغفرة بدون الشفاعة، فبالشفاعة أولى"(٣).

وفي (تبصرة الأدلة) يقول مقرراً إثبات الشفاعة بناءً على دليل عقلي:

"وهذه المسألة في الحقيقة هي المسألة الأولى؛ فإن عندنا لما جاز أن يغفر الله تعالى لصاحب الكبيرة بفضله ورحمته، وكانت المغفرة تحت الحكمة أجاز أن يغفر بشفاعة الرسل والأنبياء عليهم السلام، وبشفاعة الأخيار من الآباء والأبناء والأقارب والأستاذين والتلامذة وغيرهم"(٤).

وهذه النصوص واضحة جلية في أن الماتريدية تثبت الشفاعة بناء على

---

(١) صحيح الترمذي (٢/ ٢٩٥)، المشكاة ٥٥٩٩.

(٢) شرحه الفقه الأكبر لأبي حنيفة ص(٩٤-٩٥)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

(٣) شرح العقائد النسفية ص(١٢٥)، وانظر تفسير النسفي (١/ ٤٧).

(٤) تبصرة الأدلة ص(٧٩٢). وانظر كذلك: الأصول الإيمانية لدى الفرق الإسلامية لعبد الفتاح أحمد فؤاد ص(١٢١)، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٠م.

القاعدة عندها من جواز الغفران لصاحب الكبيرة، وحيث إنهم يجعلون المغفرة تحت الحكمة، قالوا: جاز أن يغفر لصاحب الكبيرة بشفاعة الشافعين من الأنبياء والرسل وغيرهم من المؤمنين.

المطلب الثاني: أدلتهم.

يعتمد الأشاعرة في إثبات الشفاعة على أدلة عقلية مع إثبات الأدلة السمعية فعندهم أن الشفاعة من مجوزات العقول، وأن المعتزلة إذا كانوا قد جوزوا الصفح والعفو ابتداءً من الله تعالى، فإن إنكارهم للشفاعة بمعنى إسقاط العقاب من العصاة تحكم لا معنى له.

يقول إمام الحرمين الجويني:

"وسبيلنا أن نبين أن تشفيع الشفعاء من مجوزات العقول بالطرق التي قدمناها فإن رددنا الأمر إلى محض الحق ولم نقل بالتحسين والتقبيح، فالرب يفعل ما يشاء، وإن جارينا، وقفونا فاسد معتقدهم، فمرجعهم إلى شواهد الشاهد، ولا يقبح عند العقلاء أن يشفِّع الملك بعض المخلصين المصطفين لديه في مذنب استحق عقاباً ولا ينكر ذلك إلا متعنت.

فإذا أثبت جواز التشفيع عقلاً، فقد شهدت له سنن بلغت الاستفاضة، فمن رامها ألفها منقولة، ثم هي مصرحة بالتشفيع في أهل الكبائر:

منها: حديث: [**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**][(١)].

وقوله أيضاً: [**لا تحسبوها للمتقين وإنما هي للخاطئين المتلوثين**][(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذي، ك/ القيامة، ب/ الشفاعة رقم٢٥٥٢، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٩٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه، ك/ الزهد رقم٤٣١١، صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٤٣١).

وحديث: [**خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة فاخترت الشفاعة فإنها أشفى**][(١)].

وقد أجمع المسلمون قبل ظهور البدع على الرغبة إلى الله تعالى في أن يرزقهم الشفاعة، وذلك مجمع عليه في العصور الماضية.

ثم قال: فإذا شهد العقل بالجواز، وعضدته شواهد السمع، فلا يبقى بعد ذلك للإنكار مضطرب"[(٢)].

يقول الإمام الباقلاني في (الإنصاف):

"ويجب أن يعلم أن كل ما ورد به الشرع من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ورد الروح إلى الميت عند السؤال ونصب الصراط والميزان والحوض والشفاعة للعصاة من المؤمنين، كل ذلك حق وصدق، يجب الإيمان به، والقطع به؛ لأن جميع ذلك غير مستحيل في العقل، ثم قال: والدليل على ثبوت الشفاعة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[الأنبياء:٢٨] يدل على ثبوت الشفاعة لمن أراد سبحانه وتعالى، ويدل عليه قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[الإسراء:٧٩] وأيضاً قوله ﷺ: [**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**][(٣)]"[(٤)].

(١) أخرجه الترمذي، ك/ القيامة، ب/ الشفاعة رقم ٢٤٤١.

(٢) الإرشاد ص(٣٣٠-٣٣١).

(٣) أخرجه أبو داود، ك/ السنة، ب/ الشفاعة ص(٢٧٩).

(٤) الإنصاف ص(٧٨).

أما أبو المعالي الجويني في (النظامية) فقد أثبت الشفاعة للعصاة بأدلة عقلية منها: دليل غفران الذنوب، وبأحاديث نبوية، ولم يذكر نصوصاً من القرآن[(١)]، فيقول: "اتفق أهل الحق على إثبات الشفاعة، وهذا يستدعي تقديم القول في جواز غفران الذنوب، فنقول: من استقر عنده أن الله تعالى يفعل ما يشاء، وتقرر لديه أن رب الأرباب لا يجب عليه ثواب ولا عقاب لم ينكر جواز غفرانه وعفوه، وإن نزلنا على مقدار عقول المخالفين في تشبيههم أحكام أفعال الله تعالى، فقد تقرر عند العقلاء قاطبة أن العفو والصفح والتجاوز عن المجرمين من مكارم الأخلاق ومعالي الأمور، وقد أتفقت طبقات الخلق على تفنن آرائهم واختلاف أهوائهم على تحسين التجاوز والعفو عند القدرة، ثم إذا عظم قدر بعض الخدم عند الله لم يقبح منه تشفيعه في جميع المذنبين إذا تقرر الجواز في ذلك، فالأخبار في الشفاعة معروفة"[(٢)].

أما كتب الماتريدية فقد ذكر في شرح العقائد النسفية أدلة عقلية ونقلية على إثبات الشفاعة نذكر منها:

- "قال: قوله (والشفاعة ثابتة) قد يقال إن مرتكب المكروه يستحق حرمان الشفاعة تمسكاً بقوله ﷺ: **[من ترك سنتي لم تنله شفاعتي]**[(٣)]، فيحرم أهل الكبائر بطريق أولى، ويجاب بمنع الملازمة؛ لأن جزاء الأدنى لا

(١) العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية للجويني ص(١١٨)، تحقيق أحمد حجازي السقا، ط.الأولى ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) العقيدة النظامية للجويني صححها الكوثري ص(٦٠)، مطبعة الأنوار ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م.

(٣) قال الشيخ ابن عثيمين: هذا الحديث لا يصح معناه.

يلزم جزاء الأعلى الذي له جزاء أعظم، ويحمل السنة على الطريقة. قيل على أن الاستحقاق لا يستلزم الوقوع ولو سلم فلعل المراد حرمان الشفيعية أو حرمان الشفاعة لرفعه الدرجة أو لعدم الدخول في النار أو في بعض مواقف المحشر على أن الاستحقاق لا يستلزم الوقوع.

- إن هذا مبني على ما سبق من جواز العفو والمغفرة بدون الشفاعة فبالشفاعة أولى وعندما لم تجز ذلك لم يجز تلك. وقوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[محمد:١٩] وقوله: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[المدثر:٤٨] فإن أسلوب هذا الكلام يدل على ثبوت الشفاعة في الجملة وإلا لما كان لنفي نفعها عن الكافرين عند القصد إلى تقبيح حالهم، وتحقيق بأسهم معنى، لأن مثل هذا المقام يقتضي أن يوسموا بما يخصهم لا بما يعمهم وغيرهم، وليس المراد أن تعليق الحكم بالكافر يدل على نفيه عما عداه حتى يرد عليه أنه إنما يقوم حجة على من يقول بمفهوم المخالفة.

- كذلك استدلوا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾[الكهف:١٠٧] إلى غير ذلك من النصوص الدالة على كون المؤمنين من أهل الجنة مع ما سبق من الأدلة القاطعة على أن العبد لا يخرج بالمعصية من الإيمان، وأيضاً الخلود في النار من أعظم العقوبات، وقد جعل جزاء الكفر الذي هو أعظم الجنايات فلو جوزي به الكافر زيادة على قدر الجناية فلا يكون عدلاً.

- إن قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ [البقرة:٤٨] قالوا: يجوز أن

يقال تدل الآية بظاهرها على انتفاء ما ليس محل النزاع من الشفاعة العظمى لفصل القضاء والشفاعة لزيادة الدرجات، فما كان جوابهم في ذلك فهو جوابنا في الشفاعة لأصحاب الكبائر.

ومن أدلتهم قالوا:

لما كان جزاء الإيمان كما نطقت به النصوص القاطعة من الكتاب والسنة المتواترة وأجمع عليه المسلمون إنما هو الجنة، وهو لا يمكن أن يجازى بها قبل دخول النار ثم يدخلها لأن داخل الجنة مخلد فيها بالإجماع.ا.هـ"[(١)].

وأيضاً قالوا: وعندنا وجوب وقوعه لإخباره به فقط، ويجوز العفو عمن مات مصراً على الكبائر بشفاعة النبي ﷺ أو دونها وعندهم لا أثر للشفاعة إلا في زيادة الثواب للوجوب الذي ذكرناه، ولا خلاف في عدم العفو عن الكفر سمعا عندنا فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا، لكن لا يقع ذلك ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾[البقرة:٢٥٥] وعقلا عندهم على ما زعموا هم وصاحب العمدة من الحنفية بناء على أن العفو عنهم مخالف للحكمة على ما ظنوا فيمتنع عقلا عليه تعالى فيجب العقاب كما أسمعناك"[(٢)].

وقالوا: "إنها من الأمور الممكنة أخبر بها الصادق ونطق بها الكتاب

(١) انظر من مجموعة الحواشي البهية على شرح العقائد النسفية للتفتازاني، ملا أحمد الجندي، الخيالي، عبد الحكيم السيالكوتي (١/ ١٧١-١٧٧)، مطبعة كردستان العلمية سنة ١٣٢٩هـ.

(٢) كتاب المسامرة لكمال بن أبي شريف في شرح المسايرة لكمال بن الهمام ص(٣٨-٣٩)، مطبعة السعادة.

والسنة فتحمل هذه النصوص على ظاهرها"[١].

وعلى ضوء ما سبق يظهر لنا موقف الأشاعرة والماتريدية من الشفاعة، وأنه يقف جنباً إلى جنب من موقف أهل السنة والجماعة في إثبات الشفاعة مع الاختلاف في طرق إثبات الشفاعة.

(١) أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة لمحمد بن عبد الرحمن الخميس ص(٦٠٩)، ط.الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، دار الصميعي.

الفصل الخامس

الشفاعة عند الفلاسفة

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: التعريف بهم.

المبحث الثاني: قول الفلاسفة في الشفاعة.

المبحث الثالث: أدلتهم.

تمهيد

كانت الفلسفة منذ كان العقل البشري، ونشأت الفلسفة منذ فتح الإنسان عينيه على الوجود، ولكن ليس هناك شك في أن التفكير الفلسفي المنظم قد بدأ عند اليونانيين، فقد تناولوا مشاكل العالم والنفس والألوهية، وناقشوها بأسلوب منطقي، واتخذوا بصددها مواقف خاصة، أي (مذاهب) دافعوا عنها بالحجج والبراهين العقلية.

وقد أقاموا هذه المذاهب على أساس تسليم يقيني بأن ثمة قانونا أزليا LOGOS ينظم سائر الظواهر، وأن شيئاً ما لا يخرج عن دائرة هذا القانون.

وبهذا تحدد مفهوم الفلسفة في نشأتها الأولى، واستبعدت من مجالها نظرات الشعوب وخطراتها العقلية التي لا تحمل في طياتها تبريراً منطقياً مقنعاً.

ثم إن انتشار الفلسفة اليونانية في شرقي حوض البحر الأبيض المتوسط، أي في منطقة ظهور الأديان السماوية الكبرى اليهودية والمسيحية، والإسلام جعل من الضروري أن تتم المواجهة المباشرة بين الفلسفة وهذه الأديان، لا سيما أن الموضوعات التي تصدى لمعالجتها الفلاسفة لا تبعد كثيراً عما تعرضت له الأديان مع اختلاف في المنهج والغاية، فالفلسفة تعتمد على التفسير العقلي المحسوس فقط، أما الدين فإنه يستند أولاً إلى الدليل النقلي مع ما عنده من قبول الدليل العقلي الصحيح.

والفلسفة وليدة نظرة العقل البشري إلى الوجود في أصله وجوهره

ومصيره، وتطلعه إلى إدراك المبادئ الأولى فيه، والعقل قبس من نور الله يستخدمه الإنسان في مجاهل الوجود وشعابه، فيتتبع الموجودات، ويحاول أن يدرك ماهيتها وشكلها مرتقياً من علَّة إلى علَّة، مقلباً كتاب الكون صفحة بعد صفحة حتى يصل إلى الغاية القصوى التي هي العلة الأولى والتي كان كل شيء بها ومن أجلها، ثم يرتد على أعقابه محللاً العناصر والطبائع، كاشفاً عن حقيقة الجواهر والأعراض حتى يكون له صورة واضحة عن الكون، ويفسر كيفية انسجام الأشياء في ذاته وفي ما حوله مما هو خارج عن ذاته، وكثيراً ما يضل الطريق فيتخبط في ظلمات شتى، ويقف أمام بعض القضايا حائراً عاجزاً عن إدراك كنهها لأنه محدود لا يستطيع استيعاب جميع الجزئيات.ا.هـ[١].

---

(١) انظر: تاريخ الفلسفة العربية لحنا الفاخوري، خليل الجراح (١/ ٧)، ط.الثانية ١٩٨٢م، دار الجيل، وتاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام لمحمد أبو ريان ص(٣)، ١٩٧٤م، دار الجامعات المصرية، وتاريخ الفلسفة في الإسلام ت.ج.دي بور، تعريب محمد أبو ريدة ص(٣٥٧)، ط.الرابعة ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، والمنهج في تاريخ الفلسفة العربية لحسن عاصي ص(١١)، ط.الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م، دار المواسم.

المبحث الأول: التعريف بالفلاسفة.

اللغة:

إذا نظرنا إلى كتب اللغة العربية نجد أنها تغفل ذكر الفلسفة تحت مادة (فلس) ولعل السبب كما ذكره العلامة ابن منظور عند عرضه لمادة (فلسف) فقال: "الفلسفة: الحكمة أعجمي، وهو الفيلسوف، وقد تفلسف"[١].

أما المعاجم والموسوعات الفلسفية فقد عرضت لمعنى الفلسفة واتفقت جميعاً على أن الفلسفة مشتقة من اليونانية.

ففي موسوعة الملل والنحل للشهرستاني يقول:

"الفلسفة باليونانية: محب الحكمة والفيلسوف هو فيلاوسوفا وفيلا هو المحب وسوفا الحكمة أي محب الحكمة.

والحكمة قولية وفعلية:

أما الحكمة القولية وهي العقلية أيضاً: فهي كل ما يفعله العاقل بالحد وما يجري مجراه مثل الرسم والبرهان وما يجري مجراه مثل الاستقراء.

أما الحكمة الفعلية: فكل ما يفعله الحكيم لغاية"[٢].

---

(١) لسان العرب (٢/ ١١٢٧).

(٢) موسوعة الملل والنحل لأبي الفتح الشهرستاني ص(١٥١)، ط.الأولى ١٩٨١م، مؤسسة ناصر للثقافة-بيروت.

قال ابن القيم: "والمقصود: أن الفلاسفة اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها. وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصاً بمن خرج عن ديانات الأنبياء ولم يذهب إلى ما يقتضيه العقل في زعمه.

وأخص من ذلك: أنه في عرف المتأخرين اسم لأتباع ارسطو وهم المشاءون خاصة. وهم الذين هذب ابن سينا طريقتهم وبسطها، وقررها"[١].

وفي المعجم الفلسفي يذكر ما ذكره الشهرستاني ويزيد عليه فيقول:

"لفظ فلسفة مشتقة من اليونانية: محب الحكمة...

ثم يقول: وكانت الفلسفة عند القدماء مشتملة على جميع العلوم وهي قسمان: نظري وعملي.

أما النظري فينقسم إلى العلم الإلهي ـ وهو الأعلى ـ، والعلم الرياضي ـ وهو الأوسط ـ، والعلم الطبيعي ـ وهو الأسفل ـ.

وأما العلمي فينقسم إلى ثلاث أقسام:

أولها: سياسة الرجل نفسه، ويسمى بعلم الأخلاق.

والثاني: سياسة الرجل أهله ويسمى بتدبير المنزل.

والثالث: سياسة المدنية والأمة والملك"[٢].

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٥٤)، تحقيق محمد كيلاني، دار النور الإسلامية للطبع والنشر والتوزيع ـ بيروت.

(٢) المعجم الفلسفي لجميل صليبا (٢/ ١٦٠)، ط.الأولى ١٩٧٣م، دار الكتاب اللبناني.

اصطلاحاً:

نجد أن التعريفات تجمع على أن الفلسفة علم فيه تشبه بالذات العلية فيقول الجرجاني:

"الفلسفة: التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية كما أمر الصادق عليه الصلاة والسلام في قوله: [**تخلقوا بأخلاق الله**][(١)] أي تشبهوا به في الإحاطة بالمعلومات والتجرد عن الجسمانيات"[(٢)].

أما في دستور العلماء فنجد أنه يعرف الفلسفة بقوله:

"الفلسفة في اللغة اليونانية: التشبه بحضرة واجب الوجود وبقدر الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية...ثم يسرد نفس كلام الجرجاني ثم يقول: والفلاسفة: الحكماء.

والفلسفة الأولى هي العلم الإلهي وتحقيقها في الإلهي"[(٣)].

أما الفلاسفة فقد عرفوا بأنهم:

"أصحاب الطب والنجوم المتولعون في ذلك، منهم من قال: إن الله تعالى يظهر، ومنهم من قال: لا يظهر، بل هو علة لكل شيء، والشيء معلول"[(٤)].

---

(١) قال الألباني: لا أصل له. انظر: السلسلة الضعيفة والموضوعة (٦/ ٣٤٦).

(٢) التعريفات للجرجاني ص(٢١٦)، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط.الثانية، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، دار الكتاب العربي.

(٣) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، الملقب بدستور العلماء لعبد النبي عبد الرسول الأحمد نكري (٣/ ٤٤)، ط.الثانية ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م، مؤسسة منشورات الأعلمي للمطبوعات –بيروت.

(٤) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان لعباس منصور السكسكي الحنبلي ص(٦٠)، تحقيق =

أما أحد الكتاب المحدثين فقد عرف الفلسفة من طريق آخر فقال:

"الفلسفة علم بأصول نتعرف به على الوجود، ونستخلص من معرفتنا خطة نسير عليها نحو الهدف الأعلى"[١].

وليس بين هذه التعريفات اختلاف تضاد، بل كل عرفها من جانب، ففي الأول عرفت من جانبها الروحي، وفي الآخر عرفت من جانبها العملي.

=

خليل الحاج، ط.الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، دار التراث العربي.

(١) تاريخ الفلسفة العربية ص(٨).

المبحث الثاني: قول الفلاسفة في الشفاعة.

بين يدي المبحث:

عند حديثنا عن الشفاعة يتبادر إلى أذهاننا الحديث عن اليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب لذا سنقدم هنا بالحديث عن المعاد وأحوال الناس فيه:

أحوال الناس في المعاد:

قد ذكر العلماء أحوال الناس في المعاد، فمنهم من قسمها خمسة أقسام ومنهم من جعلها ثلاثة[(١)] فقط، بين بسط وإجمال وتشعيب للقول الواحد ونحن نوجز ما قالوا:

قال الرازي في الأربعين:

"اعلم أن الأقوال الممكنة في هذه المسألة لا تزيد على خمسة: وذلك لأن الحق:

إما أن يكون المعاد هو المعاد الجسماني فقط، وهو قول أكثر المتكلمين.

أو المعاد الروحاني فقط، وهو قول أكثر الفلاسفة الإلهيين.

أو كل واحد منهما حق وصدق وهو قول أكثر المحققين.

أو الحق هو بطلانهما معا وهو قول القدماء من الفلاسفة الطبيعيين.

---

(١) رسالة أضحوية في أمر المعاد لابن سينا ص(٣٨)، تحقيق سليمان دنيا، ط.الأولى ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م، دار الفكر العربي.

ذلك نعرض لها في المبحث القادم إن شاء الله.

ذكر أقوال العلماء في إنكار الفلاسفة للمعاد الجسماني:

ففي شرح العقيدة الواسطية يقول الشارح عند شرحه لقول شيخ الإسلام: "الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره".

قال: والبعث في الأصل الإثارة والتحريك، والمراد به في لسان الشرع إخراج الموتى من قبورهم أحياء يوم القيامة لفصل القضاء بينهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، ويجب الإيمان بالبعث على الصفة التي بينها الله في كتابه، وهو أنه جمع ما تحلل من أجزاء الأجساد التي كانت في الدنيا، وإنشاؤها خلقاً جديداً، وإعادة الحياة إليها، ومنكرو البعث الجثماني كالفلاسفة والنصارى كافرون، وأما من أقر به ولكنه زعم أن الله يبعث الأرواح في أجسام غير الأجسام التي كانت في الدنيا فهو مبتدع فاسق"[(١)].

وأما شارح العقيدة الطحاوية فإنه يقول في معرض شرحه لقول الطحاوي:

"ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب،

=

(٨/ ٢٩٥)، وشرح العقيدة الواسطية ص(١٤١).

(١) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية لمحمد خليل هراس ص(١٩)، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

وقراءة الكتاب والثواب والعقاب، والصراط والميزان".

قال: "الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز، وأقام الدليل عليه، ورد على منكريه في غالب سور القرآن، وذلك أن الأنبياء عليهم السلام كلهم متفقون على الإيمان بالله، فإن الإقرار بالرب عام في بني آدم، وهو فطري كلهم يقر بالرب إلا من عاند كفرعون، بخلاف الإيمان باليوم الآخر، فإن منكريه كثيرون، ومحمد ﷺ لما كان خاتم الأنبياء، وكان قد بعث هو والساعة، وكان هو الحاشر المقفي بين تفصيل الآخرة بياناً لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء، ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم، أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد ﷺ، وجعلوا هذه الحجة لهم في أنه من باب التخييل والخطاب الجمهوري"[1].

يقول ابن القيم[2] رحمه الله في الروح، فصل في أن هل عذاب القبر على النفس والبدن، أو النفس دون البدن، أو على البدن دون النفس...؟:

"وفي المسألة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث، قول

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص(٤٠٤).

(٢) ابن القيم: هو محمد بن أبي بكر أيوب الدمشقي الشيخ العلامة تلميذ شيخ الإسلام المفسر المحدث الآخذ من كل علم بأوفر الحظ والنصيب صاحب التصانيف شمس الدين أبي عبد الله، ولد سنة ٦٩١هـ توفي ٧٥١هـ من كتبه: الصواعق المرسلة، إغاثة اللهفان. انظر: مختصر طبقات الحنابلة ص(٦٨) لمحمد البغدادي، دراسة فواز الزمرلي، ط.الأولى ١٤٠٦هـ ـ١٩٨٦م، دار الكتاب العربي.

من يقول: إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب، وهذا تقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين"[١].

أما أبو حامد الغزالي[٢] فإنه قد بين موقف الفلاسفة من حشر الأجساد وجعلها من المسائل التي كفر بها الفلاسفة، وذكر أدلتهم، ورد عليها فيقول:

"المسألة العشرون: في إبطال إنكارهم لبعث الأجساد، ورد الأرواح إلى الأبدان، ووجود النار الجسمانية، ووجود الجنة والحور العين، وسائر ما وعد به الناس، وقولهم: إن كل ذلك أمثلة ضربت لعوام الخلق، لتفهيم ثواب وعقاب روحانيين، هما أعلى رتبة من الجسمانيين"[٣].

أما الإمام الرازي فقد عرض لبيان إنكار الفلاسفة حشر الأجساد في أكثر من كتاب له فيقول:

"المطلوب الثاني: هو القول في المعاد:

اعلم أن المعاد الجسماني أنكره أكثر الفلاسفة، وجملة أهل الإسلام متفقون على إثباته.

---

(١) الروح لابن قيم الجوزية ص(٦٨)، مكتبة المدني.

(٢) أبو حامد الغزالي (حجة الإسلام) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، ولد سنة ٤٥٠هـ ١٠٥٩م، بمدينة طوس وكان والده يشتغل بغزل الصوف، درس الفلسفة دراسة عميقة فألف مقاصد الفلاسفة، من أشهر مؤلفاته: إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٢٢).

(٣) تهافت الفلاسفة ص(٢٨٢)، تحقيق سليمان دنيا، ط.السادسة، دار المعارف.

واعلم أن الجمع بين إنكار المعاد الجسماني، وبين الإقرار بأن القرآن حق متعذر لأن من خاض في علم التفسير، علم أن ورود هذه المسألة في القرآن، ليس بحيث يقبل التأويل"[(١)].

وقد بين عضد الدين الأيجي في المواقف موقف الفلاسفة من حشر الأجساد وذكر أن قولهم مخالف لما عليه أهل الإسلام، ورده بالأدلة العقلية فيقول: "أجمع أهل الملل والشرائع عن آخرهم على جوازه ووقوعه ـ حشر الأجساد ـ وأنكرهما الفلاسفة"[(٢)].

وأوضح الإمام التفتازاني مواطن الاتفاق والاختلاف في مسألة المعاد بين أهل الملة والفلاسفة فقال:

"واتفق المحققون من الفلاسفة، والمليين على حقيه المعاد واختلفوا في كيفيته"[(٣)].

أما شارح لوامع الأنوار البهية فقد ذكر فصلا في المعاد يبين فيه الأصل الذي بنى عليه الفلاسفة إنكارهم للمعاد الجسماني فيقول:

"وأنكرت الفلاسفة المعاد الجسماني بناء على امتناع إعادة المعدوم بعينه"[(٤)].

---

(١) الأربعين (٢/ ٥٥)، وكذلك محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص(٣٢٨)، ط.الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، دار الكتاب العربي.

(٢) شرح المواقف للإيجي (٨/ ٢٩٤).

(٣) شرح المقاصد (٥/ ٨٩).

(٤) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية =

"اعلم أن المعاد الجسماني حق واقع وصدق صادق دل عليه النقل الصحيح ولم يمنعه العقل فوجب الإيمان به والتصديق بموجبه لأنه جاء في السماع الصحيح المنقول ودل عليه عند الجمهور صريح المعقول، وهو أن يبعث الله تعالى الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها.

ثم اعلم أن الله تعالى يبعث جميع العباد، ويعيدهم بعد إيجادهم بجميع أجزائهم الأصلية، وهي التي من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره ويسوقهم إلى محشرهم لفصل القضاء، فإن هذا حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة مع كونه من الممكنات التي أخبر بها الشارع وكل ما هو كذلك فهو ثابت والإخبار عنه مطابق، والأصل فيما لا دليل على وجوبه ولا على امتناعه الإمكان كما يقوله الحكماء والمتكلمون من أن كل ما قرع سمعك من الغرائب قدره في حيز الإمكان ما لم يدرك عنه قائم البرهان، فمن زعم عدم إعادة المعدوم ألزم بالمبدأ فإن المعاد مثل المبدأ بل هو عينه أو أيسر كما لا يخفى، وتقدم أن الأنبياء تأتي بما تدركه العقول أو تتحير فيه، ولا تأتي بما تحيله العقول أبداً فتأتي بمحارات العقول لا بمحالات العقول، وإمكان المعاد لأنه إما إيجاد ما انعدم أو جمع ما تفرق أو إحياء بعد إماتة، وهذا كله ممكن لا إحالة في شيء من ذلك أصلاً مع ما

=

لمحمد السفاريني (٢/ ١٥٧)، تنبيه عبد الرحمن أبابطين سليمان بن سحمان، ط.الثانية، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي.

تواتر من أخبار الأنبياء والكتب السماوية في القرآن العظيم والذكر الحكيم"[١].

وكذلك ما ورد من السنة وإجماع الأمة على تلقي هذا الأمر بالقبول ثم إن العقل يدل عليه.

وبعد هذا العرض لقول الفلاسفة في إنكار المعاد الجسماني نعلم أنهم ينكرون بناء على ذلك الشفاعة لأن الشفاعة جزء من أحداث اليوم الآخر الذي يقولون إنه عبارة عن تخيلات لتقريبها للعوام فجعلوا الشفاعة عبارة عن تخيلات لتقريبها للعوام.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ عنهم في هذا المجال:

"وقد ظن بعض من تكلم في الشفاعة على طريقة الفلاسفة كابن سينا وأشباهه أن الشفاعة تنفع لتعلق الشفيع بالمشفوع، وإن لم يكن هناك دعاء من الشفيع، وشبه ذلك بشعاع الشمس الذي يظهر في المرآة، والمرآة تطرح شعاعها على الماء والشعاع الذي على الماء يظهر في الحائط، وأن العبد إذا تعلق بالملائكة والأنبياء كان ما ينزل عليهم من الرحمة ينزل عليه من ذلك يتوسطهم كما ينتفع اتباع المتبوع بما يحصل له من الجاه والمنزلة.

وهذا الذي قاله هو شر من قول المشركين، وهذه هي الشفاعة التي أبطلها الله ورسوله ﷺ، وابن سينا ذكر هذه الشفاعة جرياً على منهاج

---

(١) انظر: المرجع السابق نفس الجزء والصفحة ١٥٩.

سلفه المشركين الصابئين"[١].

وقد صور هذا أيضاً الغزالي في (المضنون به على غير أهله) فقال:

"فالشفاعة عبارة عن نور يشرق من الحضرة الإلهية على جوهر النبوة... وينتشر منها إلى كل جوهر استحكمت مناسبته مع جوهر النبوة لشدة المحبة وكثرة المواظبة على السنن... وكثرة الذكر بالصلاة عليه ﷺ. ومثاله نور الشمس إذا وقع على الماء فإنه ينعكس منه إلى موضع مخصوص من الحائط إلا إلى جميع المواضع... وإنما اختص ذلك الموضع لمناسبة بينه وبين الماء في الموضع..."[٢].

أما الفخر الرازي في تفسيره فقد ذكر لهم نوعاً آخر من التأويلات فيقول:

"قالت الفلاسفة في تأويل الشفاعة: إن واجب الوجود عام الفيض تام الجود فحيث لا يحصل فإنما لا يحصل لعدم كون القابل مستعداً، ومن الجائز أن لا يكون الشيء مستعداً لقبول الفيض عن واجب الوجود إلا أن يكون مستعداً لقبول ذلك الفيض من شيء قبله عن واجب الوجود، فيكون ذلك الشيء كالمتوسط بين واجب الوجود وبين ذلك الشيء الأول،

---

(١) كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري لابن تيمية ص(٦٣)، المطبعة السلفية ١٣٤٦هـ انظر الصفدية لشيخ الإسلام (١/ ٢٠٩)، تحقيق محمد رشاد سالم ١٩٣٦م، مطابع حنيفة -الرياض.

(٢) المضنون به على غير أهله للغزالي ص(٩٤)، منشورات دار الحكمة.

ومثاله في المحسوس أن الشمس لا تضيء إلا للقابل المقابل وسقف البيت لما لم يكن مقابلا لجرم الشمس لا جرم لم يكن فيه استعداد لقبول النور عن الشمس إلا أنه إذا وضع طستاً مملوءاً من الماء الصافي، ووقع عليه ضوء الشمس انعكس ذلك الضوء من ذلك الماء إلى السقف فيكون ذلك الماء الصافي متوسطاً في وصول النور من قرص الشمس إلى السقف الذي هو غير مقابل الشمس، وأرواح الأنبياء كالوسائط بين واجب الوجود وبين أرواح عوام الخلق في وصول فيض واجب الوجود إلى أرواح العامة، فهذا ما قالوه في الشفاعة تفريعاً على أصولهم"(١).

وقد أيد شيخ الإسلام ما ذكره الرازي من أن الفلاسفة تجعل الشفاعة عبارة عن اتصال الأرواح فيقول في دقائق التفسير:

"وللناس في الشفاعة أنواع من الضلال... فكثير منهم يظن أن الشفاعة هي بسبب اتصال روح الشافع بروح المشفوع له، ويقولون: من كان أكثر صلاة على النبي ﷺ كان أحق بالشفاعة من غيره، وكذلك من كان أحسن ظنا بشخص أو أكثر تعظيما له كان أحق بشفاعته، ثم قال: وهذا غلط، بل هذا هو قول المشركين الذين قالوا: نتولى المشركين ليشفعوا لنا، يظنون أن من أحب أحدا من الملائكة والأنبياء والصالحين وتولاه كان ذلك سببا لشفاعته له، وليس الأمر كذلك"(٢).

---

(١) تفسير الفخر الرازي (٢/ ٧٠)، دار الفكر.

(٢) دقائق التفسير لابن تيمية (٢/ ٣١)، ط.الأولى ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، مطبعة التقدم.

ولكن لنا أن نتساءل لماذا قال الفلاسفة في الشفاعة بهذا القول؟

إن الجواب عن هذا التساؤل هو:

بناءاً على أصلهم الفاسد في "أن الله ليس بفاعل مختار يحدث الحوادث بمشيئته واختياره بل هؤلاء يقولون إن الرب يوجب العالم بذاته ويسمونه علة العلل، ويقولون إنه علة تامة، وإن كان كذلك فلابد للحوادث من سبب حدوثها وهو بسبب حركة الفلك وما يحدث عنها من الأشكال الفلكية والاتصالات الكوكبية"[١].

---

(١) كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري لابن تيمية، تحقيق عبد الله السهلي ص(٢٣٦)، رسالة ماجستير من جامعة الملك سعود ١٤١٦هـ.

المبحث الثالث: أدلتهم.

شبه الفلاسفة في إنكار المعاد الجسماني:

"أما الفلاسفة المنكرون لصحة المعاد الجسماني، فقد احتجوا على ذلك بوجوه:

الأول:

أن حشر الأجساد لا يتم إلا مع القول بصحة إعادة المعدوم وهذا محال، فذلك محال.

الثاني:

إذا قتل إنسان، وأكله إنسان آخر، فقد صارت أجزاء بدن المقتول أجزاء بدن هذا الذي أكله، لأن من أكل شيئاً واغتذى به، فقد صارت أجزاء الغذاء، أجزاء بدن المغتذي، فيوم القيامة لابد أن ترد تلك الأجزاء إلى بدن أحد هذين الشخصين، فلابد أن يضيع الثاني فعلمنا أن القول بحشر الأجساد محال.

الثالث:

أنه تعالى إذا أعاد بدن شخص، فإما أن يعيد هذه الأجزاء التي كانت موجودة وقت الموت، أو يعيد جملة الأجزاء التي كانت أجزاء له، في جميع مدة الحياة، والأول يقتضي أن يعاد الأعمى والأقطع والمجذوم على هذه الصورة. وذلك باطل بالاتفاق، والثاني أيضاً باطل.

الرابع:

البدن جوهر حار رطب، والحرارة إذا أثرت في الرطوبة، لزم أن تصعد من الجوهر الرطب أجزاء بخارية لطيفة، فعلى هذا التقدير لابد أن يرتفع عن كل عضو أجزاء بخارية لطيفة، وربما التصق بعضو آخر وصار جزءاً لذلك العضو الآخر، فإذن هذا الجزء الواحد قد كان جزءاً لأحد العضوين. ثم صار للعضو الآخر، ففي زمان الحشر لو أعيد ذلك الجزء إلى العضو الأول، ضاع العضو الثاني، ولو أعيد إلى العضو الثاني، لضاع العضو الأول، ولما كان القول بالحشر متأدياً إلى هذا الباطل، وجب أن يكون باطلاً(١).

الخامس:

إن الإعادة لا لغرض عبث، ولغرض عائد إلى الله تعالى نقص، وإلى العبد إما إيصال ألم، وهو سفه، أو لذة ولا لذة في الوجود، سيما في عالم الحب إذ هي خلاص عن ألم، والإيلام الذي يعقبه الخلاص غير لائق بالحكمة فيمنع لزوم الغرض، ومنع كون اللذة الأخروية دفع ألم(٢).

الجواب عما تقدم من الشبه هو:

بعث البدن ممكن، وذلك بردها إلى البدن، أي بدن كان، سواء كان من مادة البدن الأول، أو من غيره، أو من مادة استؤنف خلقها، فإنه هو بنفسه لا ببدنه، إذ تتبدل عليه أجزاء البدن، من الصغر إلى الكبر، بالهزل

---

(١) انظر: تهافت الفلاسفة للغزالي ص(٢٩٤) وما بعدها، والأربعين للرازي (٢/ ٥٨).

(٢) شرح المقاصد (٥/ ٩٤).

والسمن، وتبدل الغذاء ويختلف مزاجه مع ذلك، وهو ذلك الإنسان بعينه، فهذا مقدور لله تعالى، ويكون ذلك عوداً لتلك النفس، فإنه كان قد تعذر عليها أنه تخطى بالآلام واللذات الجسمية، بفقد الآلة، وقد أعيدت إليها، ثم أليس يتفكر المنكر للبعث، أنه من أين عرف انحصار أسباب الوجود فيما شاهده، ولم يبعد أن يكون في إحياء الأبدان، منهاج غير ما شاهده، وقد ورد في بعض الأخبار أنه يغمر الأرض في وقت البعث، مطر، قطرانه تشبه النطف، وتختلط بالتراب، فأي بعد في أن يكون في الأسباب الإلهية، أمر يشبه ذلك، ونحن لا نطلع عليه، ويقتضي ذلك انبعاث الأجساد، واستعدادها لقبول النفوس المحشورة، وهل لهذا الإنكار مستند، إلا الاستبعاد المجرد.

ثم إن هناك فكرة ينادي بها المتكلمون وخاصة الأشاعرة وهي ما يسمى بالقدرة اللانهائية، فهي تستطيع أن تخلق ما تشاء كيف تشاء، فهو إذن قادر على إعادة البدن نفسه بحذافيره مهما تحللت أجزاؤه وتداخلت في أجزاء بدن آخر(١).

هذا في الرد المجمل، أما الرد المفصل على تلك الشبهة فهو كالتالي:

الجواب عن الشبهة الأولى:

أن نقول: أما الذين قالوا إن الإنسان هو هذا الهيكل، فلا جواب لهم عن هذه الشبهة إلا ببيان أن إعادة المعدوم غير ممتنعة، وبيان ذلك أن تعلم

---

(١) انظر: الله والعالم في الفكر الإسلامي لمحمد جلال شرف ص(٢٦٨) وما بعدها، ١٩٨٠م، دار النهضة العربية، وتهافت الفلاسفة ص(٢٩٩-٣٠٣).

أن إعادة المعدوم إن كانت جائزة فلا إشكال من أن الذي يوجد بعد العدم مغاير لمن وجد قبله وعليه لا يكون الثواب واصلاً إلى المطيع والعقاب متوجهاً إلى العاصي.

وإن كانت ممتنعة، فهذا الإشكال لازم، سواء قلنا: إنه تعالى يعدم الأجزاء، أو قلنا: إنه لا يعدمها وتقرير ذلك: أن المشار إليه لكل أحد بقوله (أنا) ليس هو مجرد تلك الأجزاء، وذلك لأنا لو قدرنا أن هذه الأجزاء تفرقت وصارت ترابا وسيما من غير حياة ولا خراج ولا تركيب ولا تأليف، فإن كل أحد يعلم أن ذلك القدر من التراب الصرف ليس عبارة عن (زيد) بل الإنسان المعين إنما يكون موجوداً، إذا تركبت تلك الأجزاء، وتألفت على وجه مخصوص، ثم قام بها حياة وعلم وقدرة وعقل وفهم.

وأما الذين قالوا: الإنسان ليس هو هذا الهيكل، وهذا هو الأقرب فقد احتجوا عليه بوجهين:

أحدهما: أن الإنسان شيء واحد باق من أول عمره إلى آخر عمره، وهذا الهيكل غير باق من أول العمر إلى آخره، فالإنسان شيء مغاير لهذا الهيكل.

الثاني: إن الإنسان قد يكون عالماً بذاته المخصوصة، حال ما يكون غافلاً عن جميع أجزائه الظاهرة والباطنة. والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم.

الجواب عن الشبهة الثانية:

هو أن المعتبر في الحشر والنشر، إعادة الأجزاء الأصلية، لا إعادة الأجزاء الفاضلة، والأجزاء الأصلية لكل مكلف أجزاء فاضلة بالنسبة إلى غيره،

وعلى هذا التقدير فالإشكال زائل، وأما إن قلنا بأن الشيء الذي هو الإنسان باق مصون عن التبدل والانحلال، فهذا الإشكال غير متوجه البتة.

وبهذا الحرف يظهر الجواب عن الشبهة الثالثة:

وذلك لأن المأمور والمنهي والمثاب والمعاقب، هو تلك الأجزاء الأصلية الباقية من أول العمر إلى آخره، فأما الزوائد التي تتبدل باختلاف أحوال السمن والهزال فلا عبرة بها.

وبه يظهر الجواب عن الشبهة الرابعة:

لأن الأجزاء التي تصير أبخرة وتنفصل عن العضو وتتصل بعضو آخر، فهي من الأجزاء الفاضلة، ولا عبرة بها في الحشر والنشر، وكل من أنصف علم أن هذه الأجوبة وافية بدفع هذه الشبهات.

الجواب عن الشبهة الخامسة:

منع لوازم الغرض، وقبح الخلو عنه في فعل الله تعالى، ثم منع انحصار الغرض في إيصال اللذة والألم، إذ يجوز أن يكون نفس إيصال الجزاء إلى من يستحقه غرضاً، ثم منع كون اللذة دفعاً للألم، وخلاصاً عنه، كيف واللذة والألم من الوجدانيات التي لا يشك العاقل في تحقيقها، ثم منع كون اللذات الأخروية من جنس الدنيوية بحسب الحقيقة ليلزم كونها وفقاً للألم وخلاصاً عنه(١).

---

(١) الأربعين في أصول الدين (٢/ ٥٢-٦١)، وشرح المقاصد (٥/ ٨٨)، وشرح المواقف (٨/ ٢٩٥).

هذا بالنسبة للشبهة التي ذكرها العلماء عن الفلاسفة أما كتب الفلاسفة فقد ذكرت شبه أخرى.

يقول ابن سينا في رسالة أضحوية في المعاد مدللاً على إنكار المعاد الجسماني:

"أما الشرع والملل الآتية على لسان نبي من الأنبياء، يرام بها خطاب الجمهور كافة ولهذا ورد التوحيد تشبيها كله، ثم لم يرد في القرآن من الإشارة إلى هذا الأمر الأهم شيء، ولا أتى بصريح ما يحتاج إليه من التوحيد بيان مفصل، بل أتى بعضه على سبيل التشبيه في الظاهر، وبعضه تنزيها مطلقا عاما جداً لا تخصيص ولا تفسير له.

وأما أخبار التشبيه فأكثر من أن تحصى، ولكن القوم لا يقبلونها، وإذا كان الأمر في التوحيد هكذا، فكيف فيما هو بعده من الأمور الاعتقادية"[١].

الجواب:

قولك هذا غير جار على مقتضى قوانين اللغة العربية، إذ أن نظام هذه اللغة يقتضي أن اللفظ إذا لم توجد قرينة تصرفه عن ظاهره، يكون مراده به حقيقة معناه، لا يختلف في ذلك فرد عن فرد، ولا جمهور عن خاصة.

وإذا وجدت قرينة تصرفه عن ظاهره، كان له معنى وراء هذا الظاهر تحدده تلك القرينة، وهذا المعنى المحدد في ضوء تلك القرينة يكون هو المراد

---

(١) رسالة أضحوية في المعاد ص(٤٤-٤٥). انظر: تهافت التهافت ص(٨٦٥).

بالنسبة للمخاطبين جميعاً، لا فرق بين قبيل وقبيل.

هذا هو ما تسمح به قوانين اللغة العربية التي نزل القرآن في حدودها وقوانينها ونظمها"[١].

ونختم الرد على الفلاسفة بما ذكره الرازي في محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين حيث يقول:

مسألة:

أجمع المسلمون على أن المعاد بمعنى جمع الأجزاء بعد تفرقها خلافاً للفلاسفة، ثم قال: قلنا إنه في نفسه ممكن والصادق أخبر عنه فوجب القول به، وإنما قلنا إنه ممكن لأن الإمكان إنما ثبت بالنظر إلى القابل أو الفاعل وهما حاصلان، أما بالنظر إلى القابل فلأن قبول الجسم الأعراض الفاعلية أمر ثبت له لذاته وما بالذات كان حاصلاً أبداً فذلك القبول حاصل أبداً وأما بالنظر إلى الفاعل فلأنه تعالى بدأ بأعيان جزء كل شخص لكونه عالماً بالجزئيات وقادراً على جمعها وخلق الحياة فيها لكونه قادراً على كل الممكنات، وإذا كان كذلك كانت الإعادة ممكنة[٢].

وبهذا يتضح أن الفلاسفة لا تقر بشفاعة أصلا لا لرسول الله ﷺ ولا

---

(١) رسالة أضحوية ص(٤٦) الحاشية.

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص(٣٣٩)، دار الكتاب العربي، وانظر: أبكار الأفكار للآمدي ج٢، جامعة الملك سعود (مخطوط) رقم٣٥/ ب م ج الأصل الثالث في جواز إعادة ما عدم عقلاً.

لغيره على ما يقرره جمهور أهل السنة والجماعة وكل ما عندهم فيها عبارة عن خيالات ظنوها يقينيات.

أدلة إثبات المعاد:

وقد أنكروا البعث بعد الموت زاعمين أن ذلك غير ممكن.

وهذا الزعم باطل دل على بطلانه الشرع، والحس، والعقل.

أما الشرع:

١- إن القيامة الكبرى هي معروفة عند الأنبياء، من آدم إلى نوح، إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام[(١)].

٢- الأدلة الدالة على أن المشاهد الكونية المحسوسة دالة على إمكان البعث:

قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج:٥-٧].

٣- قدرة الله الباهرة المتجلية في خلقه الأعظم:

قال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية في ذكر الأدلة ص(٤٠٥).

مِّثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨١-٨٢].

٤- ومن الأدلة أيضاً ذكر النشأة الأولى:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ...﴾ [الحج:٥-٧].

٥- كذلك حكمته تعالى الظاهرة للعيان والمتجلية في هذه الكائنات لكل من أمعن النظر وجرد الفكر من التعصب والهوى.

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾[المؤمنون:١١٥-١١٦] (١).

وأما الحس:

فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا، وفي سورة البقرة، خمسة أمثلة على ذلك وهي:

المثال الأول: قوم موسى حين قالوا له: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[البقرة:٥٥] فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطباً بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص(٤٠٥) وما بعدها، وانظر: أشراط الساعة ليوسف بن عبد الله الوابل ص(٣٣) وما بعدها، دار ابن الجوزي، والكواشف الجلية للسلمان ص(٥٦٢)، ط.الحادية عشر ١٤٠١هـ ١٩٨١م، مطابع المجد.

فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[البقرة:٥٥-٥٦].

المثال الثاني: في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها ليخبرهم بمن قتله وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:٧٢-٧٣].

المثال الثالث: في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت وهم ألوف فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[البقرة:٢٤٣].

المثال الرابع: في قصة الذي مر على قرية ميتة فاستبعد أن يحييها الله تعالى، فأماته الله مائة سنة ثم أحياه وذلك في سورة البقرة(١).

المثال الخامس: في قصة إبراهيم الخليل حين سأل الله تعالى أن يريه كيف يحي الموتى؟ فأمره الله تعالى أن يذبح أربعة من الطير، ويفرقهن أجزاء على الجبال التي حوله، ثم يناديهن فتلتئم الأجزاء بعضها إلى بعض ويأتين

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

إلى إبراهيم سعيا، وذلك كله في سورة البقرة[(١)].

أما دلالة العقل فمن وجوه:

أحدها: أن الله تعالى فاطر السموات والأرض وما فيهما، خالقهما ابتداء، والقادر على ابتداء الخلق لا يعجز عن إعادته، قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾[الروم:٢٧] وقال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[الأنبياء:١٠٤] وقال آمراً بالرد على من أنكر إحياء العظام وهي رميم: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[يس:٧٩].

الثاني: أن الأرض تكون ميتة هامدة ليس فيها شجرة خضراء، فينزل عليها المطر فتهتز خضراء حية فيها من كل زوج بهيج، والقادر على إحيائها بعد موتها، قادر على إحياء الأموات، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[فصلت:٣٩] وقال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾[ق:٩-١١][(٢)].

الثالث: أن في إثبات المعاد تقرير لكمال علم الرب وقدرته وحكمته

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين جمع فهد السليمان (٦/ ١٠٣)، ط.الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، دار الثريا للنشر.

كما قرر ذلك ابن القيم ﷺ في الفوائد حيث يقول: "براهين المعاد:

أحدها: تقرير كمال علم الرب سبحانه كما قال في جواب من قال: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[يس:٧٨-٧٩].

والثاني: تقرير كمال قدرته كقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[الحج:٦].

الثالث: كمال حكمته كقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾[المؤمنون:١١٥-١١٦].

ولهذا كان الصواب أن المعاد معلوم بالعقل والشرع، وأن كمال الرب تعالى وكمال أسمائه وصفاته تقتضيه وتوجبه، وأنه منزه عما يقوله منكروه كما ينزه كماله عن سائر العيوب والنقائص"(١).

ومما تقدم يتضح لنا مدى الفرق البعيد بين ما يقرره أهل السنة والجماعة من القول بالمعاد والشفاعة وبين شفاعات الفلاسفة الناتجة عن عقولهم الضعيفة التي ظنوا أنها تستطيع الوصول إلى اليقين بمفردها من غير اعتماد على السمع فضلوا وأضلوا وحادوا عن الطريق المستقيم نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) الفوائد لابن القيم ص(١٤-١٦)، ط.السادسة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، دار النفائس.

الفصل السادس

الشفاعة عند الصوفية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بهم.

المبحث الثاني: قول الصوفية في الشفاعة.

المبحث الثالث: أدلتهم.

تمهيد

إذا بحثنا عن المصدر الأساسي الذي ترجع إليه الصوفية فإن صاحب (الكشف عن حقيقة التصوف) يسعفنا بالإجابة التالية فيقول:

"لإبليس شركان:

الشرك الأول: هو الجنس ولواحقه، يمنع به ابن آدم ـ ابتداء ـ من الدخول في الإسلام، والإسلام هو الدين الذي جاءت به جميع الرسل.

الشرك الثاني: هو الإشراق الصوفي، ينصبه إبليس لابن آدم الذي سار في طريق الإسلام، ولم ينغمس في غواية الجنس، فيغريه ويقنعه إن أوهام الإشراق هي الخلد وملك لا يبلى، أو هي المعرفة أو الغوثية أو الحلول أو الاتحاد أو الوحدة، حسب استعداده الثقافي والنفسي.

إن دراسة لأي وثنية من الوثنيات ترينا الدور الرئيس الذي يلعبه الإشراق في عقائدها وطقوسها، وكلما تطورت الوثنية، كلما زاد دور الرياضة والمجاهدة وصار أكثر بروزاً ولا يكون الكاهن كاهناً إلا إذا وصل إلى الجذبة، وأشرق عليه سناها الخداع، وأكرر القول إن دراسة كافية لوثنيات التاريخ تؤكد هذه الظاهرة، مما يجعلنا مطمئنين إلى القول بأن الصوفية وجدت منذ أن نزل إبليس إلى الأرض أو بعد ذلك بقليل.

وهذا يعني أن الصوفية لو لم تنحدر إلى المسلمين من الأمم السابقة

لأوجدها فيهم إبليس باستدراج العباد السذج ذوي القلوب الطيبة إلى الجذبة، والواقع هو أن الصوفية انحدرت إلى المسلمين من الأمم السابقة فعندما جاء الإسلام، كانت منتشرة في كل البلاد التي دخلها، بل في كل العالم وكانت تقوم على أساس الرياضة حتى الجذبة، وما فيها من رؤى ومكاشفات وكانت منتشرة في النصرانية التي كانت موجودة على مصر والعراق وجزء من فارس واليمن وكذلك اليهودية، وكان الشيخ فيها يطلق عليه باللغة العربية اسم (الكاهن والعارف والعراف) أو ما يرادفها في اللغات الأخرى.

ولما جاء الإسلام، اختبأت وراء الأسوار حتى قدر لكهانها أن يجدوا صيغة ملائمة استطاعوا أن يظهروا بها أمام الناس ويدعوهم إليها.

وقد عرف هذه الحقيقة بعض علمائهم القدامى (إن لم يكن أكثرهم).

فهذا شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي(١) يقول:

"...وأما أنوار السلوك في هذه الأزمنة القريبة، فخميرة الفيثاغوريين وقعت إلى أخي أخميم (أي ذو النون المصري) ومنه نزلت إلى سيار تستر وشيعته... وإما خميرة الخسروانيين في السلوك فهي نازلة إلى سيار بسطام

---

(١) يحيى بن حبش بن أميرك أبو الفتوح شهاب الدين السهروردي، فيلسوف نسب إلى انحلال العقيدة صاحب حكمة الإشراق، أفتى العلماء بإباحة دمه، يقول ابن خلكان عنه: "كان علمه أكثر من عقله"، أما تاريخ مولده ووفاته (٥٤٩-٥٨٧هـ) (١١٥٤-١١٩١م). انظر: الأعلام (٩/ ١٦٩)، وطبقات الأولياء لابن الملقن ص(٢٦٢)، تحقيق نور الدين شريبة، دار المعرفة.

(أبي يزيد)، ومن بعده إلى فتى بيضاء (الحلاج)، ومن بعدهم إلى سيار آمل وخراقان أبي الحسن الخراقاني"[1]، ونسي السهروردي كهان الحجاز ونجد! وله الحق، فقد كان أكثرهم أدعياء مقلدين، كما يظهر من قراءة أخبارهم، كما نسي اليهود، لأنهم كانوا يعملون بصمت وتكتم.

ولعل من المفيد إيراد فقرة للسهروردي نفسه وردت قبل كلامه هذا مباشرة فقد روى أنه رأى أستاذه أرسطو في المنام فسأله عن رأيه عن أقطاب التصوف الذين يستشهد بهم وبآرائهم كل من كتب في التصوف أو تكلم فيه، من قبل أبي يزيد البسطامي وسهل التستري وذي النون المصري والحسين بن منصور الحلاج فقال فيهم: أولئك هم الفلاسفة الحكماء حقاً، ما وقفوا عند العلم الرسمي، بل جاوزوا إلى العلم الشهودي، وما اشتغلوا بعلائق الهيولى، فلهم الزلفى وحسن مآب، أما إذا أردنا تحديد العصر الذي ظهرت فيه كلمة صوفي فإننا نجد اختلافا بين الكتاب في هذا الموضوع فمنهم من يقول ظهر في الجاهلية قبل الإسلام، ثم تجدد ظهوره في عصر الإسلام؟ ومنهم من يقول أن هذا الاسم لم يظهر إلا في عهد الإسلام؟

---

(١) ولاية الله والطريق إليها دراسة وتحقيق، قطر الولي على حديث الولي للإمام الشوكاني بقلم إبراهيم إبراهيم هلال ص(١٧١)، دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني.
ولمزيد من المعرفة عن أصل النصوص انظر: العقيدة والشريعةلجولد تسيهر ص(١٦٢)، نقله للعربية محمد يوسف موسى، علي حسن عبد القادر، عبد العزيز عبد الحق، ط.الثانية، دار الكتب الحديثة.

الفريق الأول:

إن الفريق الأول وعلى رأسهم أبو الفرج بن الجوزي[(١)] يؤيد الرواية القائلة بأن رجلا في الجاهلية كان يدعى (الغوث بن مر) نذرت أمه حيث لم يكن قد عاش لها ولد أن تعلق برأسه صوفة أو تجعله ربيط الكعبة. ففعلت فقيل له صوفة وولده من بعده، وفي رواية أخرى إن أم هذا الرجل كانت لا تلد الذكور، فقالت: "لله علي إن ولدت غلاما لأعيدنه للبيت". فلما ولدته ربطته عند البيت فأصابه الحر فمرت عليه وقد سقط واسترخى، فقالت: "ما صار ابن إلا صوفة"، فسمي صوفة[(٢)].

ويرى الإمام ابن الجوزي أن في هاتين الروايتين دليلاً كافياً على أن أصل مولد الكلمة كان قبل الإسلام عند عرب الجاهلية. وإن من تعلق بالزهد من المسلمين فيما بعد وانقطع للعبادة فقد انتسب إلى صوفة هذا.

وهذا الفريق يمكن مناقشة قولهم من عدة وجوه:

الوجه الأول:

إن هذه القبيلة من العرب غير مشهورة ولا معروفة عند أكثر النساك كما قرر ذلك الإمام ابن تيمية[(٣)].

---

(١) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي التميمي علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف، مولده ووفاته كانت (٥٠٨-٥٩٧هـ) (١١١٤-١٢٠٢م)، من مؤلفاته: صيد الخاطر، وتلبيس إبليس. انظر: الأعلام (٤/ ٩٠).

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص(٢٣٢)، مطبعة المدني.

(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٦).

بل إن غالب من تكلم باسم التصوف لا يرضى أن يكون مضافاً إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً.

الوجه الثاني:

إن كلا الروايتين: إنما تثبتان إن صحتا أن امرأة ما علقت في رقبة طفلها علامة وهي قطعة من الصوف، أو أن امرأة شبهت ابنها بالصوف لما رأته منهوك القوى كما هو حال الصوف، وأنه سمي لذلك (صوفة).

ولا دخل لهذا في ظهور فئة في الإسلام تسمى بالصوفية إذ لم تدل على وجود كلمة صوفية ولا كلمة صوفي بهذه الصيغة ولا بهذا المعنى قبل الإسلام.

وما أورده ابن الجوزي من أنهم كانوا يقولون لهذه القبيلة (صوفة) و(صوفان) وأنهم كانوا يقولون عند دفع الناس من منى أو من عرفات (أجز صوفة) أي يطلبون من أحد أفراد هذه القبيلة أن يجيزهم في الدفع من تلك الأماكن تقديراً لهم باعتبار أنهم من سدنة البيت"[(١)].

وهذا لا يبرر تحول الكلمة من (صوفة) أو (صوفان) إلى كلمة (صوفي) و(صوفية) ولا يدل على وجود هذه الكلمة بهذه الصيغة قبل الإسلام.

---

(١) تلبيس إبليس ص(١٨١).

الوجه الثالث:

لا يعقل أن يكون المسلمون قد استمدوا مبادئ تصوفهم من عرب الجاهلية الذين كانوا يتخبطون في ظلمات الجهل، ولا أن يكونوا قد اختاروا شعار الجاهلية أو أسماء الجاهلية وفضلوها على ما سماهم الله به من طيب الأسماء.

الفريق الثاني:

يقول: إن هذا الاسم حدث في عصر الإسلام ولكن أفراد هذا الفريق اختلفوا في فترة ظهوره في الإسلام على قولين:

القول الأول:

يزعم أصحاب القول الأول أن هذا الاسم وجد في القرن الأول من هجرة المصطفى ﷺ وعلى رأس هؤلاء أبو نصر السراج[(١)] صاحب كتاب (اللمع في التصوف) وقد حاول أن يستدل على ذلك بمشهدين أوردهما في كتابه المذكور.

المشهد الأول: "أن الحسن البصري رحمه الله رأى صوفياً في الطواف فعرض عليه شيئاً من المال فلم يأخذه"[(٢)]، وكان السراج يريد أن يقول إن ورود هذه الرواية عن الحسن البصري رحمه الله وهو من مواليد عام ٢٠هـ يدل

---

(١) هو عبد الله بن علي الطوسي، زاهد شيخ الصوفية، له كتاب اللمع في التصوف، توفي سنة ٣٧٨هـ. انظر: الأعلام (٤/ ١٠٤).

(٢) اللمع للسراج ص(٤٢).

على وجود التصوف في عهد مبكر في الإسلام.

ويرد علي هذه الرواية بأن الحسن البصري رحمه الله وإن كان قد ولد عام ٢٠هـ إلا أنه عاش حتى عام (١١٠)هـ أي إنه عاش عشرة أعوام في بداية القرن الثاني الهجري فيحتمل أنه رأى هذا الصوفي في آخر حياته أي في بداية القرن الثاني الهجري.

المشهد الثاني: "أن سفيان الثوري قال: لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء"[(١)].

ولم يبين الإمام أبو نصر السراج وجه الدلالة في هذه الرواية على أن التصوف وجد في عهد مبكر في الإسلام، بل هي دليل على خلاف مراده. فإن سفيان الثوري رحمه الله ولد سنة (٩٧)هـ وهذا يدل على أن التقاءه بأبي هاشم الصوفي لا يمكن أن يكون في القرن الأول إطلاقاً علماً بأن أبا هاشم الصوفي توفي عام (١٥٠)هـ فلابد أن لقاءهما كان في أثناء المائة الثانية للهجرة إن صحت الرواية بذلك.

القول الثاني:

قالوا بأن اسم التصوف ظهر في عصر الإسلام، وخلاصته أن هذا الاسم ظهر في بداية القرن الثاني الهجري وقد ذكر هذا الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وكثير من العلماء.

---

(١) اللمع للسراج ص(٤٢).

قال الشيخ ابن تيمية: "في أثناء المائة الثانية صاروا يعبرون عن ذلك ـ أي عن الزهد ـ بلفظ (الصوفي) لأن لبس الصوف كثر في الزهد"[(١)].

ولقد عبر كتاب التراجم الصوفية عن تبنيهم لهذا الرأي تعبيراً عملياً فقد اعتبروا الطبقة الأولى من طبقات الصوفية هي طبقة الفضيل بن عياض ـ وذي النون المصري ـ وإبراهيم بن أدهم ـ وشفيق البلخي، ونحو هؤلاء ممن كانت وفاتهم في أثناء القرن الثاني وما بعده[(٢)].

هذا عن العصر الذي ظهر فيه التصوف أما عن أول متصوف في الأمة الإسلامية فإن الإمام الشافعي ﷺ عندما دخل مصر قال: "تركنا بغداد وقد أحدث الزنادقة فيها شيئاً يسمونه السماع" والزنادقة الذين عناهم الشافعي هنا هم المتصوفة والسماع:

هو الغناء والمواجيد والمواويل التي ينشدونها، ومعلوم أن الشافعي دخل مصر سنة ١٩٩هـ وكلمة الشافعي توحي بأن قضية السماع هذه قضية جديدة ولكن يبدو أن أمر هؤلاء الزنادقة كان معلوماً قبل ذلك[(٣)].

فهذا يدل على أن هناك فرقة معلومة عند علماء الإسلام يسمونهم أحياناً بالزنادقة وأحياناً بالمتصوفة.

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٢٩).

(٢) انظر: طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي، دار الكتاب العربي بالقاهرة ص(٦٦)، وطبقات الأولياء لابن الملقن سراج الدين أبي حفص، دار التأليف ص(٦، ١٢-١٣).

(٣) تلبيس إبليس ص(٣٧٠).

أما الإمام أحمد فقد أثر عنه كلاماً كثيراً في ذم التصوف كقوله لرجل جاء يستغيثه في كلام الحارث المحاسبي: قال أحمد بن حنبل: "لا أرى لك أن تجالسهم"، ويبدو أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قال هذا الكلام في مطلع القرن الثالث، ولكن هذا القرن ما كاد يكتمل حتى ظهر التصوف على حقيقته وانتشر في الأمة انتشاراً ذريعاً، واستطاع المتصوفة أن يظهروا ما كانوا يخفونه سابقاً، والمطلع على الحركة الصوفية من أول نشأتها إلى حين ظهورها العلني على ذلك النحو يجد أن أساطين الفكر الصوفي جميعهم في القرنين الثالث والرابع الهجريين كانوا من الفرس، ولم يكن فيهم عربي قط، أي أن التصوف بلغ غايته من حيث العقيدة والتشريع في نهاية القرن الثالث حيث استطاع الحسين بن منصور الحلاج أن يظهر معتقده على الملأ ولذلك أفتى علماء عصره بفكره وقتله فقتل سنة ٣٠٩هـ وبالرغم من ذلك فإن الصوفية ظلت تواصل انتشارها في أرض فارس على الخصوص ثم في العراق، وساعد على انتشارها في فارس أن أقام رجل يسمى أبو سعيد الميهني نظاماً خاصاً للخانات الذي أصبح فيما بعد مركزاً للصوفية وقلده في ذلك عامة رجال التصوف، ومن هنا نشأت في منتصف القرن الرابع الهجري بدايات الطرق الصوفية التي سرعان ما انتشرت في العراق ومصر والمغرب.

وفي القرن السادس ظهرت مجموعة من رجال التصوف كل منهم يزعم أنه من نسل الرسول ﷺ، حيث استطاع كل منهم أن يقيم له طريقة صوفية خاصة وأتباعاً مخصوصين، فظهر الرفاعي في العراق، والبدوي في

مصر، وتتابع ظهور الطرق الصوفية التي تفرعت من هذه الطرق[(١)].

إلا أن أصول التصوف خمسة:

١ - تقوى الله في السر والعلن.

٢ - اتباع السنة في الأقوال والأفعال.

٣ - الإعراض عن الخلق، ويتحقق بالصبر والتوكل لأن الله يحب المتوكلين وهو حسبهم وكافيهم.

٤ - الرضى بما قسم الله.

٥ - الرجوع إلى الله في السراء والضراء[(٢)].

---

(١) دراسات في الصوفية نشأتها وتطورها ص(٩٦)، والصوفية عقيدة وأهداف لليلى بنت عبد الله ص(١٣)، ط.الأولى ١٤١٠هـ دار الوطن للنشر، وموقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية لأحمد بن محمد بناني ص(٨١)، ط.الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٢) انظر: عوارف المعارف (١/ ٢٠١)، تحقيق عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، مطبعة السعادة.

المبحث الأول: التعريف بهم.

المطلب الأول: أصل التسمية.

لقد رد الباحثون القدماء والمحدثون كلمة (التصوف) و(الصوفية) إلى أصول مختلفة من أبرزها:

أولاً: الصُّفَة.

يرى البعض أن التصوف أو الصوفية يرجع إلى الصُّفة وهي: الموضع الذي بني لإيواء جماعة من المسلمين بالمسجد النبوي الشريف، الذين هاجروا من مكة المكرمة تاركين أحوالهم وأهليهم، أو هم من الفقراء الذين لا يجدون ما يسدون به حاجتهم(١).

وهذه النسبة ذكرها الكتاب قديماً وحديثاً، فقد ذكرها شيخ الإسلام في الفتاوى فقال: "الحمد لله: أما لفظ (الصوفية): فإنه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك"، ثم قال: "وتنازعوا في المعنى الذي أضيف إليه (الصوفي) فإنه من أسماء النسب: كالقرشي، والمدني، وأمثال ذلك.

فقيل: إنه نسب إلى (أهل الصفة) وهو غلط، لأنه لو كان كذلك لقيل: صُفي"(٢).

---

(١) الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ص(١٨٠)، ط.الأولى ١٤٠٦هـ دار القلم-بيروت.

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٥) وما بعدها.

أما السهروردي(١) في (عوارف المعارف) فيقول:

"قيل سموا صوفية نسبة إلى الصفة التي كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله ﷺ"، ثم مضى مقرراً الشبه بين الفريقين فيقول: "لأن الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك لكونهم متآلفين متحابين لله وفي الله كأصحاب الصفة"(٢).

وقال الهجوري(٣) في معرض حديثه عن أصل التسمية عندما استعرض بعض الأقوال التي قيلت في ذلك: "قالت طائفة إنهم سموا كذلك لأنهم يقولون أهل الصفة"(٤).

وهناك سبب آخر ذكره البعض "أنهم سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ"(٥).

---

(١) هو شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله التميمي، من شيوخ الصوفية وفقهاء الشافعية، ولد سنة ٥٣٩هـ بسهرورد، توفي سنة ٦٣٢هـ، من أشهر تصانيفه: عوارف المعارف. انظر: الأعلام (٥/ ٦٢).

(٢) عوارف المعارف للسهروردي ص(٦٢) ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م، مكتبة القاهرة.

(٣) هو علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي الهجوري الغزنوي، وكنيته أبو الحسن، ولد فيما بين العقد التاسع والعاشر من القرن الرابع الهجري، من أشهر مؤلفاته: كشف المحجوب. توفي بلاهور باكستان سنة ٤٥٦هـ تقريباً. انظر: مقدمة كشف المحجوب ص(٤٥-٩٨).

(٤) كشف المحجوب للهجوري ص(٢٢٧)، دراسة وتعليق إسعاد قنديل، راجع الترجمة أمين بدوي ١٩٨٠م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر-بيروت.

(٥) التعريف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر محمد الكلاباذي ص(١٠)، ط.الأولى ١٤١٣هـ، طار الكتب العلمية.

أما المحدثون: فيقول صاحب (الكشف عن حقيقة الصوفية): "إن أصل التصوف الصفة"[١]، ويقول صاحب (المصادر العامة للتلقي عند الصوفية): "سموا بذلك لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة"[٢].

لكن هذه التسبة لا تستقيم من حيث اللغة كما ذكر ذلك شيخ الإسلام[٣] لأنه لو كان كذلك لصح أن يقال صُفي.

كما ذكر ذلك كل من القشيري[٤][٥] وابن الجوزي في (تلبيس إبليس)[٦].

والواضح أن هذه النسبة ليس لها دليل تستند عليه فهي إذن مردودة.

ثانياً: النسبة إلى الصفاء.

قبل الشروع في الأقوال المتعلقة بهذا الرأي لابد من إيضاح معنى

---

(١) الكشف عن حقيقة الصوفية لمحمود عبد الرؤوف القاسم ص(٧٣٧)، المكتبة الإسلامية، انظر أيضاً: الصوفية عقيدة وأهداف لليلى بنت عبد الله ص(١٠)، ط.الأولى ١٤١٠هـ، دار الوطن، والصوفية في نظر الإسلام لسميح عاطف الزين ص(١٤)، دار الكتاب اللبناني.

(٢) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية لصادق سليم ص(٢٧)، ط.الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، مكتبة الرشد.

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٦٨)، (١١/ ٦).

(٤) عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري، ولد سنة ٣٧٦هـ توفي سنة ٤٦٥هـ وهو صاحب الرسالة الذي يعتبر من أهم متون التصوف، له التفسير المسمى (لطائف الإشارات) مطبوع. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٢٠٥).

(٥) الرسالة القشيرية ص(١٢٦)، تحقيق معروف رزين وعلي بلطه جي، ط.الثانية ١٤١٠هـ، دار الجيل.

(٦) تلبيس إبليس ص(٢٣٣)، مطبعة المدني.

الصفاء عند المعاجم الصوفية:

الصفاء هو: "ما خلص من ممازجة الطبع... ومزايلة المذمومات"(١).

والصفاء: "نقيض الكدر"(٢).

وقد تعلق الصوفية بهذه النسبة لما فيها من المدح لهم وإضفاء المزايا الحسنة والمعاني السامية إليهم.

وقد ذهب غير واحد من الصوفية إلى القول بأن الصوفية سموا بذلك لنقاء سرائرهم ومال إليه أبو نعيم الأصبهاني(٣) ونص عبارته:

"اشتقاقه عند أهل الإشارات، والمتنبئين عنه بالعبارات: من الصفاء، والوفاء"(٤).

وبذلك قال أبو الفتح البستي(٥) وقد أنشد:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا وظنه البعض مشتقاً من الصوف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى صافي، فصوفي حتى سمي الصوفي(٦)

---

(١) معجم المصطلحات الصوفية أنور فؤاد ـ باب الصاد ـ ط.الأولى ١٩٩٣م، مكتبة لبنان.

(٢) المعجم الصافي في اللغة العربية لصالح العلي، أمينة الأحمد، ـ باب الصاد ـ ط.الأولى ١٤٠٩هـ مكتبة الناصر.

(٣) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني الإمام الحافظ، سمع من جماعة من كبار الشيوخ في عصره كأبي القاسم الطبراني وأبي أحمد الحاكم وخلق، مات سنة ٤٣٠هـ من مؤلفاته: المستخرج على الصحيحين، دلائل النبوة. انظر: وفيات الأعيان (١/ ٩١)، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٥٣).

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصفهاني (١/ ١٧)، ط.الثالثة، دار الكتاب العربي–بيروت.

(٥) هو علي بن محمد البستي الكاتب العلامة شاعر زمانه مات سنة ٤٠١هـ، له نظم غاية الجودة. انظر: الأعلام (٤/ ٣٢٦).

(٦) قواعد التصوف لأحمد بن أحمد بن زروق ص(٧) صححه محمد زهري النجار ١٣٨٨هـ =

وقيل: "إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها، ونقاء آثارها"[(١)].

وينحو الهجوري نفس المنحى في نسبة الصوفية إلى الصفاء ويذكر العلة في ذلك فيقول: "والصفاء في الجملة محمود وضده الكدر... واسم لطائف الأشياء صفوها، واسم أوضارها كدرها، فلما ذهب أهل هذا الأمر أخلاقهم ومعاملتهم، وتبرأوا من آفات الطبيعة، فإنهم سموا صوفية وهو اسم لهذه الطائفة من أسماء الأعلام"[(٢)].

ولكن هذه النسبة كما يقول القشيري: "ومن قال: إنه من الصفاء، فاشتقاق الصوفي من الصفاء، بعيد في مقتضى اللغة"[(٣)].

يقول الهجوري مبيناً أن هذه النسبة بعيدة من اشتقاق اللغة وأنها بسبب تصفية الأخلاق وتهذيبها ضارباً بالاشتقاق اللغوي عرض الحائط، مبيناً أنه عاجز قاصر عن اشتقاق مثل هذا المعنى العظيم فيقول: "فإنهم سموا صوفية وهو اسم لهذه الطائفة من أسماء الأعلام لأن خطر أهله أجل من أن يمكن إخفاء معاملتهم حتى يلزم لاسمهم الاشتقاق... واشتقاق هذا الاسم لا يصح على مقتضى اللغة من أي معنى، لأن هذا الاسم أعظم من أن يكون له جنس ليشتق منه"[(٤)].

=

١٩٦٨م، مكتبة الكليات الأزهرية.

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص(٩).

(٢) كشف المحجوب ص(٢٢٧).

(٣) الرسالة القشيرية ص(١٢٦).

(٤) انظر: كشف المحجوب من(٢٢٧-٢٣٠).

وبهذا نعلم أن القول بعجز اللغة العربية التي حوت كلام الله لفظاً وأحكاماً واتسعت لأسماء الله الحسنى وصفاته العلى قول باطل والنسبة إلى الصفاء مردودة أيضاً ويؤيده قول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "من قال إن التصوف نسبة إلى الصفاء قيل له: كان حقه أن يقال صفائية، ولو كان مقصوراً لقيل صوفية"[(١)].

وبهذا يسقط هذا القول.

ثالثاً: النسبة إلى الصف.

يقال إنهم منسوبون إلى الصف الأول: فهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم إليه وإقبالهم عليه، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه.

يقول القشيري معلقاً على قول من يقول: (إن التصوف مشتق من الصف) "فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة مع الله"، ثم بين صحة هذا القول[(٢)].

وممن أيد هذا القول أيضاً الكلاباذي فيقول: "إنما سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم إليه، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه... ومن نسبهم إلى الصفة والصف الأول فإنه عبر عن

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٦٨-٣٦٩).

(٢) انظر: الرسالة القشيرية ص(٢٧٩).

أسرارهم وبواطنهم، وذلك أن من ترك الدنيا وزهد فيها وأعرض عنها، صفى الله سره ونور قلبه"[١].

إلا أن هذه النسبة باطلة من وجهين:

١- أن هذا الأمر غيبي ولا مطلع على الغيب إلا الله، قال تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾[مريم:٧٨].

فكيف لهم بهذه الشهادة التي عجز أن ينالها سيد البشر فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: [**قاربوا وسددوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله**] قالوا: يا رسول الله ولا أنت؟ قال: [**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**][٢].

٢- إن اللغة تناقض هذه النسبة كما ذكر ذلك القشيري فيقول: "...ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف"[٣].

مع أنه يؤيدها من جهة المعنى.

أما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيقول: "ومن قال نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله قيل له: كان حقه أن يقال: صفية"[٤].

---

(١) التعريف لمذهب أهل التصوف ص(١٠).

(٢) رواه مسلم (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم) ح رقم٧٦.

(٣) الرسالة القشيرية ص(٢٧٩).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٦٩).

رابعاً: النسبة إلى الصوف.

"الصوف للغنم كالشعر للمعز، والوبل للإبل والجمع أصواف"[(١)].

ويقال: "كبش أصواف وصوف وصائف كل هذا أن يكون كثيرِ الصوف"[(٢)]، وفي كتاب (اللمع) فصلاً بعنوان: (باب الكشف عن اسم الصوفية).

وفي معرض الحديث عن أسماء الصوفية يقول: "لأن الصوفية لم ينفردوا بنوع من العلم دون نوع، ولم يترسموا برسم من الأحوال والمقامات دون رسم، وذلك لأنه معدن جميع العلوم ومحل جميع الأحوال المحمودة، والأخلاق الشريفة سالفاً ومستأنفاً، وهم مع الله تعالى في الانتقال من حال إلى حال، مستجلبين للزيادة، فلما كانوا في الحقيقة كذلك لم يكونوا مستحقين اسماً دون اسم، فلأجل ذلك ما أضفت إليهم حالاً دون حال ولا أضفت لهم علم دون علم..." ثم ينتهي إلى تسميتهم بهذا الاسم نسبة إلى ظاهر اللبسة، "لأن لبسة الصوف دأب الأنبياء عليهم السلام وشعار الأولياء والأصفياء"، ثم يقول مستدلاً على كلامه هذا من آيات الكتاب "ألا ترى أن الله تعالى ذكر طائفة من خواص أصحاب عيسى عليه السلام فنسبهم إلى ظاهر اللبسة فقال عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾[المائدة:١١٢] وكانوا قوماً يلبسون البياض فنسبهم الله تعالى إلى ذلك فكذلك الصوفية

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي مادة: صوف.

(٢) معجم مقاييس اللغة ـ باب الصاد.

عندي والله أعلم نسبوا إلى ظاهر اللباس"[١].

ومثله جاء في (عوارف المعارف) فإن السهروردي أكد صحة هذه النسبة حتى من الناحية اللغوية فيقول: "كان اختيارهم للبس الصوف لتركهم زينة الدنيا وراحتها، لشدة شغلهم بخدمة مولاهم وانصراف هممهم إلى أمر الآخرة" ثم يقول: "إن هذا يناسب حيث الاشتقاق لأنه يقال: (تصوف) لمن لبس الصوف كما يقال تقمص لمن لبس القميص"[٢].

أما الهجويري فقد ذكر هذه النسبة ولم يعقب بالنفي ولا الإثبات[٣].

ومثله القشيري حيث قال بعد هذا القول: "ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف"[٤].

وقد صحح شيخ الإسلام رحمه الله هذه النسبة وبين أنها غالب لباس الزهاد، حيث يقول: "والنسبة في الصوفية إلى الصوف، لأنه غالب لباس الزهاد"[٥].

وقد نصر هذا القول ابن خلدون[٦] في مقدمته[٧].

---

(١) اللمع في التصوف لأبي نصر عبد الله السراج الطوسي ص(٤٠-٤١)، عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، ١٣٨٠هـ، دار الكتب الحديثة بمصر.

(٢) عوارف المعارف ص(٦٠).

(٣) كشف المحجوب للهجويري ص(٢٢٧).

(٤) الرسالة القشيرية ص(٢٧٩).

(٥) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٦٨).

(٦) هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولي الدين التونسي الحضرمي عالم أديب مؤرخ اجتماعي حكيم، ولد سنة ٧٣٢هـ. انظر: الأعلام (٣/ ٣٣٠).

(٧) انظر: مقدمة ابن خلدون للعلامة عبد الرحمن بن خلدون ص(٣٨١)، ١٤١٣هـ.

ولكن نقول: إن صحت هذه النسبة فإن الصوفية لم ينالوا بهذه النسبة شرفاً ولا سنة، فليس في لبس الصوف سنة عن المصطفى ﷺ للأسباب التالية:

١- عدم التأسي بالرسول ﷺ.

٢- التشبه بغير المسلمين لأنها كانت سمة من يتنسك من النصارى.

٣- الرياء لما فيه من إشعار الناس بزهدهم.

خلاصة القول:

إذا كان التصوف مشتقاً من الصوف، لأنهم كانوا يلتزمون بلبسه، فعملهم باطل لأنه مبني على باطل، وهو من الكبائر، وعلى كل حال فالصوفية لها جذور هي أصل تسميتها:

١- كلمة (صوفيا) اليونانية بمعنى (الحكمة) ومنها (حكمة الإشراق).

٢- كلمة (صوفي) اليهودية التي كانت تطلق على شيخ المسلك (المرشد) في حلقات المعارف السرية التي كان يتخرج فيها الأنبياء (على حق قولهم) ويتأكد المصدر الأول بالمعطيات التالية:

١- كون الفرضيات الأخرى مردودة لغوياً، ولا تتفق مع قواعد اللغة في الاشتقاق.

٢- كون كل فرضية فيها مرفوضة من أكثرهم، ويدل على هذا كثيرة التعاريف التي وضعوها ـ كما سنبين لاحقاً ـ.

٣- وجود من رفضها كلها من علمائهم ـ أمثال القشيري كما مر ـ.

٤- الناحية اللفظية:

إذ أن النسبة إلى (سوفيا) المعرفة هي (سوفي) للشخص و(سوفية) للفكرة، لكن عندما انتشرت هذه الكلمة، سرعان ما خضعت للذوق العربي في اللفظ فأصبحت (صوفي) و(صوفية) ثم قيل (تصوف) و(متصوف).

٥- أنه قال بهذا الاشتقاق أبو الريحان البيروني المتوفى سنة ٤٤٠هـ أي إنه كان قريباً بعض الشيء من زمن ذيوع الكلمة، وكان أيضاً يتقن أكثر من لغة أجنبية، يقول: "منهم أي من (قدماء اليونان) من كان يرى الوجود الحقيقي للعلة الأولى فقط... والحق هو الواحد الأول فقط، وهذا رأي السوفية، وهم الحكماء فإن (سوف) باليونانية الحكمة وبها سمي الفيلسوف (فيلاسوفيا) أي محب الحكمة ولما ذهب في الإسلام قوم إلى قريب رأيهم سموا باسمهم"(١).

أما بالنسبة للنسبة إلى الأصل الهندي فإنه يتأكد بمثل المعطيات الأربعة الأولى"(٢).

"وقد أكد النسبة إلى الأصلين السابقين المستشرقين فيقول:

صاحب كتاب (تاريخ البلاغة عند الفرس) إن الصوفية ينسبون إلى الهنود القدماء المعروفين باسم (الحكماء العراة).

وإن الكلمتين العربيتين: صوفي وصافي مشتقتان من نفس الأصل

(١) الفلسفة الهندية ص(٣٢) نقلا عن الكشف عن حقيقة التصوف ص(٧٤٠).

(٢) انظر: الكشف عن حقيقة التصوف ص(٧٣٧-٧٤٦).

الذي اشتقت منه الكلمتان اليونانيتان"[١].

وأخيراً فإن هناك نسبة أخيرة ذكرها أحد الباحثين وهو أن التصوف يرد إلى أصل شيعي وإلى علي بن أبي طالب بالذات ويذكر أن ابن خلدون قال: "إن الصوفية قد تأثروا بالشيعة وتوغلوا في الديانة بمذهبهم حتى جعلوا مستند طريقتهم في لبس الخرقة: أن عليا ألبسها الحسن البصري وأخذ عليه العهد بالتزام الطريقة".

ولكن هذا الرأي نجد أن فيه مغالطات كثيرة من أهمها:

أولاً: إن الحسن البصري عاش حوالي ثمانين سنة وتوفي سنة ١١٠هـ بينما وفاة علي بن أبي طالب سنة ٤٠هـ بمعنى أن الحسن كان عمره حوالي عشر سنوات وهي سن مبكرة لا تسمح بتلقي الطريقة.

ثانيا: لماذا يختار علي ولداً من سائر الناس، فما كان أبناؤه وشيعته أولى بذلك.

ثالثاً: إن علياً انتقل من المدينة إلى الكوفة في السنة التي بويع فيها بالخلافة.

رابعاً: إن علياً كان من أشد الناس تعلقاً بالنبي ﷺ وأقربهم إليه، وأحفظهم لسيرته وهداه.

فالنسبة إذن بدعة ليس إلا"[٢].

---

(١) الصوفية في نظر الإسلام ص(٢٢).

(٢) انظر: التصوف في نظر الإسلام ص(١٩-٢٠)، وكذلك انظر التصوف طريقاً وتجربة ومذهبا لمحمد كمال إبراهيم ص(١-٤) ١٩٨٠م، دار المعرفة الجامعية.

وسواء كانت نسبة التصوف إلى الصف أم الصفا... أو إلى الكلمة اليونانية سوفيا... فإن هذا لا يغير من واقع القوم ولا من عقيدتهم. تعددت الأسباب والموت واحد ـ ولكن الذي أميل إليه أن لها أصل خارج على الإسلام لما تنبني عليه من عداء للإسلام يتمثل في محاولة إفساد عقائد المسلمين وشريعتهم بما يدخلونه من طقوس وعقائد باطلة والله أعلم بالصواب.

المطلب الثاني: تعريف التصوف.

تذكر دوائر المعارف الإسلامية والعربية معنى التصوف.

فيقولون: "التصوف هو مذهب الغرض منه تصفية القلب عن غير الله والصعود بالروح إلى عالم التقديس بإخلاص العبودية للخالق والتجرد عما سواه.

وعندهم أن هذا المذهب قديم كقدم النزعة التي أوجدته فإن الإنسان من ألوف من السنين أدرك أن خلف هذه الغلف الجسداني سراً مكنوناً لا يستثيره إلا إرهاق هذا البدن بالمجاهدات لإضعاف سطوته والحط من سلطانه فنشأ هذا المذهب في كل أمة راقية ولبس شكلاً مناسباً لعقولها وأفكارها"[(١)].

أما عن معنى التصوف من حيث ما يشتمل عليه في ضوء عقيدتهم فإن (التصوف كان في أول عهده يدور حول نقطتين: أولاهما أن العكوف على العبادة يولد في النفس (فوائد) هي الحقائق الروحية، وثانيتهما أن علم القلوب يفيض على النفس (معرفة) تنطوي على استعداد الإرادة لتلقي هذه الفوائد.

ويقول المتصوفة إن في علم القلوب قوة متحركة وهو يبين السفر إلى الله وما فيه من مقامات وأحوال عدتها اثنا عشر، كما يقولون إن بعض الفضائل يكتسب وبعض الفوائد يتلقى كما هو الحال عند القديس يوحنا

---

(١) دائرة المعارف القرن الرابع عشر-العشرين لمحمد فريد وجدي (٥/ ٥٨٥)، مادة: تصوف، ط.الثالثة ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين.

قليها قوس والمتصوفة أمثال السراج ـ القشيري ـ الغزالي يختلفون في ذكر المقامات والأحوال، ولكنهم مع ذلك يكادون يجمعون على استعمال اصطلاحات مشهورة بعينها مثل التوبة والصبر والتوكل والرضا"[١].

تعريف التصوف عند الصوفية:

إذا طالعنا كتب الصوفية نجد أن كل منهم يعرف التصوف بتعريف، يذكر إحسان إلهي ظهير اختلاف الصوفية في تعريف التصوف بقوله: "ولا يقل اختلاف الصوفية في اختلاف تعريف التصوف عن اختلافهم في أصله واشتقاقه، بل ازدادوا تعارضاً وتناقضاً فيه"[٢].

أما القشيري فقد عد في رسالته أكثر من خمسين تعريفاً عن الصوفية المتقدمين[٣]، وقد أوصلها السراج الطوسي إلى مائة تعريف[٤].

يقول السهروردي: "وأقوال المشايخ في ماهية التصوف، تزيد على ألف قول"[٥]، وإذا نظرنا إلى ما كتبه ابن عجيبة[٦] عن شيخه

(١) دائرة المعارف الإسلامية (٥/ ٢٦٩-٢٧٠)، انتشارات جهات.

(٢) التصوف المنشأ والمصادر لإحسان إلهي ص(٣٦)، ط.الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، الناشر إدارة ترجمان السنة.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية ص(٢١٧).

(٤) اللمع ص(٢٧).

(٥) عوارف المعارف (٥/ ٦٥).

(٦) ابن عجيبة: هو أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، من أهل فاس بالمغرب، ولد سنة ١١٦٠هـ، توفي سنة ١٢٢٤هـ، له مؤلفات منها: قواعد التشوق في حقائق التصوف). انظر: الأعلام (١/ ٢٤٥).

زروق[١] نجد أنه أوصلها إلى الألفي قول[٢].

وهذا التعدد في التعريف عندهم يبين أن تعريف التصوف بتعريف جامع مانع يكاد يكون عسير أو متعذر، يقول صاحب كتاب (تاريخ التصوف في الإسلام): "هذا وإن يكن تعريف التصوف غير ممكن فلا أقل من أن يكون تعريفه صعب عسير"[٣].

ويرد القشيري هذا الاضطراب والتعدد في تعريف التصوف حتى عن الشخص الواحد بأن كل واحد يتكلم بحكم الوقت والحال الذي هو فيه فإذا تغير الوقت والحال تكلم بحكم وقته وحاله الجديد"[٤].

وإليك الأمثلة على ذلك:

قول الجنيد[٥] وقد سئل عن التصوف فقال: "أن تكون مع الله بلا

---

(١) زروق هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي أبو العباس فقيه محدث صوفي من أهل فاس بالمغرب، ولد سنة ٨٤٦هـ توفي سنة ٨٩٩هـ من مؤلفاته: قواعد التصوف. انظر: الأعلام (١/ ٩١).

(٢) إيقاظ الهمم في شرح الحكم (١/ ٤-٥) وبهامشه الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية لابن عجيبة، دار المعرفة نقلا عن المصادر العامة للتلقي ص(٣٤).

(٣) تاريخ التصوف في الإسلام لقاسم غنى ص(٢٦٩) ١٩٧٠م، مطبعة مصر.

(٤) الرسالة القشيرية ص(٢١٧).

(٥) الجنيد: هو الجنيد بن محمد الخزاز، وكان أبوه يبيع الزجاج، فلذلك كان يقال له: القواريري، أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه بالعراق، توفي سنة ٢٩٧هـ. انظر: طبقات الصوفية للسلمي ص(١٥٥-١٥٦)، تحقيق نور الدين شريبة، ط.الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، دار الكتاب النفيس-مصر.

علاقة"[١].

وقال أيضاً: "هو أن يميتك الحق عنك أو يحييك به"[٢].

وقال أبو حمزة البغدادي[٣]: "علاقة الصوفي الصادق، أن يفتقر بعد الغنى، ويذل بعد العز ويخفى بعد الشهرة"[٤].

قال الشبلي[٥]: "التصوف هو العصمة عن رؤية الكون"[٦].

قال أبو محمد المرتعشي النيسابوري[٧] وقد سئل عن التصوف: "الإشكال، والتلبيس، والكتمان"[٨].

---

(١) عوارف المعارف (٥/ ٦٣) ملحق مع إحياء علوم الدين، دار القلم، الرسالة القشيرية ص(١٢٧).

(٢) عوارف المعارف (٥/ ٦٤)، والرسالة القشيرية ص(١٢٦).

(٣) أبو حمزة البغدادي، الصوفي البزاز اسمه: محمد بن إبراهيم، كان عالماً بالقراءات وبقراءة أبي عمرو خصوصاً، وهو من أقران الجنيد، قيل مات سنة ٢٨٩هـ.

(٤) الرسالة القشيرية ص(١٢٧).

(٥) الشبلي: هو أبو بكر الشبلي اسمه دلف، يقال: ابن جحدر ويقال ابن جعفر ويقال: اسمه جعفر ويقال: اسمه جعفر بن يونس وهو خراساني الأصل، بغدادي المنشأ والمولد، كان فقيها على مذهب الإمام مالك، عاش ٨٧سنة ومات سنة ٣٣٤هـ. انظر: طبقات الصوفية ص(٣٣٧).

(٦) الرسالة القشيرية ص(١٢٧).

(٧) هو عبد الله بن محمد من محلة الحيرة، صحب جماعة من الصوفية ولقي الجنيد وصحبه، أقام بالعراق حتى صار أحد مشايخ العراق وأئمتهم، مات ببغداد سنة ٣٢٨هـ. انظر: طبقات الصوفية ص(٣٤٩).

(٨) التعريف لمذهب أهل التصوف ص(١٢)، دار الكتب العلمية.

وسئل سهل بن عبد الله التستري[١]: من الصوفي؟ فقال: "من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر، وانقطع إلى الله من البشر، واستوى عنده الذهب والمدر"[٢].

ومما سبق يتضح لنا مدى التباين في هذه التعريفات للتصوف والصوفي إلا أن هذه التعريفات ترجع إلى مرتكزات ثلاثة نذكرها إتماماً للفائدة.

أ- ما يربط التصوف بالسلوك أو الأخلاق، وهو ما يصيب قدراً كبيراً من الحقيقة بالنسبة للأساس الصوفي في الإسلام.

ب- ما يربطه بالنسك وصور العبادة، وهو يعني العناية كلها بالجانب العملي المتمثل في الطقوس والشعائر الدينية مع تحقيق جوهرها الروحي الحيوي.

ج- ما يربطه بالمعرفة والمشاهدة وهو يولي عناية فائقة للجانب النفسي والعقلي في التصوف، وإن شئت فقل إنه ينصب غالباً على التجربة الصوفية في حد ذاتها.

وهنا أسوق أمثلة على كل نوع:

الاتجاه الأول: قولهم: التصوف: "هو الدخول في كل خلق سني

---

(١) سهل التستري هو سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى... التستري كنيته أبو محمد، أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الرياضيات وغيره، اختلف في وفاته والراجح أنها سنة ٢٧٣هـ. انظر: طبقات الصوفية ص(٢٠٦)، وطبقات الأولياء ص(٢٣٢)، تحقيق نور الدين شريبة، دار المعرفة.

(٢) التعريف لمذهب أهل التصوف ص(١٩).

والخروج من كل خلق دني"[١].

الاتجاه الثاني: إن المتصوف هو ذلك الإنسان المنصرف بفكره إلى قدس الجبروت مستديماً لشروق نور الحق في سره[٢].

الاتجاه الثالث: قولهم عن الصوفي: "من صفي ربه قلبه، فامتلأ قلبه نوراً، ومن دخل في عين اللذة بذكر الله"[٣].

وبعد ذلك العرض فإننا نذكر تعريف ابن خلدون للتصوف لعله يكون جامعا مانعا: يقول العلامة ابن خلدون:

"وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة، ومال وجاه والانفراد في الخلوة للعبادة"[٤].

ونجد أن تعريفه يكاد يكون شامل لأحوال وخطوات الصوفية مع وجود خلل بسيط في عدم تميز الزهاد عن الصوفية في هذا التعريف.

ويرجع الشيخ زروق الاختلاف في الحقيقة الواحدة وإن كثُر على بعد إدراك جملتها، ثم هو إن رجع لأصل واحد يتضمن جملة ما قيل فيها كانت

---

(١) الرسالة القشيرية ص(٢١٧).

(٢) الإشارة لابن سينا (٢/ ١٠١)، تحقيق سليمان دينا-القاهرة، دار المعارف.

(٣) انظر: التصوف طريقاً وتجربة ومذهبا لمحمد كمال إبراهيم جعفر ص(٤-٩) ١٩٨٠م، دار المعرفة، وكذلك انظر لنفس المؤلف: من قضايا الفكر الإسلامي ص(٤٦) وما بعدها ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، مكتبة دار العلوم.

(٤) مقدمة ابن خلدون ص(٣٣٣)، دار المصحف بالقاهرة.

العبارة عنه بحسب ما فهم منه، وجملة الأقوال واقعة على تفاصيله، واعتبار كل واحد على حسب مثاله علما وعملا وحالا وذوقا وغير ذلك، والاختلاف في التصوف من ذلك[١].

(١) إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ص(١٧)، تقديم محمد أحمد حسب الله، دار المعارف.

المبحث الثاني: قول الفلاسفة في الشفاعة.

قبل الخوض في أقوال الصوفية في الشفاعة لابد أن نميز بين أقسام الصوفية لنعرف مقولة كل قسم فقد قسمهم شيخ الإسلام ابن تيمية إلى ثلاث أقسام فقال:

١- "صوفية الحقائق: وهم قوم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم المقتصد الذي هو من أصحاب اليمين، وفي كل من الصنفين من يخطئ في اجتهاده ومنهم من يذنب ويتوب أو لا يتوب.

٢- صوفية الأرزاق: وهم الذين وقفت عليهم الوقوف فلا يشترط في هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق فإن هذا عزيز.

٣- صوفية الرسم: هم المقتصدون على النسبة فاهتمامهم منحصر في اللباس والآداب الوصفية".

ثم ذكر رحمه الله أن القسم الأول هم المقصودون بالصوفية والباقي مجرد أذناب لهم وأنهم ـ أي القسم الأول ـ ينقسمون إلى ثلاث أقسام:

أ- صنف لهم عبادة وزهد فيما هم فيه، وهم يحسبون أنهم على حق ويقرون ظاهرا وباطنا بأن محمدا ﷺ أفضل الخلق ولكنهم لا يفهمون حقيقة قول مشائخهم.

ب- صنف قد تكلموا في خصائص الإيمان والدين ويوجد فيما

يأثرونه عمن قبلهم وفيها يذكرونه معتقدين له شيء كبيرا وأمر عظيما من الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسول الله ﷺ، ويؤخذ عنهم من جنس الروايات الباطلة والضعيفة ومن جنس الآراء والأذواق الفاسدة والمحتملة شيء كثير.

ج- وصنف يقولون ما يقوله ابن عربي(١) ونحوه"(٢).

وخلاصة القول أنه يوجد في الصوفية طريقتان هما:

- طريقة الإشراق.
- طريقة البرهان أو التصوف السني.

طريقة الإشراق:

"هي الطريقة القديمة المستمرة، وجدت مع وجود الصوفية في أعماق التاريخ وهي الطريقة الوحيدة في الحقيقة لا طريقة غيرها.

فالصوفية جميعاً وفلاسفة الإشراق منذ فيثاغورس وأفلاطون بل أقدم منهما بكثير إلى يومنا هذا يعلنون منهجا محددا يقرونه جميعا ويثقون فيه ثقة تامة، ذلك هو المنهج القلبي ـ الروحي ـ أو منهج البصيرة.

---

(١) محمد بن علي بن محمد بن عربي أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بمحيي الدين بن عربي الملقب بالشيخ الأكبر فيلسوف من أئمة المتكلمين، مولده ووفاته (٦٥٠-٧٣٨هـ) (١١٦٥-١٢٤٠م)، له نحو أربعمائة كتاب ورسالة منها: الفتوحات المكية، ومفاتيح الغيب.

(٢) انظر: موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية لأحمد بن محمد بناني ص(٩٧-١٠١)، ط.الأولى ١٤٠٦هـ ـ١٩٨٦م.

وأسلوبها القديم الحديث هو أن يميت السالك إحساساته وأعصابه بإرهاقها إرهاقا شديدا جدا حتى يصل إلى ما يشبه العدم.

أما طريقة البرهان:

فهي طريقة الإشراق نفسها مزجوها بالإسلام، وفلسفها حجتهم الغزالي، فصار عالمهم يتعلم، إلى جانب الإشراق، العلوم الإسلامية وهم في علم التوحيد (علوم الذات والصفات)[١] ينقسمون ظاهرا إلى قسمين: أشعرية وماتريدية غالبا[٢]، أما باطنا فالتوحيد عندهم هو وحدة الوجود"[٣].

أما القسم الأول: فليس عندهم قول واضح في الشفاعة لأن المذهب قائم على قاعدة أساسية وهي أن الكون واحد:

العبد رب والرب عبد ليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فالرب عبد وإن قلت رب فأنى يكلف

وعليه فالشفاعة والمشفوع له والمشفوع إليه واحد فلا فائدة من الشفاعة، يقول محيي الدين ابن عربي في رسالة له:

"وهذا الفن من الكشف والعلم يجب ستره عن أكثر الخلق لما فيه من العلو فغوره بعيد والتلف فيه قريب فإن من لا معرفة له بالحقائق ولا

---

(١) انظر: الرسالة القشيرية ص(٤١-٤٩).

(٢) لأن منهم أبو عبد الله محمد الشيرازي كان سلفيا في هذا الجانب، انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٧١-٨٥)، وطبقات الأولياء ص(٢٩٠).

(٣) انظر: الكشف عن حقيقة التصوف ص(٣١١-٣١٥).

بامتلاء الرقائق ويقف على هذا المشهد من لسان صاحبه المتحقق به وهو لم يذقه ربما قال أنا من أهوى ومن أهوى أنا"[١].

ويوضح عقيدة ابن عربي في اليوم الآخر شيخ الإسلام في الصفدية فيقول:

"وأما الإيمان باليوم الآخر، فادعى ابن عربي أن أصحاب النار يتنعمون في النار، كما يتنعم أهل الجنة في الجنة، وأنه يسمى عذابا من عذوبة طعمه وأنشد في الفصوص[٢]:

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده وما لوجود الحق عين تعاين
فإذا دخلوا دار الشقاء فإنهم على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنان الخلد فالأمر واحد وبينهما عند التجلي تباين
يسمى عذابا من عذوبة طعمه وذاك له كالقشر والقشر صاين

"وإذا كانت الطاعة والمعصية ليس لها مدلول حقيقي، أو بالأحرى مدلول ديني ـ فأحرى بالثواب والعقاب ألا يكون لهما مدلول إيجابي في

---

(١) كتاب الفناء في المشاهدة لمحمد بن العربي ص(٣)، ط.الأولى، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية.

(٢) (١/ ٩٤) نقلاً عن الصفدية لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم (١/ ٢٤٥-٢٤٦)، مكتبة ابن تيمية.

ولرد عليهم انظر: ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره لمحمد حربي ص(١٩١)، عالم الكتب، والانحرافات العقدية والعلمية في القرنين ١٣-١٤هـ وآثارها في حياة الأمة لعلي بن بخيت الزهراني ص(٥٥١)، دار الرسالة.

مذهب كمذهب وحدة الوجود، وأقصى ما يستطيع ابن عربي أن يقوله هو أن الثواب اسم ناشىء عن الطاعة في نفس المطيع، وإن العقاب اسم للأثر الناشىء عن المعصية في نفس العاصي. ولكن تمشياً مع منطق مذهبه أميل إلى أن يعتبر العقاب والثواب ـ اللذة والألم ـ حالتين يشعر بهما الحق نفسه أي الحق المتعين في صورة العبد لا عذاب ولا ثواب إذن بالمعنى الديني في الدار الآخرة. بل مال الخلق جميعاً إلى النعيم المقيم"(١).

وبناء على ذلك فلا فائدة من الحديث عن الشفاعة عند هذه الطائفة من الصوفية

القسم الثاني:

الشفاعة عندهم هي مثل ما عند المسلمين ثابتة سواء أكان إثباتها على طريقة أهل السنة والجماعة أم كما صورها الغزالي على مذهب الأشاعرة.

يقول الغزالي في الإحياء:

"اعلم أنه إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والصديقين، بل شفاعة العلماء والصالحين، وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فإن له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعرفه، فكن حريصاً على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة، وذلك بأن لا تحقر أدمياً أصلا فإن الله تعالى خبأ ولايته في عباده فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله، ولا تستصغر معصية

---

(١) الصفدية الحاشية ص(٢٤٥-٢٤٦).

أصلا فإن الله تعالى خبأ غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه، ولا تستحقر أصلا طاعة فإن الله تعالى خبأ رضاه في طاعته فلعل رضاه فيه. ولو الكلمة طيبة أو النية الحسنة أو ما يجري مجراه"[(١)].

يقول الكلاباذي في التعرف موضحاً ما عليه الصوفية من اعتقاد في الشفاعة:

"أجمعوا على أن الإقرار بجملة ما ذكر الله تعالى في كتابه وجاءت به الروايات عن النبي ﷺ في الشفاعة واجب لقوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾[الضحى:٥]"[(٢)].

ومع هذا فإن معظم الصوفية يعتقدون أن طلبها منقصة عظيمة، وأنه لا يجوز للولي أن يسعى إليها ولا أن يطلبها ومن طلبها فهو ناقص وإنما الطلب عندهم في الفناء المزعوم في الله، والاطلاع على الغيب والصريف في الكون هذه جنة الصوفي المزعومة.

وأما النار فإن الصوفية يعتقدون أيضاً أن الفرار منها لا يليق بالصوفي الكامل لأن الخوف منها طبع العبيد وليس الأحرار، بل منهم من تبجح أنه

---

(١) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (٤/ ٤٨٠)، دار القلم.

وكذلك المرشد الأمين إلى موعظة المتقين ص(٢٩١)، ط.الثالثة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، وكذلك اتحاف السادة المتقين للزبيدي ص(٤٩٧)، ط.الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، دار الكتب العلمية.

(٢) التعرف ص(٥٩)، تعليق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ص(٦٩)، تعليق محمد النواوي، ط.الثالثة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، المكتبة الأزهرية.

لو بصق على النار لأطفأها، كما قال البسطامي.

وقد يظن الجاهل في عصرنا الحاضر أن هذه العقيدة في الجنة عقيدة سامية، وهي أن يعبد الإنسان الله، لا طمعا في الجنة ولا خوفا من النار، وهذا لا شك خلاف عقيدتنا الواردة في الكتاب والسنة، فقد وصف الله حال الأنبياء، في عبادتهم بأنهم كانوا ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[الأنبياء:٩٠] والرغب هو الطمع في جنة الله وفضله والرهب هو الخوف من عقابه، والأنبياء هم أكمل الناس عقيدة وإيماناً وحالاً[1] ومما يدل أيضاً على أن عقيدتهم في الشفاعة صحيحة قول الجيلاني[2] في الغنية، فصل: ونعتقد أن من أدخله الله النار بكبيرته مع الإيمان فإنه لا يخلد فيها بل يخرج منها لأن النار في حقه كالسجن في الدنيا يستوفى منه بقدر كبيرته وجريمته ثم يخرج برحمة الله تعالى ولا يخلد فيها ولا تلفح وجهه النار ولا تحرق أعضاء السجود منه لأن ذلك محرم على النار ولا ينقطع طمعه من الله عز وجل في كل حال ما دام في النار حتى يخرج منها فيدخل الجنة ويعطى

(١) الصوفية عقيدة وأهداف لليلى بنت عبد الله ص(٢٦) ط.الأولى ١٤١٠هـ رمضان، دار الوطن.

(٢) عبد القادر بن عبد الله أبي صالح ابن جنكس ينتهي نسبته إلى الحسن بن علي أبو محمد الجيلي صاحب المقامات والكرامات، ولد بجيلان سنة ٤٩١هـ وتوفي سنة ٥٦١هـ. من كتبه: الغنية لطالبي طريق الحق، طريق الحق، عقيدة الأكابر.

الوافي بالوفيات (١٩/ ٣٨)، الصفدي ١٤١٣هـ ١٩٩٧م، دار النشر نراتز شتايز، ومختصر طبقات الحنابلة ص(٤٠).

الدرجات على قدر طاعته التي كانت له في الدنيا خلاف ما قالته القدرية: إن الكبيرة تحبط الطاعات فلا يثاب عليها وكذلك قول الخوارج تبعاً لهم"[١]، فإذا كان أصل المسألة عندهم صحيح وهو عدم التخليد بالكبيرة، فإن قولهم بالشفاعة من لوازم هذا فضلاً عن أنهم قد صرحوا به في بعض كتبهم، وإن كان الصوفية لا يعتدون بالكلام ولا يعتمدون عليه في مناقشتهم بل قد ذم أحدهم الحارث المحاسبي[٢] بسبب تعلقه بالكلام، فقال: عليك بأدبه ودع عنك تشقيق الكلام"[٣] إلا أنهم في هذا المجال قد أثبتوا الشفاعة بناءً على عدم تخليد مرتكب الكبيرة.

---

(١) الغنية الطالبي، طريق الحق للجيلاني (١/ ٥٧)، مطبعة الميرية بمكة المكرمة، مكتبة سليمان الصنيع.

(٢) الحارث بن أسد المحاسبي أبو عبد الله، تصانيفه مدونة مسطورة، كان في علم الأصول راسخاً وللمخالفين قامعاً، من كبار الصوفية لا يعرف سنة ولادته، توفي سنة ٢٤٣هـ ٨٥٧م، من كتبه: شرح المعرفة، آداب النفوس. انظر: الأعلام (٢/ ١٥٣)، وانظر: حلية الأولياء للأصفهاني (١٠/ ٧٣)، دار الكتاب العربي، ط.الخامسة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

(٣) العقل، فهم القرآن للحارث المحاسبي ص(٣٤)، حققه حسين القوتلي، دار الكندي، دار الفكر.

المبحث الثالث: أدلتهم

في هذا المبحث نجد أن التصوف الإشراقي ليس له أدلة في الشفاعة لأنه لا يعترف بها.

أما القسم الثاني: وهو التصوف السني أو الغزالي كما يسميه البعض فنجد أن الغزالي في الأحياء[1] وشرحه للزبيدي[2] قد ساقا أدلة من الكتاب والسنة على إثبات الشفاعة لا تخرج كثيراً عما أثبتناه سابقا عند الأشاعرة والماتريدية بل غالبها أدلة استدل بها أهل السنة.

نذكر منها: قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[الإسراء:٧٩]، وقوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾[الشعراء:١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾[الضحى:٥]، وقوله: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾[الأنبياء:٢٨].

قوله ﷺ: **[أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجداً... وأعطيت الشفاعة]**[3].

وحديث: **[لكل نبي دعوة مستجابة فأريد أن اختبئ دعوتي شفاعة**

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٤٨١)، والتعرف لمذهب أهل التصوف ص(٥٩)، دار الكتب العلمية.

(٢) إتحاف السادة المتقين (١٤/ ٤٩٨).

(٣) البخاري، ك/ التيمم، ب/ التيمم رقم٣٣٥، ومسلم، ك/ المساجد في فاتحته ٥٢١.

لأمتي يوم القيامة](١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[إبراهيم:٣٦].

وقول عيسى عليه السلام: [﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ [المائدة:١١٨] **ثم رفع يديه وقال: أمتي، أمتي، ثم بكى فقال الله عز وجل: يا جبريل إذهب إلى محمد فسله ما يبكيك؟ فأتاه فسأله فأخبره والله أعلم به، فقال: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له سنرضيك في أمتك ولا نسوءك]**(٢).

---

(١) البخاري تعليقاً، ك/ الدعوات، ب/ لكل نبي دعوة، ومسلم، ك/ الإيمان، ب/ اختباء النبي ﷺ دعوة للشفاعة لأمته رقم ٢٠٠.

(٢) البخاري، ك/ التفسير، ب/ وكنت عليهم شهيداً ما دمتم فيهم... رقم٤٦٢٥.

الفصل السابع

الشفاعة عند أهل السنة والجماعة

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: أدلة ثبوت الشفاعة.

المبحث الثاني: أقسام الشفاعة.

المبحث الثالث: شروط الشفاعة.

المبحث الرابع: أنواع الشفاعة.

المبحث الخامس: أسباب الشفاعة.

التمهيد

أولاً: التعريف بأهل السنة والجماعة:

نشأ مصطلح أهل السنة والجماعة - لا سيما بعد ظهور البدع والفرق - استناداً إلى الأحاديث والآثار الداعية إلى الارتباط بالجماعة، والتمسك بالسنة، والمحذرة من الفرقة والاختلاف في الدين والابتداع فيه.

كقوله ﷺ: [...فإن من فارق الجماعة شبرا، فمات، إلا مات ميتة جاهلية][(1)]، وقوله ﷺ: [...وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة][(2)].

وقوله ﷺ: [تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما مسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه][(3)].

أ- معنى السنة في اللغة:

السنة في اللغة: الطريقة والسيرة، حسنة كانت أم سيئة[(4)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، ك/ الفتن، ب/ قول النبي ﷺ [سترون بعدي أموراً تنكرونها]) رقم ٧٠٥٤ (١٣/ ٥٥).

(٢) رواه أبو داود في سننه (٥/ ١٣) رقم٤٦٠٧.

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ (٢/ ٨٩٩) رقم٣، وصحيح الجامع الصغير (٣/ ١٩) رقم٢٩٣٤.

(٤) انظر: لسان العرب مادة: سنن ليوسف خياط (٢/ ٢٢٢)، دار لسان العرب، مكتبة الرشد.

ب- معنى السنة في الاصطلاح:

قد ذكر العلماء تعريفات للسنة، كل بحسب ما يشتغل به من العلم فالأصوليون لهم تعريف، والمحدثون لهم تعريف، وكذا الفقهاء... وهذه التعريفات تلتقي في أشياء، وتفترق في أشياء.

أما الذي يهمنا هنا في هذا المقام فهو معرفة معنى السنة عند المشتغلين بتقرير مذهب السلف في الاعتقاد:

فالسنة عندهم: هي ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه اعتقاداً وقولاً وعملاً.

ومصطلح أهل السنة له إطلاقان، عام وخاص.

أما الإطلاق العام: فالمراد به ما يكون في مقابل الشيعة، فتدخل جميع الفرق المنتسبة إلى الإسلام ـ عدا الشيعة ـ في مفهوم أهل السنة، وعليه يصح تقسيم المسلمين إلى سنة وشيعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فلفظ السنة يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة"(١).

وأما الإطلاق الخاص: فالمراد به ما يكون في مقابل أهل البدع والمقالات المحدثة، كالشيعة، والخوارج، والجهمية، والمعتزلة، والمرجئة، والأشاعرة، وغيرهم من أهل البدع، فهؤلاء لا يدخلون في مفهوم السنة

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٢١).

بالإطلاق الخاص.

قال ابن تيمية ـ تكملة لكلامه المتقدم ـ: "...وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من أثبت الصفات لله تعالى ويقول: إن القرآن غير مخلوق، وإن الله يرى في الآخرة ويثبت القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل السنة"(١).

ولهذا يقال في ترجمة الرجل: صاحب سنة، أو صاحب بدعة، يريدون به الإطلاق الخاص. وقال محمد بن سيرين(٢) رحمه الله: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم.

وقد ذكر شيخ الإسلام في الفتاوى التعريف بأهل السنة عند شرحه لحديث: [**يفترق أمتي ثلاثة وسبعين فرقة**] فقال: "أهل الحديث والسنة هم الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزا بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها وأتباعاً لها: تصديقا وعملا وحبا وموالاة لمن والاها ومعاداة لمن عاداها، الذين يردون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة، فلا ينصبون مقالة، ويجعلونها من أصول دينهم وجمل

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٢١).

(٢) محمد بن سيرين الإمام شيخ الإسلام أبو بكر الأنصاري الأنسي البصري، مولى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، ولد لسنتين بقين من خلافة عمر، وكان عالماً فقيهاً ورعاً أديباً كثير الحديث. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠٦).

كلامهم إن لم تكن فيما جاء به الرسول، بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه"[١].

ألقاب أهل السنة:

هناك ألقاب وأسماء لأهل السنة والجماعة يعرفون بها، منها:

١- أصحاب الحديث والأثر:

وذلك لاشتغالهم بحديث رسول الله ﷺ وآثار أصحابه رضي الله عنهم تمييزا وفهما، وعملاً، واحتجاجاً بها.

٢- السلف الصالح:

والمراد بهم: الصحابة رضي الله عنهم وتابعوهم وأتباعهم من أئمة الإسلام العدول، ممن اتفقت على إمامتهم في الدين وعظم شأنهم فيه، وتلقى المسلمون كلامهم ـ خلفا عن سلف ـ بالرضا والقبول، كالأئمة الأربعة وغيرهم دون من رضي ببدعة، أو اشتهر بلقب غير مرضي كالخوارج والشيعة وسائر الفرق الضالة.

والسلفية تطلق ويراد بها أحد معنيين:

الأول: حقبة تاريخية معينة تختص بأهل القرون الثلاثة المتقدمة كما في حديث [**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...**][٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٧)، جمع عبد الرحمن بن قاسم، دار إحياء الكتب العربية.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، ك/ الشهادات، ب/ لا يشهد على جور رقم ٢٦٥٢.

الثاني: الطريق التي كان عليها الصحابة والتابعون، ومن تبعهم بإحسان من التمسك بالكتاب والسنة، وتقديمهما على ما سواهما، والعمل بهما على مقتضى فهم الصحابة والسلف.

فالسلفية بالإطلاق الأول تكون مرحلة تاريخية، قد انتهت بموت رجالها وبالإطلاق الثاني تكون منهاجا باقيا إلى يوم القيامة، يصح الانتساب إليه متى التزمت شروطه وقواعده.

٣- الفرقة الناجية والمنصورة:

لحديث: [**...وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار، إلا ملة واحدة. قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي**][(١)]، وفي رواية: [**كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة**][(٢)].

معنى الجماعة الواردة في مصطلح (أهل السنة والجماعة):

أولاً: معنى الجماعة في اللغة.

من جمع، يقال: جمع المتفرق، والجماعة ضد الفرقة"[(٣)].

ثانياً: معناها في مصطلح علماء الشريعة:

ورد لفظ الجماعة في بعض الأحاديث كحديث: [**يد الله مع الجماعة**

---

(١) رواه الترمذي في سننه، ك/الإيمان، ب/ما جاء في افتراق هذه الأمة رقم٢٦٤٣ (٧/ ٢٩٧).

(٢) رواه الحاكم في مستدركه، ك/ العلم (١/ ١٢٨).

(٣) انظر: لسان العرب مادة: جمع.

ومن شذ شذ في النار][1].

وقد اختلف أهل العلم في المراد بالجماعة في هذه الأحاديث ونحوها على أقوال أهمها خمسة، أذكرها بإيجاز:

الأول: أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام، ويدخل فيهم أهل العلم، والاجتهاد، دخولاً أولياً.

الثاني: أنها جماعة المجتهدين، دون غيرهم من الناس، وهو اختيار البخاري والترمذي (رحمهما الله).

الثالث: أنها جماعة الصحابة على وجه الخصوص.

الرابع: أنها جماعة الصحابة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، فلا يجوز الخروج عليهم فيه. وهو اختيار أبي جعفر الطبري رحمه الله"[2].

وهذه الأقوال لا تعارض بينها ـ والحمد لله ـ إذ الكل متفقون على تقديم أهل العلم والاجتهاد، فلا يقال: الواجب متابعة جمهور العوام، ولو خالفوا أهل العلم، بل الجماعة موافقة الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى: جماعة الصحابة رضي الله عنهم، وهو ما عليه أهل العلم والفقه في الدين في كل زمان، وكل من خالفهم فهو من أهل الشذوذ والفرقة"[3].

---

(١) رواه الترمذي في سننه، ك/ الفتن، ب/ ما جاء في لزوم الجماعة (٦/ ٣٣٤).

(٢) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٢٦٠)، مطبعة السعادة-مصر.

(٣) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لعثمان بن علي بن حسن ص(٢٧-٤٠)، ط.الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، مكتبة الرشد.

قال أبو شامة رحمه الله: "وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان التمسك بالحق قليلاً، والمخالف كثيراً، لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ولا ينظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم"(١).

ولهذا قال ابن القيم رحمه الله مبينا هذا الأمر: "وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل، إلا نفراً يسيراً، فكانوا هم الجماعة، وكانت القضاة حينئذ والمفتون، والخليفة وأتباعه كلهم هم الشاذون، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة"(٢).

ثانياً: منهج أهل السنة والجماعة في تلقي العقيدة وتقريرها:

قبل الشروع في ذكر منهج أهل السنة والجماعة أود أن ألقي الضوء على مسألة وهي أن مذهب أهل السنة والجماعة هو مذهب الصحابة، وأن هناك فرقا بين أهل السنة وأهل القبلة، فأهل السنة والجماعة هم من سار على ما سار عليه النبي ﷺ وأصحابه في شأنهم كله، أما أصحاب المذاهب الأخرى فليسوا من أهل السنة، وإن كانوا من أهل القبلة؛ لاشتمالهم على بعض ما يخالف أهل السنة والجماعة أمثال المعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية، وغيرهم على تفصيل في قرب كل من هذه المذاهب من أهل السنة، أو بعدهم.

---

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص(٢٢)، تحقيق عثمان عنبر، ط.الأولى ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، دار الهداية، مطبعة السعادة.

(٢) إعلام الموقعين (٣/ ٣٩٧).

ولهذا يقول ابن تيمية رحمه الله: "مذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله تعالى أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ﷺ، ومن خالف ذلك كان مبتدعا عند أهل السنة والجماعة"(١).

أسس منهج أهل السنة والجماعة:

١- مصدرهم في تلقي العقيدة هو الكتاب، والسنة الصحيحة، وما أجمع عليه السلف الصالح.

وذلك لأن القرآن قد تضمن الشريعة التي أمرنا باتباعها في أصول الدين وفي فروعه، ثم بين الرسول ﷺ ذلك كله، وأخذ الصحابة رضي الله عنهم بيانه وتفسيره، وعنهم أخذ التابعون بإحسان، فليس لنا بعد هذا إلا أن نسير على هذا المنهج، وأن نتبع ولا نبتدع.

وهذا المنهج قد وضح وبين في الكتاب والسنة، وفيما ورد عن السلف من الآثار، وفيما يلي جملة من هذه النصوص يتضح بها المقصود:

قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[الأنعام:١٥٣].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[النساء:٦٥].

---

(١) منهاج السنة (١/ ٢٥٦)، ط بولاق.

وروى البخاري رحمه الله عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**].

قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة؟ ثم إن بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن][١].

وعنه رحمه الله: عن أبي السوار العدوي رحمه الله قال: [سمعت عمران بن حصين يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **الحياء لا يأتي إلا بخير**، فقال بشر بن كعب: إنه مكتوب في الحكمة: إن منه وقارا ومنه سكينة. فقال عمران: أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدثني عن صحفك][٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: [**من أخذ رأيا ليس في كتاب الله، ولم تمض به سنة من رسول الله لم يدر على ما هو منته إذا لقي الله**][٣].

وكان ابن سيرين رحمه الله يقول: "كانوا يقولون: **ما دام على الأثر فهو على الطريق**"[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "**أما الاعتقاد فلا يؤخذ عني ولا عمن هو أكبر مني، بل يؤخذ عن الله ورسوله** صلى الله عليه وسلم **وما أجمع عليه سلف**

---

(١) رواه البخاري، ك/ الشهادات، ب/ لا يشهد على شهادة جور رقم ٢٦٥٢.

(٢) رواه البخاري، ك/ الأدب، ب/ الحياء رقم ٦١١٧.

(٣) صون المنطق للسيوطي ص(٤٣)، تحقيق سامي النشار، دار الكتب العلمية.

(٤) صون المنطق ص(٤٣).

الأمة"[١].

ثم قال موضحا منهج أهل السنة والجماعة: "...من طريق أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار... ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد، وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة... وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة وظاهرة مما له تعلق بالدين..." [٢].

٢- اعتقادهم أن دين الإسلام كامل لا نقص فيه:

والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة:٣]، ويقول أيضاً: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل:٨٩].

وهذا كثير في القرآن مما يبين أن القرآن واضح، وأن دين الله كامل، وأنه لا يحتاج معه إلى غيره، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية[٣].

يقول الإمام ابن القيم موضحا تمام الدين، ووضوح السنة في الصواعق: "وبالجملة فقد جاءهم ﷺ بخير الدنيا والآخرة برمته، ولم يحوجهم الله إلى

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٦١).

(٢) المرجع السابق (٣/ ١٥٧).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١٠/ ٣٠٤).

أحد سواه، فكيف يظن أن شريعته الكاملة التي ما طرق العالم شريعة أكمل منها ناقصة تحتاج إلى سياسة خارجة عنها تكملها، أو إلى قياس أو حقيقة أو معقول خارج عنها؟

ومن ظن ذلك فهو كمن ظن أن بالناس حاجة إلى رسول آخر بعده، وسبب هذا كله خفاء ما جاء به على من ظن أن بالناس حاجة إلى رسول آخر بعده"(١).

٣- ومن أصول أهل السنة والجماعة: "أن كل ما يدل عليه الكتاب والسنة، فإنه موافق لصريح المعقول، وأن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح".

والقول بمعارضة العقل للنقل قول مبتدع محدث، لم يكن معروفا في القرون المفضلة، إنما حدث في أواخر عصر التابعين حيث ابتدعه علماء الكلام، "والذي عليه أهل السنة والجماعة أن العقل الصريح دائما موافق للنقل الصحيح لا يخالفه قط، لكن قد تقصر عقول الناس عن معرفة تفصيل ما جاء به الرسول فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم تخبر بمحيرات العقول، ولا تخبر بمحالات العقول"(٢)، فعند توهم التعارض يجب تقديم الشرع، لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به ولا العلم بصدقه موقوف على كل ما يخبر به

---

(١) الصواعق ص(٨٢٦، ٨٢٩).

(٢) انظر: الدرء (٥/ ٢٩٧)، (٧/ ٣٢٧)، ومجموع الفتاوى (١٧/ ٤٤٣، ٤٤٤).

العقل، ثم إن الشرع ثابت في نفسه، سواء علمناه بعقولنا أم لم نعلمه، فهو مستغن في نفسه عن علمنا وعقلنا، ولكن نحن محتاجون إليه وإلى أن نعلمه بعقولنا، فإن العقل إذا علم ما هو عليه الشرع في نفسه صار عالما به... ولو لم يعلم لكان جاهلا ناقصا".

فثبوت الرسالة في نفسها وثبوت صدق الرسول، وثبوت ما أخبر به في نفس الأمر، ليس موقوفا على وجودنا، فضلا عن أن يكون موقوفا على عقولنا أو على الأدلة التي نعلمها بعقولنا"(١).

٤- ومن أصول أهل السنة الإيمان بكل ما صح عن النبي ﷺ من السنن الثابتة دون فرق بين المتواتر والآحاد، ودون فرق في ذلك بين مسائل الدين الاعتقادية والعملية.

فأهل السنة يرون أن كل ما أخبر به رسول الله ﷺ ووصل إلينا بطريق صحيح يجب الإيمان به، وتصديقه.

وأما القول بعدم خبر الواحد في العقائد، فهو قول مبتدع ابتدعته القدرية والمعتزلة حتى ينصروا مذهبهم.

ثم إن الخبر إذا صح عن رسول الله ﷺ ورواه الثقات من الأئمة، وأسنده خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله وتلقته الأمة بالقبول، فإنه يوجب

---

(١) انظر: الماتريدية دراسة وتقويم لأحمد الحربي ص(٦٨)، ط.الأولى ١٤١٣هـ، دار العاصمة، ولمزيد من المعرفة انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم (٢/ ٤٥٩) تحقيق علي دخيل الله، ط.الأولى ١٤٠٨هـ دار العاصمة.

العلم فيما سبيله العلم. هذا عامة قول أهل الحديث المتقنين من القائمين على السنة، وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال، ولا بد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به، شيء اخترعته القدرية والمعتزلة، وكان قصدهم منه رد الأخبار، وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم في العلم قدم ثابت، ولم يقعوا على مقصودهم من هذا القول(١).

٥- ومن أصول أهل السنة والجماعة التسليم والانقياد لأمر الله ورسوله ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء:٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[الأحزاب:٣٦].

ولا يمكن أن يستقيم العبد على هذا الدين بالإتيان بهذا الأصل العظيم، لذا يقول الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة: "ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام".

قال الشارح: "أي لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين، وينقاد إليها ولا يعترض عليها، ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه. روى

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص(٣٩٢-٣٩٣) تحقيق الألباني، ط.الثانية، المكتب الإسلامي.

البخاري عن الإمام محمد بن شهاب الزهري رحمه الله أنه قال: (من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم) وهذا كلام جامع مانع"[١].

ولذا قال السلف: "إن الإسلام قنطرة لا تعبر إلا بالتسليم"[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله مبينا أن التسليم هو الأصل الذي يقوم عليه الإيمان: "إن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله على التسليم، وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع، ولهذا لم يحك الله سبحانه عن أمة لنبي صدقت نبيها، وآمنت بما جاء به أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به ونهاها عنه، وبلغها عن ربها..."[٣].

٦- من أصول أهل السنة والجماعة عدم الخوض في علم الكلام والفلسفة، والاقتصار في بيان وفهم العقيدة على ما في الكتاب والسنة.

وهذا واضح من النقاط التالية:

أ- الحرص على العلم النافع مع العمل، فالعلم علمان: علم نافع يولد عملا، وينفع صاحبه في الدنيا والآخرة، وعلم غير نافع، لا ينفع صاحبه في الدنيا أو لا ينفع صاحبه في الآخرة.

ب- النهي عن البدع، ومن ذلك علم الكلام، وقد كان موقف السلف واضحا ومشهورا من علم الكلام. يقول الشافعي رحمه الله محذراً من علم الكلام:

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص(١٨١-١٨٢).

(٢) صون المنطق ص(١٨٣).

(٣) الصواعق (٤/ ١٥٦٠)، ومدارج السالكين (٢/ ١٢١-١٤٦).

"لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك أحب إليّ من أن يلقاه بشيء من الأهواء"[١].

ج- الرد على المنحرفين وأصحاب الأهواء بمنهج متميز.

فالسلف ـ رحمهم الله ـ لما حذروا من المنطق ومن علم الكلام لم يكتفوا بهذا، وإنما ردوا وناقشوا أصحاب البدع بالأدلة النقلية والعقلية المبنية على الكتاب والسنة.

٧- ومن أصول أهل السنة والجماعة أن نصوص الصفات ليست من المتشابه الذي لا يفهم معناه، بل هي عند أهل العلم والإيمان واضحة بينة؛ أي أنها معلومة المعنى، مجهولة الكيفية، كما بين ذلك الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله:

"الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة"[٢].

٨- ومن أصول أهل السنة والجماعة، حمل النصوص على الحقيقة دون المجاز، وذلك أن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز، اصطلاح ليس له أصل في الشرع ولا في اللغة، وعليه فيرى أهل السنة والجماعة أن القول بالمجاز قول مبتدع فيجب أن تحمل النصوص على حقيقتها؛ أي على المعان

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للآلكائي رقم ٣٠٠.

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ص(١٥١٥)، دار الكتب العربية.

التي دلت عليها ألفاظها.ا.هـ[(١)].

ومما تقدم يتضح منهج أهل السنة والجماعة في تلقي العقيدة، ونختم هذا الكلام بما رواه ابن الجوزي بسنده عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: "كتب أبي إلى عبيد الله بن خاقان، لست صاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب أو حديث عن رسول الله ﷺ أو عن أصحابه أما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود"[(٢)].

---

(١) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن المحمود (١/ ٥٥-٦٠)، ط.الثانية ١٤١٦هـ ١٩٩٥م، مكتبة الرشد، والماتريدية دراسة وتقويم ص(٥٩-٧٥)، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة (١/ ٢٢٣) وما بعدها.

(٢) أصول مذهب الإمام أحمد لعبد الله التركي ص(٧٣).

المبحث الأول: أدلة ثبوت الشفاعة

لقد تضافرت الأدلة على ثبوت الشفاعة يوم القيامة، ودل الكتاب والسنة على ذلك، وأجمع على إثباتها السلف الصالح أهل السنة والجماعة.

ويمكن بيان تلك الأدلة كما يأتي:

المطلب الأول: القرآن الكريم.

فقد ورد لفظ الشفاعة وما تصرف منها في القرآن في ستا وعشرين موضع ومعظم الآيات الواردة في ذلك تتعلق بأمور الشفاعة في الآخرة، وشروطها، وإن كان منها ما يتحدث عن الشفاعة في الدنيا ونحن هنا نسوق الآيات الدالة على إثبات الشفاعة وشروطها، ونفيها عن مستحقيها.

فمنها:

قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[البقرة:٢٥٥].

يقول ابن جرير الطبري: "أما قوله ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ يعني بذلك من ذا الذي يشفع لمماليكه إن أراد عقوبتهم إلا أن يُخلّيه ويأذن له بالشفاعة لهم"[١].

وقوله تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾[يونس:٣].

---

(١) تفسير جامع البيان (٣/ ٦)، دار الحديث.

قال ابن عباس: "لا يشفع أحد إلا أن يأذن له"[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾[طه:١٠٩].

وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ﴾[النجم:٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[الزخرف:٨٦].

قال الحافظ ابن كثير[(٢)] رحمه الله: "ثم قال: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ أي الأصنام والأوثان ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ أي لا يقدرون على الشفاعة لهم.

﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ هذا استثناء منقطع أي: لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له". فهذه الآيات تدل على الشفاعة المثبتة بشروطها.

أما الآيات الدالة على نفي الشفاعة عن غير أهلها وهم الكفار فمنها:

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾[الأنعام:٥١].

---

(١) زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج بن الجوزي (٤/ ٧)، ط.الأولى، المطتب الإسلامي.

(٢) ابن كثير هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن حنو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي أبو الفداء عماد الدين حافظ مؤرخ فقيه، من كتبه: البداية والنهاية، تفسير القرآن العظيم، ولد سنة ٧٠١هـ-١٣٠٢م وكانت وفاته سنة ٧٧٤هـ-١٣٧٣م. انظر: الأعلام (١/ ٣١٧).

وقوله تعالى: ﴿ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[غافر:١٨].

وقوله تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴾[المدثر:٤٨].

فإنه يدل بمفهومه على انتفاع المؤمنين بها ونفي شفاعة الشافعين لهم جميعاً[١].

وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ﴾[الزمر:٤٤].

وقال تعالى: ﴿ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[غافر:١٨].

والمراد بالظالمين هنا، الكافرون.

قال الحافظ البيهقي[٢] ﷺ في الشعب: "فالظالمون هاهنا هم الكافرون ويشهد لذلك مفتتح الآية إذ هي في ذكر الكافرين.ا.هـ"[٣].

وقال الحافظ ابن كثير ﷺ في تفسير الآية: "أي ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير.ا.هـ".

ويستثنى من المشركين أبو طالب، فإن النبي ﷺ يشفع له حتى يصير

---

(١) تفسير أبو السعود (٥/ ٦٢)، دار إحياء التراث العربي.

(٢) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي الخرساني الشافعي محدث فقيه غلب عليه الحديث فصنف فيه كثيرا حتى قيل إنها بلغت ألف جزء، منها: شعب الإيمان، ودلائل النبوة. وتوفي سنة (٣٨٤-٤٥٨هـ) (٩٩٤-١٠٦٦م). انظر: معجم المؤلفين لرضا كحالة (١/ ٢٠٦)، مكتبة المثنى.

(٣) (١/ ٢٠٥).

في ضحضاح من نار، الحديث.

هذا ما أوردته من آيات الشفاعة هو مجرد نماذج فقط، ومن أراد المزيد فليرجع إلى القرآن الكريم وما كتبه المفسرون حول آيات الشفاعة.

المطلب الثاني: السنة.

لقد ورد ذكر الشفاعة كثيراً في الأحاديث النبوية الشريفة في كتب السنة الصحاح منها والسنن، وإذا كان القرآن قد تناول الشروط والضوابط للشفاعة عند الله تعالى يوم القيامة، فإن السنة قد شرحت أنواع الشفاعة وصنفتها، ومن هم الشفعاء والمشفوع لهم وأسباب الشفاعة وموانعها.

إن أحاديث الشفاعة صحيحة وصريحة في إثبات الشفاعة يوم القيامة، وهي كثيرة جدا بحيث بلغت حد التواتر.

قال الحافظ ابن أبي عاصم[(١)] رحمه الله: "والأخبار التي روينا عن نبينا ﷺ فيما فضله به من الشفاعة، وتشفيعه إياه فيما يشفع فيه أخبار ثابتة موجبة بعلم حقيقة ما حوت على ما اقتصصنا"[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أحاديث الشفاعة كثيرة متواترة، منها في الصحيحين أحاديث متعددة، وفي السنن والمسانيد مما يكثر عدده"[(٣)].

وقال الشيخ محمد بن أحمد السفاريني[(٤)] رحمه الله: "شفاعة النبي ﷺ

---

(١) أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني محدث وفقيه، ظاهري المذهب، من كتبه: مصنف على مذهب داود الظاهري، وكتاب السنة. ولد وتوفي سنة (٢٠٦-٢٨٧هـ) (٨٢٢-٩٠٠م). انظر: معجم المؤلفين (٢/ ٣٦).

(٢) السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٣٩٩).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٣١٤).

(٤) محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني النابلسي الحنبلي، محدث فقيه أصولي صوفي =

نوع من السمعيات وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ المتواتر المعنوي"[(١)].

وقال عن ثبوت الشفاعة لغير النبي ﷺ: "يجب أن يعتقد أن غير النبي ﷺ من الشفعاء يشفعون لثبوت الأخبار بذلك وترادف الآثار"[(٢)].

نماذج من الأحاديث:

في الصحيحين عن أنس ؓ أن رسول الله ﷺ قال: [**لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيب، فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**][(٣)].

قال أهل العلم: "معناه دعوة أعلم أنها تُستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم وإلا فكم من نبي منهم له دعوة مستجابة، ولنبينا ﷺ منها ما لا يعد، لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف، وضمنت لهم إجابة دعوة فيما شاءوه يدعون بها على يقين من الإجابة"[(٤)].

وقال الإمام ابن خزيمة[(٥)] رحمه الله: "أخر نبينا محمد ﷺ دعوته

=

مؤرخ، من تصانيفه: البحور الزاخرة في علوم الآخرة، لوامع الأنوار.

ولد وتوفي سنة (١١١٤-١١٨٨هـ) (١٧٠٢-١٧٧٤م). انظر: معجم المؤلفين (٨/ ٢٦٢).

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٢٠٨).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٢٠٩) بتصرف.

(٣) البخاري، ك/ الدعوات، ب/ الأول) (٧/ ١٤٥)، ومسلم، ك/ الإيمان، ب/ اختباء النبي ﷺ دعوته الشفاعة لأمته (١/ ١٩٠) رقم ٢٠٠.

(٤) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (١/ ٢٢٣) نقلا عن الشفاعة والرد على المنكرين ص(٢٦).

(٥) محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة النيسابوري الحافظ الحجة الفقيه الشافعي إمام الأئمة

=

ليجعلها شفاعة لأمته، لفضل شفقته ورحمته ورأفته بأمته فجزى الله نبينا ﷺ أفضل ما جزى رسولاً عمن أرسل إليهم، وبعثه المقام المحمود الذي وعده ليشفع لأمته، فإن ربنا عز وجل غير مخلف وعده، ومنجز نبيه ﷺ ما أخر من مسألته في الدنيا وقت شفاعته لأمته يوم القيامة"(١).

وجاء في الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي**] وذكر منها: [**وأعطيت الشفاعة**](٢).

وجاء في بيان أنه ﷺ أول شافع وأول مشفَّع:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة... وأول شافع وأول مشفَّع**](٣).

أما عن تعداد الشفعاء فقد جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا وهو حديث طويل: [...**فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع المؤمنون**...](٤).

=

وصاحب التصانيف أبو بكر، ولد عام ٢٢٣هـ من مؤلفاته: التوحيد، صحيح ابن خزيمة. توفي سنة ٣١١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥).

(١) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة (٢/ ٦٢٢)، تحقيق عبد العزيز الشهوان، دار الرشد.

(٢) صحيح البخاري، ك/ التيمم، ب/ (١) (١/ ٨٦)، وصحيح مسلم، ك/ المساجد ومواضع الصلاة، في فاتحته من شرح النووي، رقم ٥٢١ (١/ ٣٧١).

(٣) صحيح مسلم، ك/ الفضائل، ب/ تفضيل النبي ﷺ، رقم٣ (٤/ ١٧٨٢).

(٤) صحيح البخاري، ك/ التوحيد، ب/ قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ (٨/ ١٨٢)،

=

ويروي لنا أبو سعيد الخدري حديثا عن إثبات الشفاعة للموحدين من أمة محمد ﷺ وإخراجهم من النار بسببها ففي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **[أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال بخطاياهم) فأماتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر[(١)]، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الجنة تكون في حميل السيل]**[(٢)].

قال القاضي عياض[(٣)] ﵀: "مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعاً بصريح الآيات وبخبر الصادق ﷺ، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي الؤمنين وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها"[(٤)].

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ تلا قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[الأنبياء:٢٨] فقال ﷺ:

=

ومسلم، ك/ الإيمان، ب/ معرفة طريق الرؤية (١/ ١٧٠).

(١) أي جماعات واحدتها ضبارة، وكل مجتمع: ضبارة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣/ ٧١).

(٢) صحيح مسلم، ك/ الإيمان، ب/ إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار (١/ ١٧٢).

(٣) هو عياض بن موسى بن عياض السبتي أبو الفضل عالم بالمغرب إمام أهل الحديث في زمنه، ولد سنة ٤٧٦هـ وتوفي ٥٠٤هـ. انظر: وفيات الأعيان (١/ ٣٩٢)، الأعلام (٥/ ٢٨٢).

(٤) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٣/ ٣٨) ح(١٨٢-١٨٥).

[إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي].

قال أبو عبد الله: هذا حديث صحيح.

قال الشيخ طاهر: "هذا يوجب أن تكون الشفاعة لأهل الكبائر يختص بها رسول الله ﷺ دون الملائكة، فإنهم إنما يشفعون في الصغائر أو في استزادة الدرجات وقد يكون القصد منه بيان كون المشفوع له مرتضى بإيمانه وإن كانت له كبائر الذنوب دون الشرك، فيكون المراد بالآية نفي الشفاعة للكفار ولا أحدا من الملائكة المقربين ولا من الأنبياء المرسلين يجترئ على أن يشفع لأحد من الكفار، فإن الله تعالى لم يأذن به ولم يرتض اعتقاده"(١).

هذه نماذج من أحاديث رسول الله ﷺ وسيأتي مزيد من الأدلة عند ذكر أنواع الشفاعة.

---

(١) البعث والنشور للبيهقي ص(٥٥) تحقيق عامر حيدر، ط.الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية. وانظر كذلك: الاعتقاد للبيهقي ص(٨٨).

المطلب الثالث: الإجماع.

أجمعت الأمة ممن يعتد بهم سلفاً وخلفاً على إثبات الشفاعة يوم القيامة على وفق ما ورد في نصوص الكتاب والسنة.

وأثبتها الصحابة ﷺ الذين رووا أحاديث الشفاعة، ثم من بعدهم التابعون ـ رحمهم الله ـ ثم أتباعهم إلى عصرنا الحاضر إلى ما شاء الله، ولم ينكر الشفاعة أو بعض أنواعها إلا المبتدعة، وقد حكى الإجماع على إثبات الشفاعة جملة من الأئمة والمصنفين وإليك نماذج مما في هذا الشأن.

قال أبو حاتم[١] وأبو زرعة[٢] ـ رحمهما الله تعالى ـ: "أدركنا العلماء في جميع الأمصار... فكان من مذهبهم... الشفاعة حق"[٣].

يقول ابن حزم رحمه الله في كتاب الدرة:

"فصل: والشفاعة حق يخرج الله عز وجل بها من النار من فاضت

---

(١) محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي أبو حاتم، حافظ للحديث من أقران البخاري ومسلم، من كتبه: طبقات التابعين، كتاب الزينة. ولد سنة ١٩٥هـ ٨١٠م وتوفي في ٢٧٧هـ ٨٩٠م. انظر: الأعلام (٦/ ٢٥٠).

(٢) عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي بالولاء الرازي أبو زرعة محدث حافظ من الري، زار بغداد وحدث بها وجالس أحمد بن حنبل، له مسند. ولد وتوفي سنة (٢٠٠-٢٦٤هـ) (٨١٥-٨٧٨م). انظر: معجم المؤلفين (٦/ ٢٣٩).

(٣) عقيدة أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، وأبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي ص(١٩٩)، جمع أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد.

سيئاته وكبائره على حسناته كما صح عن النبي ﷺ..."[١].

ومما ذكره أبو الحسن الأشعري رحمه الله من الأصول التي أجمع عليها السلف قوله: "أجمعوا على أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته وعلى أنه يخرج من النار قوماً من أمته بعدما صاروا حمما... "[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى: "وأما شفاعته ﷺ لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين الأربعة، وغيرهم وأنكرها كثير من أهل البدع"[٣].

ويقول في موضع آخر من كتبه: "قد ثبت بالسنة المستفيضة، بل المتواترة، واتفاق الأمة أن نبينا ﷺ الشافع المشفع، وأنه يشفع في الخلائق يوم القيامة، وأن الناس يستشفعون به، يطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربهم، وأنه يشفع بهم"[٤].

يقول الشيخ محمد السفاريني رحمه الله عند كلامه عن الشفاعة:

"شفاعة النبي ﷺ نوع من السمعيات، وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوي، وانعقد عليها إجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة"[٥].

---

(١) الدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم ص(٢٩٤) تحقيق أحمد بن ناصر الحمد، سعيد بن عبد الرحمن القزقي.

(٢) رسالة الثغر ص(٩) تحقيق محمد السيد الجليند.

(٣) مجموع الفتاوى (١/ ١٤٨).

(٤) الاستغاثة لابن تيمية ص(١٠،٩) دار المطبوعات.

(٥) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٠٨).

أما في معارج القبول يقول الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله:

"فهذه الشفاعة حق يؤمن بها أهل السنة والجماعة، كما آمن بها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه"(١).

وما هذه النقول إلا غيض من فيض مما ذكره العلماء من أهل السنة والجماعة، في إثبات الشفاعة في كتبهم التي هي عمدة المسلمين في عقائدهم، ونذكر هنا بعض أسماء الكتب التي لم ننقل منها:

العقيدة الطحاوية لأبي جعفر الطحاوي(٢)(٣).

- العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية(٤).

- شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة(٥)(٦).

- كتاب التوحيد لابن خزيمة(٧).

---

(١) معارج القبول (٢/ ٢٥٦).

(٢) أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحجري الطحاوي المصري الحنفي فقيه مجتهد محدث حافظ مؤرخ، من تصانيفه: أحكام القرآن، التاريخ الكبير، ولد سنة ٢٢٩هـ ٨٥٣م وتوفي سنة ٣٢١هـ ٩٣٣م. انظر: معجم المؤلفين (٢/ ١٠٧).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص(٢٢٩).

(٤) شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس ص(١٤٨).

(٥) النعمان بن ثابت الكوفي التيمي بالولاء أبو حنيفة فقيه مجتهد إمام الحنفية أصله من أبناء فارس، نشأ في الكوفة، من آثاره: الفقه الأكبر المسند. كانت ولادته ووفاته سنة (٨٠-١٥٠هـ). انظر: معجم المؤلفين (١٣/ ١٠٤).

(٦) شرح كتاب الفقه الأكبر ص(١٣٨) لملا علي القارئ، دار الكتب العلمية.

(٧) (٢/ ٥٨٨).

- الشريعة للإمام أبو بكر الآجري[١][٢].
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للآلكائي[٣][٤].
- عقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام أبو عثمان الصابوني[٥][٦].
- العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية[٧].
- شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة[٨][٩].
- كتاب التوحيد لابن خزيمة[١٠].

---

(١) محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي أبو بكر فقيه محدث حافظ. من تصانيفه: الشريعة، تحريم النرد والشطرنج والملاهي، آداب العلماء. توفي سنة ٣٦٠هـ ٩٧٠م. انظر: معجم المؤلفين (٩/ ٢٤٣).

(٢) ص(٢٥٨).

(٣) أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي الشافعي اللالكائي فقيه محدث حافظ درس الفقه الشافعي. من آثاره: مذاهب أهل السنة، شرح أصول اعتقاد أهل السنة. توفي سنة ٤١٨هـ١٠٢٧م. انظر: معجم المؤلفين (١٣/ ١٣٦).

(٤) (٦/ ١٠٨٩).

(٥) العلامة القدوة المفسر المذكر أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد النيسابوري ثم الصابوني، ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاث مائة، جلس للوعظ وهو ابن تسع سنين، له مصنفات في السنة واعتقاد السلف. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٠).

(٦) ص(٣٥٨) تحقيق ناصر الجديع، ط.الأولى ١٤١٥هـ، دار العاصمة.

(٧) شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس ص(١٤٨).

(٨) النعمان بن ثابت الكوفي التميمي بالولاء أبو حنيفة فقيه مجتهد إمام الحنفية أصله من أبناء فارس، نشأ في الكوفة، من آثاره الفقه الأكبر المسند، كانت ولادته ووفاته سنة (٨٠هـ - ١٥٠هـ). انظر: معجم المؤلفين (١٣/ ١٠٤).

(٩) شرح كتاب الفقه الأكبر ص(١٣٨) لملا علي القاريء، دار الكتب العلمية.

(١٠) (٢/ ٥٨٨).

- الشريعة للإمام أبو بكر الآجري[(١)(٢)].

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي[(٣)(٤)].

- عقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام أبو عثمان الصابوني[(٥)(٦)].

بما جاء به الرسول ودفعناه ورددنا على الله أمره، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر:٧].

قلت: والشفاعة؟ قال كم حديث يروى عن النبي ﷺ في الشفاعة والحوض، فهؤلاء يكذبون بها ويتكلون، وهو قول صنف من الخوارج وأن الله تعالى لا يخرج من النار أحدا بعد إذ أدخله، والحمد لله الذي عدل عنا ما ابتلاهم به"[(٧)].

---

(١) محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي أبو بكر فقيه محدث حافظ، من تصانيفه: الشريعة، تحريم النرد والشطرنج والملاهي، آداب العلماء، توفي سنة ٣٦٠هـ ٩٧٠م. انظر: معجم المؤلفين (٩/ ٢٤٣).

(٢) ص(٢٥٨).

(٣) أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي الشافعي اللالكائي فقيه محدث، حافظ درس الفقه الشافعي، من آثاره: مذاهب أهل السنة، شرح أصول اعتقاد أهل السنة. توفي سنة ٤١٨هـ ١٠٢٧م. انظر: معجم المؤلفين (١٣/ ١٣٦).

(٤) (٦/ ١٠٨٩).

(٥) العلامة القدوة المفسر المذكر أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد النيسابوري ثم الصابوني، ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاث مائة، جلس للوعظ وهو ابن تسع سنين، له مصنفات في السنة واعتقاد السلف. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٠).

(٦) ص(٣٥٨) تحقيق ناصر الجديع، ط/ الأولى ١٤١٥هـ دار العاصمة.

(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٦/ ١١١١).

وقد عقد الإمام أبو بكر الآجري ﷺ في كتابه (الشريعة) باب عنوان: "باب وجوب الإيمان بالشفاعة"[(١)].

وختاما ننقل كلاما للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في مناظرة له مع علماء مكة فيقول: "ونثبت الشفاعة لنبينا محمد ﷺ حسب ما ورد وكذا نثبتها لسائر الأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال حسب ما ورد أيضاً ونسألها من المالك لها والإذن فيها لمن يشاء من الموحدين الذين هم أسعد الناس بها كما ورد، بأن يقول أحدنا متضرعا إلى الله تعالى: اللهم شفع نبينا محمد ﷺ فينا يوم القيامة أو اللهم شفع فينا عبادك الصالحين أو ملائكته أو نحو ذلك مما يطلب من الله لا منهم"[(٢)]، يقول ابن القيم ﷺ: "والشفاعة الصادرة عن إذنه لمن وحده، والشفاعة التي نفاها هي الشركية التي في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء، فيعاملون بنقيض قصدهم ويفوز بها الموحدين"[(٣)]، اللهم آمين فلا تحرمنا من شفاعة نبيك ﷺ.

---

(١) الشريعةللآجري ص(٣٣٧).

(٢) المنار (٨/ ٢٤) ص(٥٨٨).

(٣) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (٢/ ٢٧٠) لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، المكتب الإسلامي.

المبحث الثاني: أقسام الشفاعة.

المطلب الأول: الشفاعة الدنيوية.

المراد بهذه الشفاعة هو: التوسط لدى أصحاب الجاه والسلطان ونحوهم من أصحاب الحقوق، والسعي إليهم لقضاء حوائج الآخرين بإعطائهم حقوقهم وحاجاتهم أورد مظلمة عنهم ونحو ذلك.

أنواع الشفاعة:

أولاً: الشفاعة المحمودة الشرعية:

أ- قضاء حوائج الناس:

قال الإمام النووي[(١)] رحمه الله في بيان ذلك: "تستحب الشفاعة لأصحاب الحوائج المباحة سواء كانت الشفاعة إلى سلطان ووال ونحوهما، أم إلى أحد من الناس، وسواء كانت الشفاعة إلى سلطان في كف ظلم، أو إسقاط تعزيز، أو في تخليص عطاء لمحتاج أو نحو ذلك"[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

---

(١) محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي، ولد سنة ٦٣١هـ وتوفي سنة ٦٧٦م له مصنفات عدة منها: شرحه لصحيح مسلم، الأذكار، الأربعين. انظر: مقدمة شرح صحيح مسلم (١/ ٧٣).

(٢) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (١٦/ ١٧٧، ١٧٨) بتصرف.

"فإن المعين على البر والتقوى من أهل قول الله تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾[النساء:٨٥]، والشافع الذي يعين غيره فيصير معه شفيعا بعد أن كان وترا، ولهذا فسرت الشفاعة الحسنة بإعانة المؤمنين على الجهاد، كما ذكره القرطبي(١)، فالشفاعة الحسنة إعانته على خير يحبه الله ورسوله، مع نفع من يستحق النفع ودفع الضر عمن يستحق دفع الضر عنه"(٢).

وقد رغب الشارع جل وعلا في قضاء حوائج الناس، وجعل الجنة ثمنا لمن احتسب ذلك عند الله تعالى لا يبتغي من قضاء حاجة أخيه إلا وجه الله تعالى والعفو عنه يوم القيامة فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: [**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة**](٣).

ويشترط في الشفاعة الدنيوية المشروعة:

- أن تكون في حق، أو لنيل حق، أو لدفع مظلمة.
- ليس فيها مفسدة، ولا تضييع حقوق آخرين.
- ليست معصية لله تعالى.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/ ٥/ ١٩٠)، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) كتاب الإيمان ص(٧٨) تحقيق حسين يوسف الغزال، ط.الثالثة ١٩٨٦، دار إحياء العلوم.

(٣) أخرجه مسلم، ك/ البر والصلة والآداب، ب/ تحريم الظلم، رقم ٥٨.

- أن تكون مصلحة للمشفوع له، أو لأهله وذويه، أو لمصلحة عامة.

وجاء في الحديث: [**اشفعوا تؤجروا ويقض الله على لسان نبيه ما أحب**][(١)].

ب- دعاء الأخ لأخيه شفاعة:

وإذا ما طلب الأخ من أخيه أن يدعو الله تعالى له، فهذه أيضاً تعد من الشفاعات الدنيوية المحمودة والمشروعة.

وقيل: يعني بالشفاعة الحسنة الدعاء للمسلمين، والسيئة الدعاء عليهم كما ذكره القرطبي في تفسير الآية السابقة.

ومن أنفع وأفضل الشفاعات أن يشفع بين اثنين في النكاح، كما في قصة بريرة في البخاري عن ابن عباس [أن زوج بريرة كان عبداً يقال له مغيث، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي ﷺ لعباس: **يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثا؟** فقال النبي ﷺ: **لو راجعته**، قالت: يا رسول الله، تأمرني؟ قال: **إنما أنا أشفع**، قالت: لا حاجة لي فيه][(٢)].

ثانياً: الشفاعة الدنيوية المذمومة، وتنقسم إلى قسمين:

١ - شفاعة اعتقادية:

كأن تتخذ الأصنام والأوثان والشركاء شفعاء إلى الله تعالى أو أن

---

(١) أخرجه مسلم، ك/ البر والصلة والآداب، ب/ استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام، رقم ١٤٥.

(٢) رواه البخاري (٩/ ٤٠٨).

يستشفع بالأموات إلى الله تعالى، فلقد مقت الشارع جل وعلا هذا السبيل بقوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[الزمر:٤٣-٤٤].

ولا يجوز شرعاً أن يستشفع بمخلوق ميت على الخالق وإليه؛ لأن الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وقد قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾[الأحقاف:٥].

٢- شفاعة السلوك والعلم(١).

يقول الإمام النووي في (الأذكار): "اعلم أنه تستحب الشفاعة إلى ولاة الأمر وغيرهم من أصحاب الحقوق والمستوفين لها ما لم تكن في حد، أو شفاعة في أمر لا يجوز تركه، كالشفاعة إلى ناظر على طفل أو مجنون أو واقف، أو نحو ذلك في ترك بعض الحقوق في ولايته فهذه كلها شفاعة محرمة تحرم على الشافع، ويحرم على المشفوع إليه قبولها، ويحرم على غيرهما السعي فيها إذا علمها"(٢).

وقد دلت النصوص الشرعية على ما تقدم فقد قال تعالى: ﴿ وَمَن يَشْفَعْ

---

(١) انظر: الشفاعة لعبد الرحمن بن يوسف بن حسين ص(٨٢) بتصرف، ط.الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، مكتبة مدبولي.

(٢) الأذكار للنووي ص(٢٨٠)، دار الفكر.

﴿شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾[النساء:٨٥] قال الإمام ابن كثير عند تفسير الآية؛ أي يكون عليه وزر من ذلك الأمر الذي ترتب على سعيه ونيته... قال مجاهد بن جبير: "نزلت هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض..."(١).

ومن الأدلة من السنة ما جاء في الصحيحين: [عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم رسول الله ﷺ، ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: [**أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب فقال: يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**](٢).

تلك نبذة سريعة لتوضيح الشفاعة المتعلقة بأمور الدنيا تتميما للفائدة، وإلا فالمقصود الكلام عن الشفاعة المتعلقة بأمور الآخرة والله الموفق.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٣٢).

(٢) صحيح البخاري، ك/ الحدود، ب/ كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع للسلطان (٧/ ١٦).

المطلب الثاني: الشفاعة في الآخرة.

تنقسم الشفاعة في الآخرة إلى:

- شفاعة ثابتة مقبولة بإذن الله تعالى.

- شفاعة منفية مردودة بحكم الله تعالى.

أولاً: الشفاعة الصحيحة:

هي ما جمعت شروط الشفاعة الثلاثة:

الأول: رضى الله عن الشافع.

الثاني: رضاه عن المشفوع له، لكن الشفاعة العظمى في الموقف عامة لجميع الناس من رضي الله عنهم ومن لم يرض عنهم.

الثالث: إذنه في الشفاعة.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾[النجم:٢٦].

ثانياً: الشفاعة الباطلة:

هي ما يتعلق به المشركون في أصنامهم حيث يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاء لهم عند الله كما قال تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[يونس:١٨].

لكن هذه الشفاعة بالله لا تنفع، كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[المدثر:٤٨] [(١)].

ومن الآيات الدالة على بطلان شفاعة المشركين قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾[الزمر:٤٣].

فهذه الآية تضمنت الإنكار لاتخاذ المشركين الشفعاء من دون الله ـ سبحانه ـ حيث زعموا أنها تشفع لهم عند الله من دون أن يأذن لهم أو يأمرهم بذلك، والحال أنه لا يمكن أن يشفع أحد عنده ـ تعالى ـ إلا بإذنه، وأن يرضى عن المشفوع له فهذان الشرطان الثقيلان لابد منهما في الشفاعة المقبولة عنده جل وعلا، وهذان الشرطان مفقودان فيمن زعمهم المشركون أنهم شفعاؤهم عند الله تعالى.

أما الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[الزمر:٤٤].

فهذه الآية أمر من الله ـ جلا وعلا ـ لنبيه محمد ﷺ بأن يعلن لجميع العالمين بأن الشفاعة كلها لله فهو المالك وليس لمن زعمهم المشركون منها شيء"[(٢)].

قال ابن القيم رحمه الله حول الآية السابقة:

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢/ ١٦٨).

(٢) مباحث في العقيدة في سورة الزمر لناصر بن علي الشيخ ص(٢٩٤)، مكتبة الرشد.

"فأخبر أن حال ملكه السموات والأرض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده، وأن أحداً لا يشفع عنده إلا بإذنه، فإنه ليس بشريك بل مملوك محض بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم عند بعض"[١].

والشفاعة التي أثبتها المشركون لأصنامهم صرح القرآن ببطلانها ونفيها في مواضع كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾[البقرة:٢٥٥].

قال في تيسير العزيز الحميد: في هذه الآية رد على المشركين الذين اتخذوا الشفعاء من دون الله من الملائكة والأنبياء والأصنام المصورة على صور الصالحين وغيرهم وظنوا أنهم يشفعون عنده بغير إذنه فأنكر عليهم ذلك[٢]. هذا ما تيسر نقله وغيره كثير مما دون في كتب التفسير.

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٢٢٢، ٢٣٨) بتصرف، تحقيق محمد سيد كيلاني، والنور الإسلامية للطباعة والنشر.

(٢) ص(٢٤٠).

المبحث الثالث: شروط الشفاعة.

ذكر العلماء شروطا للشفاعة عدها بعضهم شرطين وجعلها البعض الآخر ثلاثة إلا أنها ترجع إلى الأصلين الأولين بل أوصلها البعض إلى أربعة شروط وما هي إلا تفريعات للشرطين الأولين وإليك التفصيل:

ذكر العلماء أن من شروط الشفاعة المقبولة يوم القيامة:

١- "إذن الله للشافع أن يشفع لأن الشفاعة ملكه سبحانه ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ﴾[الزمر:٤٤].

٢- رضاه عن المشفوع فيه، بأن يكون من أهل التوحيد لأن المشرك لا تنفعه الشفاعة"(١).

أما من عدها ثلاثة شروط فقال:

"الأول: رضى الله عن الشافع.

الثاني: رضاه عن المشفوع له، لكن الشفاعة العظمى في الموقف عامة لجميع الناس من رضي الله عنهم ومن لم يرض عنهم.

الثالث: إذنه في الشفاعة.

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد للشيخ صالح الفوزان (١/ ٢٦٨)، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤١٠هـ.

والإذن لا يكون إلا بعد الرضى عن الشافع والمشفوع له"[١].

أما من عدها أربعة فهو شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول:

الشفاعة لها شروط منها:

"- الإذن من الله.

- أن يقول صوابا.

- الشفاعة لمن ارتضى من الشافع".

- الشفاعة لمن ارتضى من المشفوع له"[٢].

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين (٢/ ١٦٨).

(٢) انظر: دقائق التفسير (٢/ ٢٧٩-٢٩١) بتصرف.

المطلب الأول: الإذن للشافع.

الله تعالى وتر لا يشفعه أحد، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه فالأمر كله إليه وحده، فلا شريك له بوجه، ولهذا ذكر سبحانه نفي ذلك في آية الكرسي التي فيها تقرير التوحيد، فقال﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[البقرة:٢٥٥].

وسيد الشفعاء ﷺ يوم القيامة، [**إذا سجد وحمد ربه يقال له: ارفع رأسك قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع، فيحد له حداً فيدخلهم الجنة**][١].

فيحد لرسول الله ﷺ حداً يشفع فيهم أي أن يأذن له في الشفاعة، فيشفع فيمن شاء أن يشفع فيه، ولا يشفع في غير من أذن له ورضيه.

وفي قوله: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[البقرة:٢٥٥] أي بأمره.

هذا استفهام إنكاري، والمعنى لا يشفع عنده أحد إلا بأمره وإرادته[٢].

ومن الأدلة عن الإذن للشافع:

قوله تعالى: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾[يونس:٣].

وقوله تعالى في سورة السجدة: ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[السجدة:٤].

---

(١) البخاري ـ ك/ التفسير سورة الإسراء، مسلم ـ ك/ الإيمان ـ ب/ أدنى أهل الجنة منزلة.

(٢) الدين الخالص (٢/ ٢١) بتصرف، دار التراث.

فلا شفاعة إلا بإذنه سبحانه يوم القيامة فهي ملكه وحده كما قال تعالى:

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾[الزمر:٤٣].

ثم إن الإذن يتعلق بأطراف ثلاثة:

- الشافع.

- المشفوع فيه.

- وقت الشفاعة.

يقول تعالى نافياً حصول النفع من معبودات المشركين، ومن ذلك الشفاعة لأنها لا تحصل إلا بإذن الله ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ:٢٢، ٢٣].

قال ابن القيم رحمه الله مبينا مدلول هذه الآية:

"قد قطع الله تعالى كل الأسباب التي تعلق بها المشركون جميعاً قطعاً يعلم من تأمله وعرفه: أن من اتخذ من دون الله ولياً أو شفيعاً فهو:

﴿ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ﴾[العنكبوت:٤١].

فقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ فالمشرك إنما

يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع: إما ملك لما يريده عابده منه، فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك، فإن لم يكن شريكاً له كان معيناً له وظهيراً، فإن لم يكن معيناً ولا ظهير كان شفيعاً عنده.

فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مترتباً، متنقلاً من الأعلى إلى ما دونه فنفى الملك والشركة والمظاهر والشفاعة التي يظنها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة بإذنه".

ويقول الله تعالى أيضاً منكراً شفاعة الأصنام التي تعبد من دون الله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[يونس:١٨].

وأما قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[الزخرف:٨٦].

قال شيخ الإسلام ﷺ عند الآية: فلا يملك أحد من المعبودين من دون الله الشفاعة ألبتة، ثم استثنى ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف:٨٦] فهذا استثناء منقطع، والمنقطع يكون في المعنى المشترك بين المذكورين، فلما نفي ملكهم الشفاعة بقيت الشفاعة بلا مالك لها، كأنه قد قيل:

فإذا لم يملكوها، هل يشفعون في أحد؟ فقال: نعم، ﴿ مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.

وهذا يتناول الشافع والمشفوع له، فلا يشفع إلا من شهد بالحق وهم يعلمون، فالملائكة والأنبياء والصالحون ـ وإن كانوا لا يملكون الشفاعة ـ لكن إذا أذن الرب لهم شفعوا، وهم لا يؤذن لهم إلا في الشفاعة للمؤمنين يشهدون أن لا إله إلا الله، فيشهدون بالحق وهم يعلمون"[١].

مسائله: الأذن بالشفاعة نوعان:

فصل شيخ الإسلام ابن تيمية في كتبه[٢] هذه المسألة ورد على القدرية المنكرين للإذن القدري فيقول رحمه الله:

الإذن نوعان:

إذن بمعنى المشيئة والخلق، وإذن بمعنى الإباحة والإجازة.

فمن الأول: قوله في السحر: ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[البقرة:١٠٢] فهذا بمشيئته وقدرته وإلا فهو لم يبح السحر، والقدرية تنكر هذا (الإذن) وحقيقة قولهم: إن السحر يضر بدون إذن الله.

ومن الثاني: قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾[الأحزاب:٤٥-٤٦] فإن هذا يتضمن إباحته لذلك،

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٤/ ٤٠٩).

(٢) دقائق التفسير (٢/ ٢٨٢)، والحسنة والسيئة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص(١٤٤) تحقيق محمد الخشت، دار الكتاب العربي، وقاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق لشيخ الإسلام ابن تيمية ص(١٣٠) تحقيق سليمان الغصن، دار العاصمة.

وإجازته له، ورفع الجناح والحرج عن فاعله، مع كونه بمشيئته وقضائه.

فقوله: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾[البقرة:٢٥٥] هو هذا الإذن الكائن بقدره وشرعه ولم يرد بمجرد المشيئة والقدرة.

فمن جعل العباد يفعلون أفعالهم بدون أن يكون الله خالقاً لها، وقادراً عليها، ومشيئا لها فعنده: كل شافع وداع قد فعل ما فعل بدون خلق الله وقدرته، وإن كان قد أباح الشفاعة.

والمشركون المقرون بالقدر يقولون: إن الشفعاء يشفعون بالإذن القدري وإن لم يأذن لهم إباحته وجوازاً. ومن كان مكذباً بالقدر مثل كثير من النصارى يقولون: إن شفاعة الشفعاء بغير إذن، لا قدري ولا شرعي. والقدرية من المسلمين يقولون: يشفعون بغير إذن قدري.

ومن سأل الله بغير إذنه الشرعي: فقد شفع عنده بغير إذن قدري ولا شرعي.

فإن قيل: فمن الشفعاء من يشفع بدون إذن الله الشرعي، وإن كان خالقا لفعله، كشفاعة نوح لابنه، وشفاعة إبراهيم لأبيه، وشفاعة النبي ﷺ لعبد الله بن أبي سلول، حين صلى عليه بعد موته.

وقوله: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾[البقرة:٢٥٥] قد قلتم: إنه يعم النوعين، فإنه لو أراد الإذن القدري، لكان كل شفاعة داخلة في ذلك، كما يدخل في ذلك كل كفر وسحر، ولم يكن فرق بين ما يكون بإذنه، وما لا يكون بإذنه، ولو أراد الإذن الشرعي فقط، لزم قول القدرية، وهؤلاء قد

شفعوا بغير إذن شرعي؟

فالشفاعة مقصودها قبول المشفوع إليه وهي الشفاعة التامة، فهذه هي التي لا تكون إلا بإذنه، وأما إذا شفع شفيع فلم تقبل شفاعته، كانت كعدمها وكان على صاحبها التوبة والاستغفار منها كما قال نوح: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[هود:٤٧].ا.هـ.

المطلب الثاني: الرضا عن المشفوع له.

فهذا الشرط مثل الأول في لزومه فإذا كان الشافع لا يشفع حتى يأذن الله تعالى له فإنه أيضاً لا يشفع حتى يرضى الله عنه ويرضى أيضاً عن المشفوع من باب أولى فهذا يدخل تحت الأول فإن الإذن في الشفاعة ليس مطلقاً للشفعاء بل يقول تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[الأنبياء:٢٨].

ويقول أيضاً: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾[النجم:٢٦].

وقد وضح ﷺ هذه القضية في حديث أنس رضي الله عنه في الصحيحين فقال: [**فأستأذن على ربي، فإذا رأيته وقعت له ساجداً، فيدعني ما شاء الله، ثم يقول لي: ارفع رأسك، وسل تعطه، وقل يسمع، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي، ثم أشفع فيحد لي حداً، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود...**](1).

ثم إنه لا يجوز الاتكال على النسب والأقارب في نيل الشفاعة، بل من أراد الشفاعة فعليه التأهل لها بالأعمال الصالحة التي ترضي الله تعالى عنه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء:٢١٤]: [**يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله**

---

(١) البخاري ـ ك/ الرقاق ـ ب/ صفة الجنة والنار (٧/ ٢٠٣)، ومسلم ـ ك/ الإيمان (١/ ١٨٠).

شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت رسول الله سليني بما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً](١).

فأي النسب ينفع بعد هذا التصريح منه ﷺ.

ثم إنه سبحانه لا يرضى إلا عن أهل التوحيد وقد توعد الكافرين بالخلود في النار، ومما يدل على أن الشفاعة ليست من نصيب المشركين والكفار حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: قيل: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: **[لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو من نفسه]**(٢).

ومما يدل أيضاً حديث: **[لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً]**(٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

"وعلى هذا: فيقصد أن الملائكة وغيرهم لا يملكون الشفاعة، فليس توليهم إياهم واستشفاعهم بهم بالذي يوجب أن يشفعوا لكم، فإن أحداً

---

(١) البخاري ـ ك/ الوصايا ـ ب/ هل يدخل النساء والأولاد في الأقارب (٣/ ١٩٠)، ومسلم ـ ك/ الإيمان ـ ب/ قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ (١/ ١٩٢).

(٢) البخاري ـ ك/ العلم ـ ب/ الحرص على الحديث (١/ ٣٣).

(٣) مسلم ـ ك/ الإيمان ـ ب/ اختباء النبي ﷺ دعوة شفاعة لأمته (١/ ١٨٩) رقم ٢٠٠.

ممن يدعى من دون الله لا يملك الشفاعة، ولكن من شهد بالحق وهم يعلمون فإن الله يشفع فيه فالذي تنال به الشفاعة هي الشهادة الحق، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، لا تنال بتولي غير الله، لا الملائكة ولا الأنبياء ولا الصالحين.

فمن وال أحداً من هؤلاء ودعاه، وحج إلى قبره، ونذر له وحلف وقرب القرابين ليشفع له، لم يغن ذلك عنه من الله شيئاً، وكان من أبعد الناس عن شفاعته وشفاعة غيره، فإن الشفاعة إنما تكون لأهل التوحيد، وإخلاص القلب والدين له ومن تولى أحد من دون الله فهو مشرك. فالذين عبدوا الملائكة والأنبياء والأولياء والصالحين ـ ليشفعوا لهم ـ كانت عبادتهم إياهم وإشراكهم بربهم، الذي به طلبوا شفاعتهم به حرموا شفاعتهم، وعوقبوا بنقيض قصدهم؛ لأنهم أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً"[1].

المبحث الرابع: أنواع الشفاعة

"اختلف العلماء في شفاعته ﷺ يوم القيامة على أقوال عدة فذكر النقاش[(١)] في تفسيره أن للنبي ﷺ ثلاث شفاعات: الشفاعة العامة، وشفاعته في السبق إلى الجنة، وشفاعته في أهل الكبائر.

وقال ابن عطية[(٢)] في تفسيره: والمشهور أنها شفاعتان فقط، العامة وشفاعته في إخراج المذنبين، وهذه الشفاعة الثانية لا يتدافعها الأنبياء بل يشفعون ويشفع العلماء"[(٣)].

قال القاضي عياض: شفاعات نبينا ﷺ يوم القيامة خمس شفاعات، وكذا الإمام النووي في شرح مسلم جعلها خمس[(٤)].

الأولى: العامة.

الثانية: إدخال قوم الجنة بغير حساب.

---

(١) هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون، أبو بكر النقاش عالم بالقرآن وتفسيره، أصله من الموصل منشأه ببغداد، وكان في بدء حياته يزاول نقش السقوف والحيطان، ولد سنة ٢٦٠هـ وتوفي سنة ٣٥١هـ. انظر: وفيات الأعيان (١/ ٤٨٩).

(٢) هو عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي من محارب قيس الغرناطي أبو محمد مفسر، فقيه، أندلسي من أهل غرناطة، ولد سنة ٤٨١هـ وتوفي سنة ٥٠٢هـ. انظر: كشف الظنون (٢/ ١٦١٣).

(٣) مباحث العقيدة في سورة الزمر ص(٣٠٤).

(٤) الإيمان باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين (٣/ ٣٨).

الثالثة: في قوم من أمته استوجبوا النار بذنوبهم، فيشفعه فيهم نبينا ﷺ.

الرابعة: فيمن دخل النار من المذنبين فيخرج بشفاعة نبينا، وغيره من الأنبياء والملائكة، وإخوانهم من المؤمنين.

الخامسة: في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وترفيعها.

وزاد القرطبي رحمه الله: وشفاعة سادسة لعمه أبي طالب في التخفيف عنه[(١)].

وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الواسطية[(٢)] أما شارح الطحاوية فقد عدها ثمانية أنواع وجعل الشفاعة العظمى هي الخاصة بالنبي ﷺ[(٣)].

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي ص(٢٨٦)، دار الريان للتراث.

(٢) شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس ص(١٤٨).

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوي ص(٢٢٨).

المطلب الأول: الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ وغيره.

قال الناظم:

كذا له الشفاعة العظمى كما ... قد خصه الله بها تكرما
من بعد إذن الله لا كما يرى ... كل قبوري على الله افترى
وثانيا يشفع في استفتاح ... دار النعيم لأولي الفلاح
وهذا وهاتان الشفاعتان ... قد خصتا به بلا نكران
وثالثاً يشفع في أقوام ... ماتوا على دين الهدى الإسلام
وأوبقتهم كثرة الآثام ... فأدخلوا النار بذا الإجرام
أن يخرجوا منها إلى الجنان ... بفضل رب العرش ذي الإحسان(١)

أولاً: الشفاعة العظمى.

وهذه الشفاعة من أعظم الشفاعات وهي المقام المحمود الذي قال الله تعالى فيه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾[الإسراء:٧٩].

وقد ذكر الإمام الطبري رحمه الله أقوال العلماء في ذلك، في تفسيره الكبير(٢) بل

---

(١) معارج القبول (٢/ ٨٨٦) وما بعدها.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن المجلد الثامن (١٥/ ٩٦)، وكذلك التوحيد لابن خزيمة (٢/ ٧٢٤)، وتفسير القرطبي (١٠/ ٣٠٩).

بل ذكر الله عز وجل له هذا المقام، ووعده إياه وأمرنا رسول الله ﷺ أن نسأل الله إياه له ﷺ بعد كل أذان، وقال البخاري رحمه الله: باب قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ حدثنا إسماعيل بن أبان حدثنا أبو الأحوص عن آدم بن علي قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: [**إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود**][1].

ومما يستدل بالشفاعة الأولى وهي الخاصة بالنبي محمد ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وذلك حين يتوسل الناس يوم القيامة إلى آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عليهم الصلاة والسلام من أجل الشفاعة عند الله تعالى ليقضي بين خلقه ويريحهم ربهم من مقامهم ذلك، وما هم فيه من شدة وكرب، فيتدافع الشفاعة بعد آدم أولو العزم عليهم الصلاة والسلام حتى ينتهي الأمر إلى نبينا محمد ﷺ فيشفع عند ربه لأهل الموقف.

وهذه الشفاعة تسمى الشفاعة العظمى؛ لأنها عامة لجميع أهل الموقف على اختلاف أديانهم.

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتي رسول الله ﷺ يوما بلحم، فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس[2] منها نهسة فقال: [**أنا**

---

(١) البخاري ـ ك/ التفسير ـ ب/ قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ (٨/ ٣٩٩)، وفي ك/ الرقاق ـ ب/ صفة الجنة والنار (١١/ ٤٢٧).

(٢) النهس: أخذ اللحم بأطراف الأسنان. النهاية لابن الأثير (٥/ ١٣٦).

سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مما ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ، فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى عليه السلام فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضلك الله برسالاته وبتكليمه على

الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى ﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى ﷺ، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله، وكلمت الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم، وروح منه، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى ﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله ـ ولم يذكر ذنباً ـ نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتوني فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وبصرى][(١)].

---

(١) صحيح البخاري ـ ك/ التفسير، سورة بني إسرائيل ـ ب/ ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ (٥/ ٢٢٥)، وصحيح مسلم ـ ك/ الإيمان (١/ ١٨٤)، واللفظ لمسلم.

وجه الاستدلال بهذا الحديث:

ما ذكره الإمام ابن خزيمة رحمه الله بقوله: "هذه الشفاعة التي وصفنا أنها أول الشفاعات هي التي يشفع بها النبي ﷺ ليقضي الله بين الخلق، فعندها يأمر الله عز وجل أن يدخل من لا حساب عليه من أمته الجنة من الباب الأيمن"(١).

أما الإمام القرطبي في التذكرة فقد وجه الاستدلال بهذا الحديث توجيه جيد حيث قال: وقوله "فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه يدل على أنه شفع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف، فإنه لما أمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته فقد شرع في حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم"(٢).

وقد نبه شارح الطحاوية رحمه الله إلى أمر هام هنا وهو أن هذا الحديث لم يرد فيه أمر الشفاعة العظمى التي طلبت في أول الحديث، يقول رحمه الله موضحاً هذه القضية: "والعجب كل العجب، من إيراد الأئمة لهذا الحديث من أكثر طرقه، لا يذكرون أمر الشفاعة الأولى، في مأتى الرب سبحانه وتعالى لفصل القضاء، كما ورد هذا في حديث الصور، فإنه المقصود في هذا المقام ومقتضى سياق أول الحديث فإن الناس يستشفعون إلى آدم فمن بعده من الأنبياء في أن يفصل بين الناس ويستريحوا من مقامهم، كما دلت عليه سياقاته من سائر طرقه.

---

(١) التوحيد لابن خزيمة (٢/ ٥٩٦).

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص(٢٤٥).

فإذا وصلوا إلى الجزاء إنما يذكرون الشفاعة في عصاة الأمة وإخراجهم من النار ثم يقول ﷺ مبيناً السبب في هذا الاقتصار على هذا المقام:

"وكأن مقصود السلف هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة، الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها، فيذكرون هذا القدر من الحديث الذي فيه النص الصريح في الرد عليهم، فيما ذهبوا إليه من البدعة المخالفة للأحاديث وقد جاء التصريح بذلك في حديث الصور.

ومضمون حديث الصور:

أنهم يأتون آدم ثم نوحا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى، ثم يأتون رسول الله محمداً ﷺ، فيذهب فيسجد تحت العرش في مكان يقال له: الفحص، فيقول: ما شأنك؟ وهو أعلم، قال رسول الله ﷺ، فأقول: يا رب، وعدتني الشفاعة، فشفعني في خلقك، فاقض بينهم، فيقول سبحانه وتعالى: شفعتك، أنا آتيكم فأقضي بينهم، قال: فأرجع فأقف مع الناس، ثم ذكر انشقاق السموات، وتنزل الملائكة في الغمام، ثم يجيء الرب سبحانه وتعالى لفصل القضاء، والكروبيون من الملائكة المقربون يسبحون بأنواع التسبيح قال: فيضع الله كرسيه حيث شاء من أرضه، ثم يقول: إني أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع أقوالكم وأرى أعمالكم فأنصتوا إلي، فإنما هي أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، إلى أن قال: فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة قالوا: من يشفع لنا إلى ربنا فندخل الجنة؟ فيقولون: من أحق

بذلك من أبيكم إنه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا، فيأتون آدم، فيطلبون ذلك إليه، وذكر نوحا، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم محمد ﷺ... إلى أن قال: قال رسول الله ﷺ: [**فآتي الجنة فآخذ بحلقة الباب، ثم استفتح فيفتح لي، فأُحيا ويُرَحب بي، فإذا دخلت الجنة فنظرت إلى ربي عز وجل خررت له ساجدا، فيأذن لي من حمده وتمجيده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه، ثم يقول الله لي: ارفع يا محمد، واشفع تشفع، وسل تعطه، فإذا رفعت رأسي قال الله وهو أعلم: ما شأنك؟ فأقول: يا رب، وعدتني الشفاعة، فشفعني في أهل الجنة يدخلون الجنة، فيقول الله عز وجل: قد شفعتك، وأذنت لهم في دخول الجنة**][(١)].

وقد تكلم ابن حجر رحمه الله عند شرحه لحديث أنس بن مالك عن هذا الإشكال ووصفه بأنه إشكال قوي، وعن بعض من أقوال العلماء في ذلك فقال: "...كأن راو هذا الحديث ركب شيئاً على غير أصله، وذلك أن في أول الحديث ذكر الشفاعة في الإراحة من كرب الموقف، وفي آخره ذكر الشفاعة في الإخراج من النار، يعني وذلك إنما يكون بعد التحول من

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص(٢٣١)، والحديث ضعيف كما ذكر ذلك الألباني في تخريجه للحديث في تحقيق الطحاوية فقال: ضعيف أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢/ ٣٣٠-٣٣١) (٢٤/ ٣٠، ١٨٦، ١٨٧) من حديث أبي هريرة مرفوعا. وإسناده ضعيف لأنه من طريق إسماعيل بن رافع المدني عن يزيد بن أبي زياد وكلاهما ضعيف بسندهما عن رجل من الأنصار وهو مجهول لم يسم، وقول الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٤٨، ٤/ ٦٣): إنه حديث مشهور...الخ، لا يستلزم صحته.

الموقف والمرور على الصراط وسقوط من يسقط في تلك الحالة في النار، ثم يقع بعد ذلك الشفاعة في الإخراج، وقد أجاب عنه عياض وتبعه النووي وغيره بأنه قد وقع في حديث حذيفة(١) المقرون بحديث أبي هريرة بعد قوله: [**فيأتون محمداً فيقوم ويؤذن له**] أي في الشفاعة [**وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبي الصراط يمينا وشمالا فيمرا بكم كالبرق...**] الحديث.

قال القاضي عياض: فبهذا يتصل الكلام، لأن الشفاعة التي لجأ الناس إليه فيها هي الإراحة من كرب الموقف ثم تجيء الشفاعة في الإخراج، وقد وقع في حديث أبي هريرة(٢) الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد، ثم تمييز المنافقين من المؤمنين، ثم حلول الشفاعة بعد وضع الصراط والمرور عليه فكان الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد هو أول فصل القضاء والإراحة من كرب الموقف قال: وبهذا تجتمع متون الأحاديث وتترتب معانيها.

قال ابن حجر العسقلاني ﷺ بعد ذلك: فكأن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر"(٣).

وبهذا يزول الإشكال.

---

(١) عند مسلم (١/ ١٨٧).

(٢) في البخاري ـ ك/ الرقاق ـ ب/ الصراط جسر جهنم (١١/ ٤٤٤).

(٣) فتح الباري ـ ك/ الرقاق ـ ب/ صفة الجنة والنار (١١/ ٤٣٨).

انظر في أنواع الشفاعة (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للألوسي البغدادي ص(٥٤٢)، مطبعة المدني، القصد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين لحسين بن غنام ص(٢٠١)، تحقيق إبراهيم يوسف، ط/ الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

ثانياً: اختصاصه ﷺ باستفتاح باب الجنة.

وهذه الشفاعة الثانية قد جاء في الأحاديث أنها أيضاً من المقام المحمود.

قال الإمام مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبة بن سعيد وإسحاق بن إبراهيم قال... عن أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ: **[أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً]**(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **[آتي باب الجنة يوم القيامة فأستشفع، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك]**(٢).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **[أنا أول شفيع في الجنة، لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد]**(٣).

وأيضاً حديث: **[أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة]**(٤).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ـ ك/ الإيمان ـ ب/ قول النبي ﷺ: **[أنا أول الناس يشفع في الجنة]** (١/ ١٨٨) رقم ١٩٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ـ ك/ الإيمان ـ ب/ قول النبي ﷺ: **[أنا أول الناس يشفع في الجنة]** رقم ٣٣٣.

(٣) رواه مسلم في صحيحه ـ ك/ الإيمان ـ ب/ قول النبي ﷺ: **[أنا أول الناس يشفع في الجنة]** رقم ٣٣٢.

(٤) رواه مسلم في صحيحه ـ ك/ الإيمان ـ ب/ قول النبي ﷺ: **[أنا أول الناس يشفع في الجنة]** رقم ٣٣١.

فهذه الأحاديث الصحيحة ونحوها تدل على أن النبي ﷺ أول الشفعاء لأهل الجنة في دخولها.

وقد نص على خصوصيته ﷺ بهاتين الشفاعتين شيخ الإسلام فقال عند تعداد أنواع الشفاعة: "وهاتان الشفاعتان خاصتان له ﷺ"(١).

والشيخ حافظ الحكمي في (معارج القبول) حيث يقول: "وهاتان الشفاعتان المذكورتان اللتان هما المقام المحمود قد خصتا به ﷺ وليستا لأحد غيره بلا نكران بين أهل السنة والجماعة"(٢).

وكما أن نبينا ﷺ أول من يستفتح باب الجنة فيفتح له، فإن أول من يدخل الجنة من الأمم أمته ﷺ، فقد جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة...**](٣)، وهذا من فضل الله علينا ومنه كرمه أن شرف هذه الأمة أمة محمد ﷺ سيد الأولين والآخرين.

ثالثاً: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه.

وهذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ لعمه أبي طالب ويستدل لهذا النوع بحديث في الصحيحين عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه قال: [يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: [نعم،

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٧).

(٢) معارج القبول (٢/ ٨٩٦).

(٣) رواه مسلم في صحيحه ـ ك/ الجمعة ـ ب/ هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٢/ ٥٨٥).

هو في ضحضاح[(١)] من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار][(٢)].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: [**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار، يبلغ كعبيه، يغلي منه دماغه**][(٣)].

وينبغي أن نعلم هنا أن هذه الشفاعة التي نفعت أبا طالب مع كونه كافراً شفاعة تخفيف فقط لا شفاعة إخراج من النار وإن كان أهون أهل النار عذاباً كما في حديث ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: [**أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو متنعل بنعلين يغلي منهما دماغه**][(٤)].

نعوذ بالله من الكفر ومن الإصرار عليه.

٤- الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة:

وهذه الشفاعة قد وافقت عليها المعتزلة ولم تنكرها.

قال القاضي عياض: "وهذه الشفاعة لا تنكرها المعتزلة ولا تنكر شفاعة المحشر الأول"[(٥)].

---

(١) قال ابن الأثير: الضحضاح في الأصل مازقَّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين فاستعاره للنار. النهاية (٣/ ٧٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ـ ك/ مناقب الأنصار ـ ب/ قصة أبي طالب، رقم ٣٨٨٣، ومسلم ـ ك/ الإيمان ـ ب/ شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب، رقم ٣٥٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ـ ك/ مناقب الأنصار ـ ب/ قصة أبي طالب، رقم ٣٨٨٥، ومسلم ـ ك/ الإيمان ـ ب/ شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب، رقم ٣٦٠.

(٤) رواه مسلم في صحيحه ـ ك/ الإيمان ـ ب/ أهون أهل النار عذابا، رقم ٣٦٢.

(٥) التذكرة ص(٢٤٩).

ودليل هذا النوع ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ، وفيه أن رسول الله ﷺ بعث عمه أبا عامر ﷺ على جيش إلى أوطاس، فرُمي أبو عامر بسهم في ركبته فقال لأبي موسى: يا ابن أخي انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام وقل له: يقول لك أبو عامر: استغفر لي، قال: واستعملني أبو عامر على الناس، ومكث يسيرا ثم إنه مات فلما رجعت إلى النبي ﷺ دخلت عليه فأخبرت بخبرنا وخبر أبي عامر، وقلت له: قال قل له: يستغفر لي، فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ منه، ثم رفع يديه ثم قال: [**اللهم اغفر لعبيد أبي عامر**] حتى رأيت بياض إبطيه ثم قال: [**اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك أو من الناس**] فقلت: ولي يا رسول الله فاستغفر، فقال النبي ﷺ: [**اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما**][(١)].

ويمكن أيضاً أن يستدل بحديث أم سلمة ﷺ كما عند الإمام مسلم أن النبي ﷺ دعا لأبي سلمة لما توفي فقال: [**اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين**[(٢)]**، واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له في قبره، ونور له فيه**][(٣)].

وهذه الشفاعة قد اختلف هل هي خاصة بالنبي ﷺ أم عامة، يقول

---

(١) صحيح البخاري ـ ك/ المغازي ـ ب/ غزوة أوطاس (٥/ ١٠١)، ومسلم ـ ك/ فضائل الصحابة ـ ب/ فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعرين (٤/ ١٩٤٣).

(٢) أي الباقين من ذريته. النهاية لابن الأثير (٣/ ٣٣٧).

(٣) صحيح مسلم ـ ك/ الجنائز ـ ب/ في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر.

الشيخ السفاريني: "إن الإمام النووي جوز اختصاصها به عليه الصلاة والسلام في كتاب الانقياد له باختصاصها به. قال في الأنموذج: جوز النووي اختصاص هذه والتي قبلها ـ يقصد شفاعته في قوم استوجبوا النار فلا يدخلونها ـ وبه وردت الأحاديث في التي قبلها وصرح به القاضي عياض وابن دحية"(١).

وقيل: إنها ليست خاصة به ولكنه هو المقدم فيها ذكره الشيخ الحكمي(٢).

خامساً: الشفاعة في دخول الجنة بلا حساب.

"وهذه الشفاعة خاصة به أيضاً ﷺ كما قال القاضي عياض والإمام النووي وابن دقيق العيد في الاختصاص وتبعه الحافظ ابن حجر قال فإن الاختصاص إنما يثبت بالدليل عليه"(٣).

ويستدل لهذا النوع بحديث السبعون ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب: ففي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: [**عرضت علي الأمم، فأخذ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير قلت: يا جبريل هؤلاء أمتي! قال: لا ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفا**

---

(١) لوامع الأنوار (٢/ ٢١١).

(٢) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة ص(١١٦).

(٣) لوامع الأنوار (٢/ ٢١١).

قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولم؟ قال: كانوا لا يكتوون ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون] فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: [**اللهم اجعله منهم**] ثم قام إليه رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: [**سبقك بها عكاشة**][1].

وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [**يدخل الجنة زمرة هم سبعون ألفا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر فقام عكاشة...**]الحديث[2].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال نبي الله ﷺ: [**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال هم: الذين لا يكتوون...**]الحديث[3].

سادساً: الشفاعة في أهل الكبائر.

المراد بأهل الكبائر: العصاة من أهل التوحيد الذين دخلوا النار بذنوبهم، فيشفع فيهم الرسول ﷺ وغيره لإخراجهم من النار بعد دخولها.

فهذه الشفاعة يؤمن بها أهل السنة والجماعة كما آمن بها الصحابة

---

(١) صحيح البخاري ـ ك/ الرقاق ـ ب/ يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب (٧/ ١٩٩)، ومسلم ـ ك/ الإيمان ـ ب/ الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١/ ١٩٩).

(٢) صحيح البخاري ـ ك/ الرقاق ـ ب/ يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب.

(٣) مسلم (١/ ١٩٨).

رضوان الله تعالى عليهم ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأنكرها في آخر عصر الصحابة الخوارج وفي عصر التابعين المعتزلة"[1].

ومن الأدلة على ثبوت هذا النوع من الشفاعة ما جاء في الصحيحين من حديث معبد بن هلال العنزي قال: اجتمعنا ناس من البصرة، فذهبنا إلى أنس بن مالك، وذهبنا معنا بثابت إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة، فإذا هو في قصره، فوافقناه يصلي الضحى، فاستأذنا، فأذن لنا وهو قاعد على فراشه، فقلنا لثابت: لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة، فقال: يا أبا حمزة، هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاءوك يسألونك عن حديث الشفاعة، فقال: حدثنا محمد ﷺ قال: **[إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست لها ولكن عليكم بإبراهيم، فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله، فيأتون بموسى، فيقول: لست لها ولكن عليكم بعيسى، فإنه روح الله وكلمته، فيأتون عيسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ، فيأتوني، فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخر له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: انطلق فأخرج منها من كان**

---

(١) معارج القبول (٢/ ٨٩٦).

في قلبه مثقال شعيرة من إيمان[(١)]، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل] فلما خرجنا من عند أنس، قلت لبعض أصحابنا: لو مررنا بالحسن ـ وهو متوار في منزل أبي خليفة[(٢)] ـ فأتيناه فسلمنا عليه، فأذن لنا، فقلنا له: يا أبا سعيد جئناك من عند أخيك أنس بن مالك، فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة، فقال: هيه، فحدثناه بالحديث، فانتهى إلى هذا الموضع، فقال: هيه، فقلنا: لم يزد لنا على هذا، فقال: لقد حدثني ـ وهو جميع[(٣)] ـ منذ عشرين سنة، فلا أدري أنسي أم كره أن تتكلوا، فقلنا: يا أبا سعيد فحدثنا، فضحك وقال: خلق الإنسان عجولا، ما ذكرته

---

(١) ذكر الإمام ابن خزيمة أن المعنى بعض من كان في قلبه ذلك الوزن من الإيمان لأن غير النبي ﷺ يشفع أيضا. انظر: التوحيد (٢/ ٧٢٨، ٧٢٩).

(٢) أي الحسن البصري مستخف في منزل أبي خليفة خوفا من الحجاج بن يوسف، وأبو خليفة هو حجاج بن عتاب البصري. فتح الباري (١٣/ ٤٧٦)، وشرح النووي لصحيح مسلم (٣/ ٦٤).

(٣) أي مجتمع العقل، وهو إشارة إلى أنه كان حينئذ لم يدخل في الكبر الذي هو مظنة تفرق الذهن وحدوث اختلاط الحفظ. فتح الباري (١٣/ ٤٧٦).

إلا وأنا أريد أن أحدثكم، حدثني كما حدثكم به، قال: **[ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أئذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله]**(١).

وجاء في بعض السنن عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: **[شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي]**(٢).

وفي الباب أيضا عن جابر بن عبد الله عند الترمذي(٣).

سابعاً: شفاعته فيمن استحق النار ألا يدخلها.

ومن أثبت هذه الشفاعة استدل بأحاديث:

الأول:

حديث عبد الله بن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **[ينصب للإنبياء يوم القيامة منابر من ذهب، فيجلسون عليها، قال: ويبقى منبري لا أجلس عليه، قائماً بين يدي الله عز وجل، منتصبا بأمتي، مخافة أن يبعث بي**

---

(١) صحيح البخاري ـ ك/ التوحيد ـ ب/ شفاعة الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٨/ ٢٠٢)، وصحيح مسلم ـ ك/ الإيمان (١/ ١٨٢) واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ـ ك/ السنة ـ ب/ في الشفاعة (٥/ ١٠٦)، والترمذي في سننه ـ ك/ صفة القيامة ـ ب/ ١١ منه (٤/ ٦٢٥) صححه الألباني في صحيح الترمذي (٢/ ٢٩٥).

(٣) سنن الترمذي ـ ك/ صفة القيامة ـ ب/ ١١ منه.

إلى الجنة ويبقى أمتي بعدي فأقول: يا رب أمتي، فيقول الله: يا محمد وما تريد أن أصنع بأمتك؟ فأقول: يا رب عجل حسابهم فيدعون بهم فيحاسبون، فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله تعالى، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي، وما أزال أشفع حتى أعطي صكاكا برجال قد بعث بهم إلى النار، حتى إن مالكا خازن جهنم ليقول: يا محمد ما تركت لغضب ربك على أمتك من نقمة](١).

الثاني:

عن المنهال بن عمرو أنه قال: حدثني عبد الله بن الحارث أن نبي الله ﷺ قال: [أمر بقوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار فيقولون: يا محمد ننشدك الشفاعة، قال: فآمر الملائكة أن يقفوا بهم، قال: فأنطلق وأستأذن على الرب عز وجل، فيؤذن لي، فأسجد وأقول: رب قوم من أمتي قد أمرت بهم إلى النار، قال فيقول: انطلق فأخرج من شاء الله أن تخرج، ثم ينادي الباقون: يا محمد ننشدك الشفاعة، فأرجع إلى الرب فأستأذن، فيؤذن لي فأسجد فيقول:

---

(١) ذكره ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم عن أبي بكر بن أبي الدنيا في كتابه الأهوال.

والحديث قال عنه الحاكم في المستدرك ـ ك/ الإيمان (١/ ٦٦): "هذا حديث صحيح الإسناد غير أن الشيخين لم يحتجا بمحمد بن ثابت البناني وهو قليل الحديث يجمع حديثه والحديث غريب في أخبار الشفاعة ولم يخرجاه"، وعقب الذهبي بقوله: "ضعفه ـ أي البناني ـ غير واحد والحديث منكر"، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٨٠): رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه محمد بن ثابت وهو ضعيف، وعليه الحديث ضعيف. ط.الثالثة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، دار الكتاب العربي، ولم يذكره الوادعي في الشفاعة. انظر: ص(١١١)، ط.الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، مكتبة ابن عباس.

ارفع رأسك وسل تعط، واشفع تشفع، فأقوم فأثني على الله بثناء لم يثن لم يثن عليه أحد، ثم أقول: قم من أمتي قد أمر بهم إلى النار فيقول: فأنطلق فأخرج منهم من قال لا إله إلا الله، فأقول: ومن كان في قلبه حبة من إيمان، قال: فيقول: يا محمد ليست تلك لك، تلك لي، قال: فأنطلق فأخرج من شاء الله أن أخرج، قال: ويبقى قوم فيدخلون النار، فيعيرهم أهل النار، فيقولون: أنتم كنتم تعبدون الله ولا تشركون به، قد أدخلكم النار، قال فيحزنون لذلك، قال: فيبعث الله ملكاً بكف من ماء، فينضح بها في النار،فلا يبقى أحد من أهل لا إله إلا الله وقعت في وجهه قطرة، قال: فيعرفون بها، فيغبطهم أهل النار، ثم يخرجون، فيدخلون الجنة، فيقال لهم: انطلقوا، فيضيفون الناس، فلو أن جميعهم نزلوا برجل واحد كان لهم عنده سعة ويسمون المجردين](١).

قال ابن كثير بعد أن ساق الحديث والله أعلم بالصواب(٢).

الثالث:

عن الثوري ثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ

---

(١) الحديث ضعيف لإرساله: قال الوادعي في تخريجه للحديث ص(١١٢) في الشفاعة: الحديث رجاله رجال الصحيح إلا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة، وقد وثقه الدارقطني. وقال الخطابي: يحدث عن محمد بن سلمة بعجائب كما في التهذيب والميزان ويخش أيضاً من إرساله فيحتمل أن يكون عبد الله بن الحارث سمعه من أبي هريرة ويحتمل أن يكون أرسله. انظر: التهذيب (١/ ١٦١).

(٢) النهاية في الفتن (٢/ ٢٠٤-٢٠٦).

﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾[فاطر:٣٠] قال: [أجورهم، يدخلهم الجنة، ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا][١].

ومما تقدم يتضح لنا ضعف الأحاديث في هذا النوع من الشفاعة وإن كان داخلا ضمنا في الأحاديث العامة في الشفاعة لأهل الكبائر دون تخصيص، وهل من أثبت هذا النوع أخذ بعموم الأحاديث.؟!

وممن نص على ثبوت هذه الشفاعة، الإمام النووي[٢] في شرح مسلم وشيخ الإسلام ابن تيمية[٣]، والحافظ ابن حجر[٤]، والشيخ محمد السفاريني[٥] رحمهم الله تعالى، وإن كان شارح الطحاوية[٦] قد عدها ضمن أنواع الشفاعة إلا أنه لم يستدل عليها، أما الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى

---

(١) قال الوادعي رحمه الله في الشفاعة ص(١١٢): غريب من حديث الأعمش، عزيز عجيب من حديث الثوري، تفرد به إسماعيل بن عبيد الكندي عن الأعمش وعن إسماعيل بقية بن الوليد وحديث الثوري لم نكتبه إلا عن هذا الشيخ، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ٥٩١): وهذا إسناد لا يثبت.

قال الهيثمي (٧/ ١٣): رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه إسماعيل بن عبد الله الكندي ضعفه الذهبي فقال: أتى بخبر منكر، وبقية رجاله وثقوا. انظر: الشفاعة للوادعي ص(٢٥٤).

(٢) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (٣/ ٣٥، ٥٨).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٣/ ١٤٧).

(٤) انظر: فتح الباري (١١/ ٤٢٨).

(٥) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢١١).

(٦) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص(٢٣٢).

فقد قال: "هذا النوع لم أقف إلى الآن على حديث يدل عليه"[١].

ولعل التوقف في هذه المسألة أولى.

ثامناً: شفاعته ﷺ فيمن تساوت حسناته وسيئاته؟

وقد أثبت هذا النوع الإمام ابن كثير في كتابه النهاية[٢] ولكنه لم يذكر دليل، وأثبته الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري[٣] حيث قال بعدما ساق أنواع الشفاعة: "وظهر لي بالتتبع شفاعة أخرى، وهي الشفاعة فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة"، ثم قال: "ومستندها ما أخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلونها بشفاعة النبي ﷺ"[٤].

وهذا الحديث متروك لا يعتمد عليه.

أما أصحاب الأعراف فأرجح الأقوال فيهم أنهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فتجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيئاتهم عن

---

(١) انظر: تهذيب السنن لابن القيم (٧/ ١٣٤) تحقيق أحمد شاكر، أحمد حامد فقي.

(٢) انظر: النهاية (٢/ ٢٠٤).

(٣) انظر: فتح الباري (١١/ ٤٢٨).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ١٨٩)، قال الهيثمي: "رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار منه وفيه موسى بن عبد الرحمن الصنعاني وهو وضاع". مجمع الزوائد (١٠/ ٣٧٨).

الجنة فيقومون مدة على الأعراف وهو سور بين الجنة والنار، ثم يؤمر بهم إلى الجنة وقد جاء شيء من أخبارهم في قوله تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ ﴾[الأعراف:٤٦] [(١)].

وقد استدل لهذين النوعين من الشفاعة ـ السابع والثامن ـ صاحب كتاب مباحث العقيدة في سورة الزمر[(٢)] فقال: "ومما يستدل لهذين النوعين قوله ﷺ: [**يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك أذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله قال فيقول إبراهيم لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلاً من وراء، اعمدوا موسى ﷺ الذي كلمه الله تكليما، فيأتون موسى ﷺ فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه فيقول عيسى ﷺ: لست بصاحب ذلك، فيأتون محمداً ﷺ، فيقوم فيؤذن له، وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط، يمينا وشمالا فيمر أولكم كالبرق**] قال: قلت: بأبي أنت وأمي! أي شيء كمر البرق؟ قال: [**ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرقه عين؟ ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب! سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا وفي حافتي الصراط كلاليب**

---

(١) الشفاعة والرد على المنكرين ص(٦٠).

(٢) ص(٣٠٥).

معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس[1] في النار][2].

قال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر أنواع الشفاعة:

"ودليل الثالثة ـ في إدخال قوم حوسبوا فاستحقوا العذاب أن لا يعذبوا ـ حديث حذيفة عند مسلم: ونبيكم على الصراط يقول: [رب سلم سلم][3].

قلت: ولعل هذا الاستدلال من قبيل الاستدلال بالأحاديث العامة على النوع السابع والله أعلم.

---

(١) مكدوس: أي مدفوع وتكدس الإنسان من ورائه فسقط. انظر: النهاية (٤/ ١٥٥).

(٢) رواه مسلم من حديث حذيفة ـ ك/ الإيمان ـ ب/ أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم ٣٢٩ (١/ ٧٠).

(٣) انظر: فتح الباري ـ ك/ الرقاق ـ ب/ صفة الجنة والنار (١١/ ٤٢٨).

المطلب الثاني: الشفعاء غير النبي ﷺ.

فيما سبق تحدثنا عن أنواع الشفاعة وذكرنا أن منها ما هو خاص بالنبي ﷺ ومنها ما هو عام لغيره من الشفعاء، في هذا المبحث سنتعرف على من هم الشفعاء في ضوء الأدلة الشرعية من كتابٍ أو سنة وهي كما يلي:

أولاً: الملائكة.

هذا النوع من الشفعاء قد ورد في القرآن ما يبينه فقد قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾[النجم:٢٦].

وفيه دلالة أنه إذا أذن الله تعالى له فإنه يشفع.

أما من السنة فحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الصحيحين مرفوعا يقول فيه: [**فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة... ولم يبق إلا أرحم الراحمين...**][(١)].

ثانياً: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وهذا النوع قد ثبت بالحديث الطويل لأبي سعيد الخدري مرفوعا وفيه [**(فيقول) الله تعالى: شفعت الملائكة، وشفع النبيون...**][(٢)].

---

(١) صحيح البخاري ـ ك/ التوحيد ـ ب/ قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ (٨/ ١٨٢)، وصحيح مسلم ـ ك/ الإيمان ـ ب/ معرفة طريق الرؤية (١/ ١٧٠).

(٢) صحيح البخاري ـ ك/ التوحيد ـ ب/ قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ (٨/ ١٨٢)، =

ثالثاً: المؤمنون الصالحون.

فالمؤمنون يشفعون يوم القيامة، كلما كان المؤمن أكثر تقى وإيمانا كان أحرى بالشفاعة لإخوانه المؤمنين والضد بالضد ولهذا جاء في صحيح مسلم عن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: [**إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة**][(١)].

ومما يستدل على هذه الشفاعة ما جاء عن أبي سعيد الخدري في حديثه الطويل وفيه: [**حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق، من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتهم، فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة**

=

وصحيح مسلم ـ ك/ الإيمان ـ ب/ معرفة طريق الرؤية (١/ ١٧٠).

(١) صحيح مسلم ـ ك/ البر والصلة والآداب ـ ب/ النهي عن لعن الدواب وغيرها (٤/ ٢٠٠٦).

من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرا] وكان أبو سعيد الخدري يقول: [إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا إن شئتم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء:٤٠] فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين...](١).

وأيضاً حديث عبد الله بن أبي الجدعاء عند الترمذي أنه سمع النبي ﷺ يقول: [ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم، قالوا: يا رسول الله سواك؟ قال: سواي](٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: [إن الرجل ليشفّع في للرجلين والثلاثة، والرجل للرجل](٣).

رابعاً: الشهداء.

ويستدل على هذا النوع من الشفاعة بأحاديث فضل الشهداء ومنها:

ما جاء في السنن من حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [للشهيد عند الله ست خصال] وفي حديث آخر: [ويشفع

---

(١) تقدم تخريجه في الفقرة السابقة، والحديث متفق عليه.

(٢) أخرجه الترمذي ـ ك/ صفة القيامة ـ ب/ ١١، وقال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الترمذي (٢/ ٢٩٥).

(٣) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٧٤٥)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد (١٠/ ٣٨٢).

سبعين إنسانا من أقاربه][(١)].

وفي سنن أبي داود عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **[يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته]**[(٢)].

خامساً: أولاد المؤمنين.

وهذه الشفاعة من نعم الله على العباد، وتطييبا لخاطرهم عند فقد أطفالهم صغارا.

ففي صحيح مسلم عن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا، عن موتانا؟ قال: نعم، **[صغارهم دعاميص**[(٣)] **الجنة، يتلقى أحدهم أباه ـ أو قال أبويه ـ فيأخذ بثوبه ـ أو قال بيده ـ كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا فلا يتناهى ـ أو قال فلا ينتهي ـ حتى يدخله الله وأباه الجنة]**[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه ـ ك/ الجهاد ـ ب/ فضل الشهادة في سبيل الله (٢/ ٩٣٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٩).

(٢) أخرجه أبو داود ـ ك/ الجهاد ـ ب/ في الشهيد يشفع (٣/ ٣٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبو داود (٢/ ٤٧٩).

(٣) دعاميص: هي جمع دعموص وهي دويبة تكون في الماء والدعموص أيضا: الدخَّال في الأمور: أي أنهم سياحون في الجنة دخَّالون في منازلهم لا يمنعون من موضع. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ١٢٠).

(٤) صحيح مسلم ـ ك/ البر والصلة والآداب ـ ب/ فضل من يموت له ولد فيحتسبه (٣/ ٢٠٢٩).

وعند البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: [**ما من الناس مسلم يموت له ثلاث من الولد، لم يبلغوا الحنث، إلا أدخله الجنة بفضل رحمته**][(١)].

وأخرج الإمام مالك في الموطأ من حديث أبو النضر السلمي ﷺ أن النبي ﷺ قال: [**لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم، إلا كانوا له جنة من النار، فقالت امرأة عند رسول الله ﷺ: يا رسول الله، أو اثنان؟ قال: أو اثنان**][(٢)].

سادساً: القرآن.

ومما يستدل لهذا النوع[(٣)] ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ قال عنه: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [**اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان**[(٤)]**، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة، فأن أخذها**

---

(١) رواه البخاري ـ ك/ الجنائز ـ ب/ فضل من مات له ولد فاحتسبه، وب/ ما قيل في أولاد المسلمين (٣/ ٩٥، ٩٦).

(٢) الموطأ (في الجنائز ـ باب الحسبة في المصيبة) (١/ ٢٣٥)، قال ابن الأثير في جامع الأصول (٩/ ٥٩٣) وهو حديث صحيح.

(٣) انظر: كتاب الشفاعة وبيان الذين يشفعون لإبراهيم بن عبد الله الحازمي ص(١٠٧)، ط.الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، دار الشريف.

(٤) الغياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة. النهاية لابن الأثير (٣/ ٤٠٣).

بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة](١) أي السحرة.

وجاء في اختصاص بعض سور القرآن في الشفاعة ما حدث به أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: [**إن سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يغفر له: تبارك الذي بيده الملك**](٢).

وعند الترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: [**يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حله، فيلبس تاج الكرامة ثم يقول: يا رب زده، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه فيقال: اقرأ وارقأ ويزاد بكل آية حسنة**](٣).

---

(١) رواه مسلم (١/ ٥٥٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ـ ك/ الأدب ـ ب/ ثواب القرآن (٢/ ١٢٤٤)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢/ ٣١٦).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل القرآن ـ ب/ ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣/ ١٠).

المبحث الخامس: أسباب الشفاعة.

المطلب الأول: الأسباب الجالبة للشفاعة.

تعددت الأحاديث الواردة في ذكر الأسباب الجالبة للشفاعة غير أن هذه الأسباب لا تنفع وحدها بل لا بد من شروط الشفاعة ومع ذلك فهي أسباب رغب الشارع فيها إذا أراد صاحبها بإخلاصه ومتابعة للنبي ﷺ أو صلته إلى ما يريد من نيل الشفاعة يوم القيامة من النبي ﷺ أو من غيره وذلك إما بمغفرة ذنوبه أو رفع درجاته...الخ.

أولاً: التوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا السبب:

"بل الشفاعة، سببها توحيد الله، وإخلاص الدين والعبادة بجميع أنواعها له. فكل ما كان أعظم إخلاصاً كان أحق بالشفاعة، كما أنه أحق بسائر أنواع الرحمة".

ثم يعقب رحمه الله بعد ذلك مبينا أن الشفاعة من أسباب رحمة الله فيقول: "فإن الشفاعة من الله مبدؤها وعلى الله تمامها، وإنما الشفاعة سبب من الأسباب التي يرحم الله من يرحم من عباده، وأحق الناس برحمته: هم أهل التوحيد والإخلاص لله، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص (لا إله إلا الله) علما وعقيدة وعملا وبراءة، وموالاة ومعاداة: كان أحق

بالرحمة.ا.هـ"[(١)].

جاء في الحديث قول النبي ﷺ لما سئل: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ [**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله من قلبه أو نفسه**][(٢)].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [**لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً**][(٣)].

ثانياً: قراءة القرآن.

تقدم لنا في الشفعاء[(٤)] أن منهم القرآن وذكرنا حديث أبي أمامة عند مسلم وفيه: [**اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه...**][(٥)].

فأصحاب القرآن هم الذين يتلونه حق تلاوته ويتدبرون آياته ويعملون به وفي الحديث: [**اعملوا بالقرآن، أحلوا حلاله، وحرموا حرامه، واقتدوا**

---

(١) انظر: دقائق التفسير (٢/ ٣١٠) بتصرف، ومجموع الفتاوى (١٤/ ٤١٤)، وانظر في أسباب الشفاعة لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢١٥). الشفاعة عند أهل السنة ص(٩١)، الشفاعة وبيان الذين يشفعون ص(١٠٧).

(٢) صحيح البخاري ـ ك/ العلم ـ ب/ الحرص على الحديث (١/ ٣٣).

(٣) سبق تخريجه في المبحث السابق.

(٤) صحيح مسلم ـ ك/ صلاة المسافرين ـ ب/ فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (١/ ٥٥٣).

(٥) سبق تخريجه عند سادساً القرآن في المبحث السابق.

به، ولا تكفروا بشيء منه، وما تشابه عليكم منه فردوه إلى الله وإلى أولى الأمر بعدي كيما يخبروكم، وأمنوا بالتوراة والإنجيل والزبور، وما أوتي النبيون من ربهم، وليسعكم القرآن، وما فيه من البيان، فإنه شافع مشفع...][(١)].

ثالثاً: الصيام.

فإنه من الأسباب الجالبة للشفاعة لا سيما إذا خلص وصام إيماناً واحتساباً فعن عبد الله بن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: **[الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان]**[(٢)].

رابعاً: الدعاء بما ورد عند الأذان.

جاء في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: **[من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة]**[(٣)].

وعند الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ أنه

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه ـ ك/ فضائل القرآن (١/ ٥٦٨)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، يراجع في أسباب الشفاعة كتاب الشفاعة للوادعي ص(٢٠٦).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ٥٤٤) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافق الذهبي.

(٣) صحيح البخاري ـ ك/ الأذان ـ ب/ الدعاء عند الغداء (١/ ١٥٢).

سمع النبي ﷺ يقول: [إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله بها عشر ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة](١).

ومن هذه الأحاديث نعلم أن من ردد مثل ما يقول المؤذن وصلى على النبي ﷺ الصلاة الواردة وسأل له الوسيلة كما هي في حديث البخاري كان ممن فاز بشفاعته ﷺ وقد نبه العلماء على زيادة ضعيفة يذكرها بعض من يروي الحديث وهي [إنك لا تخلف الميعاد] [اللهم أعط سيدنا محمداً] فهذه الزيادتان ضعيفتان كما ذكر العلماء(٢).

خامساً: سكنى المدينة المنورة، والصبر على لأوائها(٣)، والموت بها:

ففي صحيح مسلم عن أبي سعيد مولى المهري أنه جاء أبا سعيد الخدري ليالي الحرة(٤) فاستشاره في الجلاء من المدينة، وشكا إليه أسعارها وكثرة عياله، وأخبره أن لا صبر له على جهد المدينة ولأوائها، فقال له: ويحك! لا آمرك بذلك، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: [لا يصبر أحد على لأوائها فيموت بها إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة، إذا كان

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٢٨٨).
(٢) انظر: كتاب الشفاعة للوادعي ص(٢٣٥-٢٣٦).
(٣) أي الصبر على شدائدها وضيق العيش فيها. شرح النووي لمسلم (٩/ ١٦٠).
(٤) يقصد بها وقعة الحرة التي وقعت زمن يزيد.

مسلماً][(١)].

وعند مسلم أيضاً من حديث ابن عمر[(٢)]:

وعن يحنس مولى الزبير أخبره أنه كان جالساً عند عبد الله بن عمر في الفتنة[(٣)] فأتته مولاة له تسلم عليه فقالت: إني أردت الخروج يا أبا عبد الرحمن اشتد علينا الزمان، فقال لها عبد الله: اقعدي لكاع فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: [**لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة**][(٤)].

سادساً: الصلاة على النبي محمد ﷺ.

ويمكن أ يستدل لهذا السبب بالحديث السابق حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند مسلم وفيه: [**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإن من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا...**][(٥)].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [**من صلى علي حين يصبح عشرا، وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة**][(٦)].

---

(١) صحيح مسلم ـ ك/ الحج ـ ب/ الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها (٢/ ١٠٠٢).

(٢) صحيح مسلم (٢/ ١٠٠٢).

(٣) هي الفتنة التي نهبت فيها المدينة سنة ٦٣هـ. شرح النووي لصحيح مسلم (٩/ ١٥٨).

(٤) صحيح مسلم (٢/ ١٠٠٤).

(٥) صحيح مسلم (١/ ٢٨٨).

(٦) رواه الطبراني في المعجم الكبير وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٢٣٣).

سابعاً: صلاة جماعة من المسلمين على الميت المسلم.

جاء في صحيح مسلم من حديث عائشة ﵂ عن النبي ﷺ أنه قال: [**ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له، إلا شفعوا فيه**](١).

وعن كريب مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس ﵄ أنه مات ابن له بقديد أو بعسفان(٢)، فقال: يا كريب ما اجتمع له من الناس قال: فخرجت، فإذا ناس قد اجتمعوا له، فأخبرته فقال: تقول هم أربعون؟ قال: نعم، قال: اخرجوه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: [**ما من رجل يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه**](٣).

ثامناً: كثرة السجود.

فعن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال: [كنت أبيت مع رسول الله ﷺ، فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: **سل**، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: **أو غير ذلك**؟ قلت: هو ذاك، قال: **فأعني على نفسك بكثرة السجود**](٤).

(١) صحيح مسلم ـ ك/ الجنائز ـ ب/ من صلى عليه مائة شفعوا فيه (٢/ ٦٥٤).
(٢) قديد ـ وعسفان: موضعان قرب مكة المكرمة. انظر: معجم البلدان للحموي (٤/ ١٢١، ٣١٣).
(٣) صحيح مسلم ـ ك/ الجنائز ـ ب/ من صلى عليه أربعون شفعوا فيه (٢/ ٦٥٥).
(٤) صحيح مسلم ـ ك/ الصلاة ـ ب/ فضل السجود والحث عليه (١/ ٣٥٣).

والمراد بالسجود هنا سجود الصلاة وسبب الحث عليه لأن فيه غاية التواضع والعبودية لله تعالى، وفيه تمكين أعز أعضاء الإنسان وأعلاها من التراب فكان جزاء ذلك مثوبة له أن يرفع في أعلى الجنات بشفاعته ﷺ[(١)].

وعند الإمام أحمد في مسنده عن زياد بن أبي زياد مولى بني مخزوم عن خادم للنبي ﷺ رجل أم امرأة قال: [كان النبي ﷺ **مما يقول للخادم: ألك حاجة؟** قال: حتى كان ذات يوم فقال: يا رسول الله حاجتي، قال: **وما حاجتك؟** قال: حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة، قال: **ومن دلك على هذا؟** قال: ربي، قال: **فأعني بكثرة السجود**][(٢)].

وبهذا تعلم الأسباب التي ترجى أن تنال الشفاعة عن طريقها يوم القيامة، نسأل الله الإعانة عليها.

---

(١) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (٤/ ٢٠٦).

(٢) مسند الإمام أحمد (٣/ ٥٠٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٤٩): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

المطلب الثاني: الأسباب المانعة للشفاعة.

عن أم الدرداء عن أبي الدرداء سمعت رسول الله ﷺ يقول: [**إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة**](١).

وقد ذكر الشيخ السفاريني(٢) عدد من الأحاديث فيمن لا تدركهم الشفاعة فقال:

"الثالث: فيمن لا تدركهم الشفاعة ويحرمون شفاعة النبي ﷺ لاتصافهم بالبدع وسوء البضاعة فأخرج أبو نعيم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [**صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي يوم القيامة المرجئة والقدرية**](٣).

وأخرج البيهقي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [**من غش العرب لم يدخل في شفاعتي**](٤).

وأخرج البيهقي والطبراني بسند جيد عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال:

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٠٦).

(٢) لوامع الأنوار (٢/ ٢١٦).

(٣) أخرجه الترمذي في السنة ـ ب/ القدر، وإسناده منقطع كما ذكر ذلك ابن الأثير في جامع الأصول (١٠/ ١٣٠).

(٤) أخرجه الترمذي ـ ك/ المناقب ـ ب/ فضل العرب، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حصين بن عمر الأحمسي عن... وليس حصين عند أهل الحديث بذاك القوي. انظر: جامع الأصول (٩/ ٢٢٤).

قال رسول الله ﷺ: [**رجلان لا تنالهما شفاعتي يوم القيامة إمام غشوم عسوف وآخر غالي الدين مارق منه**](١).

ومما يستدل به على هذا حديث أنس بن مالك ﷺ قال: [**من كذب بالشفاعة فليس له فيها نصيب**](٢).

وقبل أن نختم هذا الفصل أود أن أوضح قضية قد انتشرت في هذا العصر، ألا وهي مسألة: أن زيارة قبر الرسول ﷺ من أسباب الشفاعة.

وهذه المسألة قد تعرض لها العلماء وبينوا فسادها وأن الواجب عند زيارة قبر النبي ﷺ دعاء الله والصلاة على النبي ﷺ وترك ما يفعل من التبرك والاستغاثة بغير الله والاقتصار على الوارد من الصلاة على النبي ﷺ وطلب الوسيلة له ﷺ(٣).

وقد استدل أصحاب هذا القول بأحاديث كثيرة(٤) ليس لها نصيب

---

(١) قال ابن حجر في المطالب العالية (٢/ ٢٣٤)، قال البوصيري: رواه ابن أبي شيبة وأبو يعلى: وسكت.

(٢) أخرجه الإمام الآجري في الشريعة ص(٣٣٧)، قال الحافظ في الفتح (١١/ ٤٢٦): أخرجه سعيد بن منصور بسند صحيح عن أنس فذكره. انظر: الشفاعة للوادعي ص(٢٥٧).

(٣) انظر لمزيد من المعرفة: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ص(١٩٩)، علق عليه السيد الجميلي، ط.الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، دار الكتاب العرب، ولوامع الأنوار (٢/ ٢١٦).

(٤) انظر لمعرفة تخريج الأحاديث والرد عليها:

الرد على الأخنائي لابن تيمية ص(٢٩)، والصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عبد الهادي ص(٢٩)، أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة لأحمد النجمي ص(١٣٣-١٣٩).

من الصحة فمنها على سبيل المثال:

[من زار قبري وجبت له شفاعتي].

[من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتي كان حقا علي أن أكون له شفيعا].

[من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا أو شهيدا].

ونقول: إن زيارة قبر النبي ﷺ من الأمور المشروعة بدون شد رحال، وإن فاعل ذلك لا شك مثاب إذا قصد الحرم المدني ثم زار قبر النبي ﷺ ضمناً، لكن القول إنه من أسباب الشفاعة فهذا ما لم يثبت به الدليل، ولا عبرة إلا بوجود الدليل الصحيح والله تعالى أعلم.

الفصل الثامن

موقف أهل السنة من منكري الشفاعة

إذا تأملنا كتب أهل السنة فنجد أن موقفهم من منكري الشفاعة ـ المعتزلة والخوارج ـ لا يخرج عن الردود التالية:

١ – أن الشفاعة ثابتة بالقرآن والسنة الصحيحة.

٢– الإجماع من السلف على تلقي هذه الأخبار بالقبول، ولم يبد من أحد منهم في عصر من العصور نكير، فظهور الأخبار الواردة فيها، وقبولهم لها دليل قاطع على صحة عقيدة أهل الحق وفساد مذهب المعتزلة والخوارج.

٣– إن أهل العلم قد جمعوا بين الآيات الواردة في نفي الشفاعة وبين الآيات الدالة على إثبات الشفاعة، بأن الآيات الواردة في نفي الشفاعة والشفيع المراد بها الشفاعة للكفار والشفاعة المنفية هي التي تطلب من الأصنام والأموات الذين لا يملكون الشفاعة لأنفسهم ولا لغيرهم ولا يملكون نفعا ولا ضرا.

٤ – إثبات أن أحاديث الآحاد حجة في العقائد والأحكام[١].

أما الأول والثاني فقد تقدم الكلام عليهما في ثبوت الشفاعة في المبحث الأول من الفصل السابق.

أما الثالث: فقد جاء الحديث عنه في الرد على المعتزلة والخوارج في

---

(١) انظر: الشفاعة للوادعي ص(١٢)، وتفسير القرطبي (١/ ٣٧٨)، وشرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ٣٥)، وفتح الباري (١١/ ٤٢٦)، وتفسير ابن جرير الطبري (١/ ٢٧٦).

الفصول السابقة.

ونحن الآن بصدد الحديث عن حجية خبر الآحاد، فنقول وبالله التوفيق.

حجية خبر الواحد:

يقسم علماء الحديث الأخبار الواردة عن النبي ﷺ إلى قسمين:

١- متواتر.

٢- آحاد.

فالمتواتر: هو ما رواه جماعة يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب عن مثلهم، وأسندوه إلى شيء محسوس.

وحكمه: يفيد العلم الضروري اليقيني، فالمتواتر كله مقبول ولا حاجة إلى البحث عن أحوال رواته.

أما حديث الآحاد: فهو ما لم يجمع شروط المتواتر.

وينقسم إلى: مشهور ـ عزيز ـ غريب.

فالمشهور: ما رواه ثلاثة فأكثر ـ في كل طبقة ـ ما لم يبلغ حد التواتر.

العزيز: ما لم يقل رواته عن اثنين في جميع طبقات السند.

الغريب: ما انفرد بروايته راو واحد.

وينقسم حديث الآحاد من حيث القوة والضعف إلى قسمين: مقبول ومردود.

فالمقبول: هو الصحيح والحسن والمردود: هو الضعيف.

ويقصد بخبر الآحاد هنا المقبول منه، دون المردود، فخبر الآحاد المقبول هو ما رواه عدل تام الضبط عن مثله بسند متصل وسلم من الشذوذ والعلة القادحة[(١)].

الخلاف في حجية خبر الآحاد:

هناك من يعارض الآثار الصحيحة وهو يعرفها نتيجة سوء فهم إما لتوهمه أنها تعارض معقولا صريحا وهي ليست كذلك، وإما لتصوره أنها تعارض علما صحيحا وهي ليست كذلك أيضاً، وذلك الصنف يحتاج إلى تنبيه وتوضيح وبيان يرفع التعارض حتى لا يدفعه توهم التعارض إلى القول بأن أحاديث الآحاد ليست حجة بإطلاق أو ليست حجة في أمور الاعتقاد كما زعم فريق من المتكلمين الذين ردوا بعض أحاديث الصفات بالتأويل الذي يخرجها عن معناها، وحين لا يسعفهم التأويل يقولون إنها ليست حجة لأنها أحاديث آحاد.

ولقد شغلت مسألة خبر الآحاد العلماء قديماً وحديثاً من حيث إفادته العلم، وإيجابه العمل، وحجيته في مسائل العقيدة وغير ذلك، حتى

---

(١) انظر: مقدمة ابن الصلاح ص(٧-٨) لابن الصلاح، تحقيق عائشة عبد الرحمن ١٩٧٤م، دار الكتب، وتدريب الراوي (١/ ٦٣) للسيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ١٣٩٩هـ ١٩٥٩م، دار الكتب العلمية، ونخبة الفكر لابن حجر ص(٤-٨)، وعقيدة الإمام ابن عبد البر ص(١١١) سليمان الغصن، دار العاصمة، والأحكام للآمدي (٢/ ١٣-٣١) تحقيق عبد الرزاق عفيفي ١٤٠٢هـ بيروت، دمشق، وتيسير مصطلح الحديث لمحمود الطحان ص(٣٢)، ط.الثامنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، مكتبة المعارف.

أفرده بعض العلماء بمصنفات مستقلة في القديم والحديث[١].

قال الإمام النووي رحمه الله:

"وصنف جماعات من أهل الحديث وغيرهم مصنفات مستكثرات مستقلات في خبر الواحد ووجوب العمل به"[٢].

وقد اختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ في إفادة خبر الواحد للعلم ولكن قبل ذكر الخلاف يحسن بنا التنبيه على أن المقصود بخبر الواحد هنا هو المقبول منه، أما المردود فلا خلاف في أنه لا يوجب علما ولا عملا.

هل خبر الواحد يفيد العلم أم لا؟

المذاهب في هذه المسألة ثلاثة:

الأول: أن خبر الواحد يفيد العلم مطلقا.

الثاني: أن خبر الواحد يفيد الظن مطلقا.

الثالث: أن خبر الواحد يفيد العلم إذا احتفت به قرائن وإليك التفصيل.

---

(١) ممن أفرده بالحديث قديما الخطيب البغدادي، والحافظ ابن عبد البر في الكفاية في علم الرواية ص(٦٦) ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م تحقيق أحمد عمر هاشم، والتمهيد لابن عبد البر (١/ ٢) تحقيق محمد بوخبزة (١٣٨٧-١٤١٠هـ) (١٩٦٧-١٩٩٠م) الدار البيضاء، ومن المعاصرين المحدث الألباني في رسالة: حديث الآحاد حجة بنفسه في العقائد والأحكام، الشيخ ابن جبرين في كتابه: أخبار الآحاد في الحديث النبوي ص(٨٣)، ط.الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م، دار طيبة، والشيخ عمر الأشقر في رسالة في أصل الاعتقاد ص(٤٥)، دار السلفية.

(٢) شرح صحيح مسلم (١/ ٦٢).

المذهب الأول:

أنه يفيد العلم مطلقا، سواء احتفت به قرائن أم لا.

وهذا القول هو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد[١] وبعضهم ينسبه إليه دون ذكر الرواية الأخرى عنه، وقد حكى هذا القول ابن خواز منداد[٢] عن مالك بن أنس[٣] واختاره، وهو قول ابن حزم والحسين بن علي الكرابيسي[٤] والحارث المحاسبي[٥] وحكاه الآمدي ونسبه إلى بعض أهل الظاهر[٦].

وقد عاب الإمام أحمد ﷺ على من يقول أن خبر الواحد يفيد العمل دون العلم. فقد قال أبو بكر المروزي[٧]: قلت لأبي عبد الله: هاهنا إنسان

---

(١) أحمد بن حنبل شيخ الإسلام صدقاً أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي ثم البغدادي، ولد سنة ١٦٤هـ وهو صاحب المسند مناقبه، ومن أكبرها ثباته يوم المحنة. انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٧).

(٢) هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن خواز منداد أبو بكر مالكي المذهب سمع الحديث، وتفقه وله اختيارات تخالف مذهبه، وكان يجانب الكلام جملة. انظر: ترتيب المدارك (٧/ ٧٧).

(٣) مالك بن أنس إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني، ولد سنة ٩٣هـ صاحب أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر، توفي سنة ١٧٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٨).

(٤) الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي البغدادي العلامة، فقيه بغداد، صاحب التصانيف، كان من بحور العلم، من أصحاب الشافعي، توفي سنة ٢٤٥هـ. انظر: طبقات الشافعية (٢/ ١١٧-١٢٦).

(٥) انظر: الأحكام للآمدي (٢/ ١٣٤-١٣٦)، مختصر الصواعق (٢/ ٤٧٤).

(٦) الأحكام (١/ ٢٣٤).

(٧) أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروذي، صاحب الإمام أحمد، وكان أجل أصحابه ولازميه، كان ذا ورع وإمام في السنة شديد الاتباع، توفي سنة ٢٧٥هـ. انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٥٦-٦٣).

يقول: إن الخبر يوجب عملاً، ولا يوجب علماً. فعابه وقال: ما أدري ما هذا؟[١].

التعقيب على هذا المذهب:

لا يتصور أن عاقلاً يصدق كل ما سمعه من خبر، مع ما عهد في الناس من الكذب، واختلاف الأخبار، قال ابن تيمية رحمه الله: "فإن أحداً من العقلاء لم يقل: إن خبر كل واحد يفيد العلم، وبحث كثير من الناس إنما هو في رد هذا القول"[٢].

أما أهل الظاهر فقد صرح إمامهم أبو محمد بن حزم رحمه الله بأن خبر العدل عن مثله مبلغا إلى رسول الله ﷺ حق مقطوع به، موجب للعمل والعلم معاً[٣].

أما الرواية التي ذكرت عن الإمام أحمد بن حنبل فشهرة كلامه في الجرح والتعديل ورد أخبار الضعفاء، تفوق الحصر.

يقول ابن القيم رحمه الله:

"فهذا الذي ذكره الآمدي وغيره من المتكلمين والأصوليين تشغيب وتهويل في المسألة، بل خبر الواحد بحسب الدليل الدال عليه فتارة يجزم

(١) المسوَّدة في أصول الفقه لآل تيمية مجد الدين أبو البركات لشهاب الدين أبو المحاسن تقي الدين أبو العباس ص(٢٤٢) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني – القاهرة.

(٢) المسودة ص(٢٤٤).

(٣) الأحكام (١/ ١٢١، ١٢٦).

بكذبه، وتارة يظن كذبه وتارة يتوقف، فلا يترجح صدقه ولا كذبه إذا لم يقم دليل أحدهما، وتارة يترجح صدقه من غير جزم، وتارة يجزم بصدقه جزما لا يبقى معه شك، وكل ذلك متابعة للدليل، فليس خبر كل واحد يفيد العلم، كما لا يجوز أن ينفي عنه العلم مطلقاً"[(١)].

المذهب الثاني:

أن خبر الواحد يفيد الظن سواء احتفت به القرائن أم لا.

وبهذا قال ابن عقيل[(٢)]، وابن الجوزي، والقاضي أبو بكر الباقلاني، وأبو حامد[(٣)]، وابن برهان[(٤)]، والفخر الرازي[(٥)].

وهو مذهب بعض المتكلمين والأصوليين كالجويني، والغزالي، والبغدادي[(٦)].

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٤٧٣)، دار الندوة الجديدة.

(٢) علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي، أبو الوفاء الحنبلي، مقرئ فقيه أصولي واعظ متكلم، كان فطناً لبقا. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٤٣-٤٥١).

(٣) أحمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الإسفرائيني، الفقيه الشافعي، كان عظيم الجاه مع الدين الوافر والورع والزهد، توفي سنة ٤٠٦هـ. انظر: طبقات الشافعية (٤/ ٦١-٦٥).

(٤) أحمد بن علي بن محمد بن برهان ـ بفتح الباء الموحدة ـ كان متبحراً في الأصول والفروع حاذق الذهن لا يكاد يسمع شيئاً إلا حفظه، توفي سنة ٥٢٠هـ. انظر: طبقات الشافعية (٦/ ٣٠).

(٥) الأحكام للآمدي (٢/ ٣٢).

(٦) انظر لمزيد من البسط عن هذا المذهب: منهج أهل السنة في الاستدلال في العقيدة ص(١٢١).

المذهب الثالث:

أنه يفيد العلم إذا احتفت به قرينة أو أكثر ترفعه إلى مرتبة العلم.

وبهذا قال موفق الدين بن قدامة[١]، وابن حمدان[٢]، وابن الزاغوني[٣] من الحنابلة وهو اختيار الآمدي والغزالي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن حجر وغيرهم[٤].

والقرينة قد تتعلق بالخبر، وقد تتعلق بالمخبر، وقد تتعلق بهما معا: ويدخل في ذلك الخبر المستفيض الذي رواه في أصله واحد، ثم استفاض واشتهر، والخبر المتلقى بالقبول من الأمة، أو من علماء الشأن، ومنه ما رواه الشيخان، أو أحدهما، ومنه ما كان مسلسلاً بالأئمة الحفاظ كمالك عن نافع عن ابن عمر[٥].

---

(١) ابن قدامة المقدسي: الشيخ الإمام العلاّمة القدوة موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن قدام المقدسي، ولد سنة ٥٤١هـ صاحب: المغني والكافي والمقنع وغيره كثير . انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٦٥).

(٢) أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان الحراني، أبو عبد الله، فقيه حنبلي أصولي قرأ على الشيوخ وبرع في الفقه، وانتهت إليه معرفة المذهب، توفي سنة ٦٩٥هـ. انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٣٣١)، الأعلام (١/ ١١٦).

(٣) أبو الحسن بن الزاغوني الإمام العلامة علي بن عبيد الله ابن نصر بن الزاغوني البغدادي، ولد سنة ٤٥٥هـ كثير التصانيف والتقوى والعبادة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٦٠٥).

(٤) انظر: الأحكام للآمدي (٢/ ٣٢)، ومجموع الفتاوى (١٨/ ٤١)، ونخبة الفكر لابن حجر ص(٩).

(٥) انظر: تدريب الراوي (١/ ٧٥).

فهذا الخبر ونحوه يفيد العلم عند جمهور المحدثين والأصوليين وأكثر المتكلمين وعامة السلف، وفقهاء الأمة[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "وأما القسم الثاني من الأخبار فهو ما يرويه إلا الواحد العدل ونحوه، ولم يتواتر لفظه ولا معناه، ولكن تلقته الأمة بالقبول عملا به، أو تصديقا له... فهذا يفيد العلم اليقيني، عند جماهير أمة محمد ﷺ من الأولين والآخرين، أما السلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع، وأما الخلف فهذا مذهب الفقهاء الكبار من أصحاب الأئمة الأربعة، والمسألة منقولة في كتب الحنفية والمالكية، والشافعية والحنبلية..."[٢].

وحكى ابن القيم عن الإمام الشافعي قوله: "...وما رواه عن النبي ﷺ واحد عن واحد... فإنما علمنا أن النبي ﷺ قاله بصدق المحدث عندنا..."[٣].

والذي يظهر في هذه المسألة والله أعلم أن أوسط الأقوال قول من قال: إن خبر الواحد يفيد العلم إذا كان ثم قرينة أو أكثر ترفعه إلى مرتبة العلم.

قال شيخ الإسلام ﷺ:

"وخبر الواحد المتلقي بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء، ومن

---

(١) انظر: رفع الملام عن الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام ابن تيمية ص(٦٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/ ٤١).

(٣) مختصر الصواعق (٢/ ٤٧٦).

أصحاب أبي حنيفة، ومالك، والشافعي وأحمد وهو قول أكثر أصحاب الأشعري كالأسفرائيني وابن فورك[(١)]"[(٢)].

وقال رحمه الله:

"والصحيح ما عليه الأكثرون: أن العلم يحصل بكثرة المخبرين تارة، وقد يحصل بصفاتهم لدينهم وضبطهم، وقد يحصل بقرائن تختص بالخبر يحصل العلم بمجموع ذلك وقد يحصل العلم بطائفة دون طائفة.

وأيضاً فالخبر الذي تلقاه الأئمة بالقبول تصديقاً له، وعملاً بموجبه يفيد العلم عند جماهير الخلف والسلف"[(٣)].

الأدلة على صحة هذا المذهب:

وهي كثيرة بحمد الله ولكن هذا المقام يضيق عن حصرها وأذكر منها نماذج:

١- إن التفريق بين التواتر والآحاد في إفادة العلم، اصطلاح حادث لم يدل عليه الكتاب والسنة، ولم يعرفه الصحابة ولا التابعون، فالرسول ﷺ صدقه المؤمنون فيما أخبر به دون حاجة إلى تواتر المخبرين[(٤)].

---

(١) ابن فورك: الأستاذ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك ـ بضم الفاء وفتح الراء ـ فقيه شافعي برع في الأصول والكلام والنحو، وكان واعظاً زاهداً أشعري المعتقد، من كتبة الكثيرة: تبين كذب المفتري. توفي سنة ٤٠٦هـ. انظر: طبقات الشافعية (٤/ ١٢٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/ ٤١).

(٣) المرجع السابق (١٨/ ٤٨).

(٤) الرسالة للشافعي ص(٤٣٦).

وكذلك كان الرسول ﷺ يصدق أصحابه فيما يخبرونه به، وكذا الصحابة يصدق بعضهم بعضاً فيما يخبره عن رسول الله ﷺ، ولم يقل واحد منهم لمن حدثه، خبرك خبر واحد، لا يفيد العلم حتى يتواتر، وتوقف من توقف منهم حتى عاضده آخر[١] لا يدل على رد خبر الواحد، وإنما كانوا يتثبتون أحيانا نادرة جدا. وكذا التابعون يلتقون بالصحابة، زرافات ووحدانا ـ كيفما اتفق ـ ويأخذون عنهم العلم، ويصدقونهم فيه دون طلب حصول التواتر، وهكذا جلس كل عالم أو إمام يعلم طلبته العلم، وهم يصدقونه في ذلك، وهو فرد واحد بل القول بعدم إفادة خبر الواحد العلم، يعطل الدين والدنيا معا، وهو خرق صريح لإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل الدين[٢].

٢- إن الرسول ﷺ كان يبعث الآحاد من[٣] أصحابه إلى الملوك والولاة، ليبلغوا عنه رسالة ربه، فلو كان خبرهم لا يفيد العلم، لما أرسلهم فإن ذلك عبث يتنزه عنه صاحب الرسالة.

٣- إن المسلمين لما أخبرهم الواحد منهم بقباء في صلاة الصبح أن القبلة قد حولت إلى الكعبة، قبلوا خبره وتركوا الجهة التي كانوا عليها،

---

(١) مثاله: قصة ذي اليدين في البخاري (كتاب الصلاة ـ باب تشبيك الأصابع في المسجد) قصة أبي بكر في توقفه في خبر المغيرة في ميراث الجدة تابعه محمد بن مسلمة ورد عمر خبر أبي موسى في الاستئذان حتى انضم إليه أبو سعيد. انظر: مختصر الصواعق (٢/ ٤٧٤).

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٤٧٣، ٤٧٤).

(٣) انظر: حديث بعث معاذ في البخاري في الزكاة رقم ١٣٩٥.

وهي مقطوع بها، واستداروا إلى القبلة استجابة لأمر الله ورسوله، المبلغ إليهم عن طريق الواحد، ولم ينكر عليهم الرسول ﷺ، بل شكرهم عليه[1].

٤- إن الله تعالى قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات:٦] وفي القراءة الأخرى (فتثبتوا) وهذا يدل على الجزم بقبول خبر الواحد أنه لا يحتاج إلى التثبت، ولو كان خبر الواحد أنه لا يحتاج إلى التثبت، لكان خبره لا يفيد العلم لأمره بالتثبت حتى يحصل العلم ومما يدل أيضاً أن السلف الصالح وأئمة الإسلام لم يزالوا يقولون: قال رسول الله ﷺ كذا وفعل كذا، وأمر بكذا ونهى عن كذا وهذا معلوم في كلامهم بالضرورة.

وفي صحيح البخاري قال رسول الله ﷺ في عدة مواضع وكثير من أحاديث الصحابة يقول فيها أحدهم قال رسول الله ﷺ وإنما سمعه من صحابي غيره وهذه شهادة من القائل وجزم على رسول الله ﷺ بما نسبه إليه من قول أو فعل، فلو كان خبر الواحد لا يفيد العلم لكان شاهدا على رسول الله ﷺ بغير علم.

٥- قوله: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾[الإسراء:٣٦] أي لا تتبعه ولا تعمل به، ولم يزل المسلمون من عهد الصحابة يقفون أخبار الآحاد ويعملون بها ويثبتون لله تعالى بها الصفات، فلو كانت لا تفيد علما لكان الصحابة

---

(١) الرسالة للشافعي ص(٤٠٦)، المسودة ٢٤٧.

الحديث في صحيح البخاري (٨/ ١٧٤) (كتاب التفسير ـ باب ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب).

والتابعون وتابعوهم وأئمة الإسلام كلهم قد قفوا ما ليس به علم.

٦- قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل:٤٣] فأمر من لم يعلم أن يسأل أهل الذكر، وهم أولوا الكتاب والعلم، ولولا أن أخبارهم تفيد العلم لم يأمر بسؤال من لا يفيد خبره علما، وهو سبحانه لم يقل سلوا عدد التواتر بل أمر بسؤال أهل الذكر مطلقا فلو كان واحد لكان سؤاله وجوابه كافياً.

٧- ما احتج به الشافعي نفسه فقال: أخبرنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن أبيه عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: **[نضر الله عبداً سمع مقالتي وحفظها ووعاها وأداها، فرب حامل فقه إلى غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله والنصيحة للمسلمين ولزوم جماعتهم]** (١).

قال الشافعي رحمه الله: "فلما ندب رسول الله ﷺ إلى استماع مقالته وحفظها وأداها أمر أن يؤديها ولو واحد دل على أنه لا يأمر من يؤدي عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه، لأنه إنما يؤدي عنه حلال يؤتى وحرام يتجنب وحد يقام، ومال يؤخذ ويعطى...ا.هـ" (٢).

والمقصود أن خبر الواحد العدل لو لم يفد علما لأمر رسول الله ﷺ أن لا يقبل من أدى إليه إلا من عدد التواتر الذي لا يحصل العلم إلا

---

(١) البخاري في صحيحه (٣/ ٤٥٩)، شرح السنة للبغوي (١/ ٢٣٦).

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٤٩٧-٥٠١).

بخبرهم، ولم يدع للخبر المؤدى وإن كان واحداً، لأن ما حمله لا يفيد العلم، فلم يفعل ما يستحق الدعاء وحده إلا بانضمامه إلى أهل التواتر وهذا خلاف ما اقتضاه الحديث، ومعلوم أن رسول الله ﷺ إنما ندب إلى ذلك وحث عليه وأمر به لتقوم الحجة على من أدى إليه، فلو لم يفد العلم لم يكن فيه حجة[1].

٨- أن الرسل صلوات الله عليهم كانوا يقبلون خبر الواحد يقطعون بمضمونه فقبله موسى من الذي جاء من أقصى المدينة ـ وقبل خبر بنت مدين لما قالت: إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا وقبل خبر أبيها في قوله: هذه ابنتي وتزوجها بخبره.

وقبل يوسف الصديق خبر الذي جاء من عند الملك وقال: ارجع إلى ربك فاسأل ما بال النسوة.

وقبل النبي ﷺ خبر الآحاد الذين كانوا يخبرونه بنقض عهد المعاهدين له وغزاهم بخبرهم.

والرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يرتبوا على تلك الأخبار وأحكامها وهم يجوزون أن تكون كذباً وغلطاً، وكذلك الأمة لم تثبت الشرائع العامة الكلية بأخبار الآحاد، وهم يجوزون أن يكون كذبا على رسول الله ﷺ في نفس الأمر ولم يخبروا عن الرب تبارك وتعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله بما لا علم لهم به بل يجوز أن يكون كذباً وخطأً في نفس

---

(١) أصل الاعتقاد ص(٥٧) عمر الأشقر.

الأمر، هذا مما يقطع ببطلانه كل عالم مستبصر.ا.هـ[١].

حكم العمل بخبر الواحد:

أجمع الصحابة ﷺ على العمل بخبر الواحد، وهو مذهب كافة التابعين، وجماهير السلف والخلف.

ولم يخالف في هذه إلا بعض المعتزلة والرافضة ومن تبعهم من الظاهرية وغيرهم[٢].

قال الخطيب البغدادي[٣] رحمه الله:

"وعلى العمل بخبر الواحد كان كافة التابعين ومن بعدهم من الفقهاء في سائر أنصار المسلمين إلى وقتنا هذا، ولم يبلغنا عن أحد منهم إنكار ذلك، ولا اعتراض عليه"[٤].

وقرر ذلك أيضاً ابن عبد البر[٥] رحمه الله وذكر إجماع العلماء على ذلك

---

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٤٩٦-٥٠٤).

(٢) انظر: الأحكام للآمدي (٢/ ٦٤).

(٣) العلامة المفتي، الحافظ الناقد محدث الوقت أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد مهدي البغدادي صاحب التصانيف وخاتمه الحفاظ، ولد سنة ٣٩٢هـ وتوفي سنة ٤٦٣هـ بعد أن تصدق بماله ووقف جميع كتبه. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٧٠).

(٤) الكفاية ص(٧٢).

(٥) حافظ المغرب أبو عمر بن يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النميري المالكي صاحب التصانيف الفائقة، ولد سنة ٣٦٨هـ وتوفي سنة ٤٦٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٥٣).

فقال:

"وأجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار فيما علمت على قبول خبر الواحد العدل، وإيجاب العمل به إذا ثبت ولم ينسخ غيره من أثر أو إجماع على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلى يومنا هذا إلى الخوارج وطوائف من أهل البدع وشرذمة لا تعد خلافاً"[١].

فعند المعتزلة لا يقبل الخبر الواحد في الاعتقادات إلا إذا جاء موافقاً للعقل فيستدل به تعضيداً لا احتجاجاً، وإلا ردوا الحكم ببطلانه، إلا إذا احتمل التأويل من غير تعسف[٢].

يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي:

"وأما ما لا يعلم كونه صدقاً ولا كذباً، فهو كأخبار الآحاد، وما هذه سبيله يجوز العمل به إذا ورد بشرائطه، فأما قبوله فيما طريقه الاعتقادات فلا"[٣] بناء على هذه القاعدة التي سار عليها القاضي عبد الجبار رد كثيراً من الأحاديث الصحيحة، بل المتواترة أحياناً، بعد أن زعم أنها آحاد ويقرر أن خبر الواحد مما لا يقتضي العلم وأن مسائل الاعتقاد طريقها القطع والإثبات فرد كثيراً من مسائل العقيدة كالرؤية والشفاعة وغيرها"[٤].

---

(١) التمهيد (١/ ٢).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص(٧٦٨).

(٣) شرح الأصول الخمسة ص(٢٦٩).

(٤) انظر: المرجع السابق ص(٦٧٢-٦٩٠).

وقد أنكر المعتزلة حجية خبر الواحد واشترطوا التعدد فأبو الحسين الخياط[١] أنكر حجية أخبار الآحاد.

وأبو علي الجبائي لا يقبل الخبر إذا رواه العدل الواحد إلا:

١- إذا عضده ظاهر خبر آخر أو موافقة ظاهر الكتاب.

٢- إذا نسب إليه خبر عدل آخر.

٣- أو عمل به بعض الصحابة.

بل نسب بعضهم إلى الجبائي أنه لا يقبل الخبر إلا إذا رواه أربعة[٢]

وقد وافق المعتزلة ـ على هذا الأصل ـ كثير من متكلمي الأشاعرة فهذا أبي المعالي الجويني في الإرشاد[٣] يذكر أن تصديق الدليل السمعي متوقف على موافقة قضية العقل... ويقول في شأن أخبار الآحاد: "وقد قدمنا أن أخبار الآحاد لا يجب انقضاؤها في القطعيات"[٤].

ويقول الفخر الرازي: "أما المتمسك بخبر الواحد في معرفة الله (تعالى) فغير جائز"[٥].

---

(١) شيخ المعتزلة البغداديين له تصانيف المهذبة، وهو أبو الحسين، عبد الرحيم بن محمد بن عثمان، له جلاله عجيبة عند المعتزلة، صنف كتاب: الاستدلال، ونقض كتاب ابن الراوندي في فضائح المعتزلة... وغير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٢٠).

(٢) موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن الانحراف عنها لأبي لبابة حسين ص(٩٢-٩٣)، منشورات دار اللواء للنشر والتوزيع –الرياض.

(٣) الإرشاد ص(٣٥٩).

(٤) الشامل في أصول الدين ص(٥٥٧).

(٥) أساس التقديس لمحمد بن عمر الرازي ص(٢٠٤)، ١٣٢٨هـ مطبعة كردستان العلمية –مصر.

أما ابن الجوزي فيقول:

"ينبغي أن يعرف القاصي والداني أن خبر الآحاد مقبول عندنا معمول به في جميع الأبواب إلا باب أصول العقائد لأن المطلوب في هذا الباب عقد القلب على الثابت الذي لا يطرأ عليه خطأ ولا وهم"[1].

حجج من رد أحاديث الآحاد:

أولاً: الشبه العقلية.

الشبهة الأولى:

أن حديث الآحاد لا يفيد إلا الظن، والظن الراجح يعمل به في الأحكام اتفاقاً ولا يجوز الأخذ به في الأخبار الغيبية والمسائل العلمية وهي المرادة في العقيدة.

الرد على هذه الشبهة:

أنه لو سلم لهم قولهم أن حديث الآحاد لا يفيد إلا الظن، فإنهم يسألون: من أين لكم هذا التفريق؟ وما الدليل على أنه لا يجوز الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة؟

فمن هؤلاء من يستدل بقوله تعالى في المشركين: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾[النجم:٢٣] وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾[النجم:٢٨].

---

(١) دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ص(٢٨)، تحقيق حسن السقاط، ط.الثالثة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، دار الإمام النووي.

لكن المراد بالظن في هذه الآية هو الشك والخرص، فهذا هو الظن الذي اتبعه المشركون كما قال تعالى: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ [الأنعام:١١٦]، [يونس:٦٦]، [الزخرف:٢٠].

ولو كان الظن هو الظن الغالب الذي زعم أولئك المستدلون لم يجز الأخذ به في الأحكام أيضاً، وذلك لسببين:

الأول: أن الله أنكره عليهم إنكاراً مطلقاً ولم يخصه بالعقيدة دون الأحكام.

الثاني: أنه تعالى ذكر في بعض الآيات أن الظن الذي أنكره على المشركين يشمل القول به في الأحكام أيضاً كما قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾[الأنعام:١٤٨] ـ فهذه العقيدة ـ ﴿ وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖ ﴾ [الأنعام:١٤٨] ـ وهذا الحكم ـ ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴾[الأنعام:١٤٨].

ويفسرها قوله تعالى: قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[الأعراف:٣٣].

فثبت مما تقدم أن الذي لا يجوز الأخذ به هو الخرص والتخمين والقول بغير علم إنه يحرم الحكم به في الأحكام كما يحرم الأخذ به في

العقائد ولا فرق[١].

وإذا كان الأمر كذلك فإن كل الآيات والأحاديث الدالة على وجوب الأخذ بحديث الآحاد في الأحكام تدل أيضاً على وجوب الأخذ به في العقائد أيضاً والحق أن التفريق بين العقيدة والأحكام في وجوب الأخذ فيها بحديث الآحاد فلسفة دخلية على الإسلام[٢].

الشبهة الثانية:

أن خبر الواحد يجوز عليه الكذب ويمكن فيه السهو وإن لم يتعمد الكذب، وما دام الأمر كذلك فالواجب عدم القطع بصدق المخبر ولا

---

(١) ولنا هنا وقفة:

فالعلم: هو الاعتقاد والجازم المطابق للواقع. انظر: التعريفات ص(١٩٩).

والشك: ضد اليقين وهو التردد والارتياب في الأمور وعدم الثبات على رأي. انظر: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (١/ ٣٠٤).

الظن: أحد طرفي الشك بمعنيين شك ويقين. انظر: المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن ص(٢٦٤).

ويوضح كلام ابن قتيبة ما كتبه مجمع اللغة العربي ص(١٧٠) حيث يقول:

الظن: ما يحصل عن أمارة فهو بهذا الشك إلا أنه قد يلحقه تدبير فيصير ضرباً من اليقين ولكنه دون يقين المعاينة فهو إذا ارتقى بالتدبير كان يقيناً لكنه ليس علم بل هو غلبة ظن.

ويلاحظ في استعمال القرآن للظن على أنه ضرب من يقين إن تستعمل بعده (أن) هذا إذا قويت الأمارة أما إذا ضعفت الأمارة جداً، فيكون الظن توهما وفي هذا يذم الظن.

الوهم: هو إدراك المعنى الجزئي المتعلق بالمحسوس، التعريفات ص(٣٢٩).

(٢) انظر: حديث الآحاد حجة بنفسه في العقائد والأحكام للألباني ص(٤٧-٤٨)، المكتب الإسلامي.

كذبه، بل يبقى خبره مظنوناً.

الرد على الشبهة الثانية:

أنه لم يقل أحد باستحالة الخطأ على جميع النقلة، ولا بتهمتهم من تعمد الكذب وفي المقابل لم يمنع من الجزم بصدق البعض إذا وجدت أمارات تدل على ذلك[١]، ويلزم من قولهم هذا أنه لا سبيل إلى تمييز الحق فيها من الباطل لأحد أبداً.

وهذا تكذيب لله تعالى في إخباره بحفظ الذكر المنزل، وبإكماله الدين لنا.

وفيه فساد الدين، واختلاطه بما لم يأمر الله تعالى به قط، وأنه لا سبيل لأحد في العالم إلى أن يعرف ما أمر الله تعالى به في دينه مما لم يأمر الله تعالى به قط، وأنه لا سبيل لأحد في العالم إلى أن يعرف ما أمر الله تعالى به في دينه مما لم يأمره به أبداً[٢].

الشبهة الثالثة:

قالوا: لو علم الله صدق خبر الواحد لم يخلنا من دليل على ذلك[٣]، وأننا لا نجد في أنفسنا من خبر الواحد ـ وإن بلغ الغاية في العدالة ـ سوى ترجيح صدقه على كذبه من غير قطع وذلك غير موجب للعلم.

---

(١) الأحكام لابن حزم (١/ ١١٩).

(٢) المرجع السابق (١/ ١٣٥).

(٣) النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (١/ ٣٧٦).

الرد على الشبهة الثالثة:

الرد عن ذلك بقلب الدليل وذلك بأن يقال:

لو علم الله أنها كذب مع عمل الأمة بها لأقام برهاناً واضحاً على عدم صحتها.

فدل على أنها صحيحة ثابتة، ومن أوضح الأدلة على صدقها إجماع الأمة في الجملة على العمل بها.

وأما قولهم: إننا لا نجد في أنفسنا من خبر الواحد سوى ترجيح صدقه على كذبه، فيجاب عليه أيضاً بقلب الدليل عليهم بأن يقال لهم: ونحن نجد في أنفسنا العلم بذلك[١].

ثانياً: أدلتهم النقلية.

١ - قصة ذي اليدين، فقد أخرج البخاري، عن أبي هريرة ﷺ قال: [**صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي** قال ابن سيرين: سماها أبو هريرة، ولكن نسيت أنا، قال: **فصلى بنا ركعتين ثم سلم، فقام إلى خشبة معروضة في المسجد فاتكأ عليها كأنه غضبان، ووضع يده اليمنى على اليسرى... وفي القوم رجل وفي يديه طول، يقال له ذو اليدين، قال: يا رسول الله أنسيت أم قصرت**

---

(١) الأحكام للآمدي (٢/ ٣٣).

ولمزيد من معرفة شبههم انظر: أخبار الآحاد في الحديث النبوي للشيخ ابن جبرين ص(١٢)، وحجية الآحاد في العقيدة ورد شبهات المخالفين لمحمد بن عبد الله الوهيبي ص(٢٧) وما بعدها، ط.الأولى ١٤١٥هـ، دار المسلم.

الصلاة؟ قال: لم أنس ولم تقصر، فقال: أكما يقول ذو اليدين؟ فقالوا: نعم فتقدم فصلى...][(١)] الحديث.

قالوا: بأن الرسول ﷺ توقف في خبره حتى تابعه عليه غيره.

الرد على ذلك:

أن انفراد ذي اليدين بمراجعة الرسول ﷺ دون المصلين جميعاً على كثرتهم وأهميتهم وأهمية ما حدث مما يدعو الرسول إلى استبعاد حفظ ذو اليدين وتجويز الخطأ عليه[(٢)].

وإلا فالرسول ﷺ قد بعث رسله واحداً واحداً إلى الملوك، ووفد عليه الآحاد من القبائل فأرسلهم إلى قبائلهم، وكانت الحجة قائمة بأخبارهم عنه مع عدم اشتراط التعدد.

٢- قصة أبي بكر حين توقف في خبر المغيرة في ميراث الجدة حتى تابعه محمد بن مسلمة، ورد عمر خبر أبي موسى في الاستئذان حتى انضم إليه أبو سعيد، ورد أبو بكر وعمر خبر عثمان في إذن رسول الله ﷺ في رد الحكم بن أبي العاص ورد علي خبر أبي سنان الأشجعي في المفوضة، وكان علي لا يقبل خبر أحد يحلفه سوى أبي بكر، وردت عائشة خبر ابن عمر في تعذيب الميت ببكاء أهله[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة - باب تشبيك الأصابع في المسجد).

(٢) تدريب الراوي (١/ ٧٣).

(٣) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٤٧٤).

=

الرد على ما تقدم:

أن الثابت الذي لا شك فيه أن الصحابة عملوا بخبر الآحاد، وتواتر عنهم ذلك، فإذا روي عنهم التوقف في بعض خبر الآحاد، لم يكن ذلك دليلاً على عدم عملهم به، بل لريبة أو وهم أو رغبة في التثبت.

فمثلاً ما استدل به المخالفون من رد أبي بكر خبر المغيرة في ميراث الجدة، فأبو بكر ﷺ لم يرد خبر المغيرة لأنه لا يقبل خبر الآحاد، بل توقف إلى أن يأتي ما يؤيده ويزيده اعتقاداً بوجود هذا التشريع في الإسلام وهو إعطاء الجدة السدس ولما كان هذا تشريعاً لم ينص عليه القرآن كان لا بد للعمل به وإقراره من زيادة في التثبت والاحتياط، فلما شهد محمد بن مسلمة أنه سمع هذا من النبي ﷺ، لم يتردد أبو بكر في العمل بخبر المغيرة ومثل ذلك في رد عمر ﷺ خبر أبي موسى، فهو في الحقيقة درس بليغ للصحابة ومن بعدهم ممن نشأ حديثا في الإسلام، أو دخل فيه بوجوب الاحتياط في حديث رسول الله ﷺ، ولذلك قال عمر لأبي موسى:

[أما إني لم أتهمك ولكنه الحديث عن رسول الله ﷺ].

ومثل ذلك يقال في كل ما ورد من هذا القبيل، ليس وارداً مورد عدم الاحتجاج بخبر الآحاد، وإلا لما كان انضمام صحابي آخر إلى الصحابي الأول موجباً للعمل به إذ هو لم يخرج عن حيز الآحاد، ولو انضم إليه اثنان

=

خبر أبي موسى رواه البخاري (٢٠٦٢) في البيوع، وخبر المغيرة في ميراث الجدة رواه مالك في الموطأ (٢/ ٥١٣) وأبو داود (٢٨٩٤) والترمذي في الفرائض رقم ٢١٠١.

أو ثلاثة[١].

ومما يزيد ذلك بياناً أن الصحابة كان يسأل بعضهم بعضاً، ويرد بعضهم على بعض ويخطئ بعضهم بعض، اجتهاداً في دين الله وتحرياً لنقل أحاديث النبي ﷺ خالية من كل غلط أو وهم: "وما ردوه من الأخبار أو توقفوا فيه إنما كان لأمور اقتضت ذلك من وجود معارض أو فوات شرط لا لعدم الاحتجاج بها في جنسها مع كونهم متفقين على العمل بها، ولهذا أجمعنا على أن ظواهر الكتاب والسنة حجة وإن جاز تركها والتوقف فيها لأمور خارجة عنها"[٢].

وأختم الحديث عن خبر الواحد بطريقة أهل السنة والجماعة في الأخذ بحديث الآحاد.

أخذ أهل السنة بأحاديث الآحاد في العقائد:

يرى أهل السنة الأخذ بكل حديث صح عن النبي ﷺ في العقائد واعتقاد موجبه، سواء كان متواتراً أم آحاداً، إذ أن كل ما صح عن النبي ﷺ وجب القطع به واعتقاده والعمل به، سواء أوصل إلى درجة التواتر أم لم يصل، وسواء أكان ذلك في الاعتقادات أم الأعمال والأحكام الفقهية.

يقول الإمام ابن عبد البر رحمه الله:

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للسباعي ص(١٧٠-١٧١)، المكتب الإسلامي.
(٢) الأحكام للآمدي (٢/ ٧٥).

"ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله، أو صح عن رسول الله ﷺ، أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه"(١).

يقول الأسفرائيني:

"ويعمل بآحاد الأحاديث في أصول الديانات، وحكى ابن عبد البر ذلك إجماعاً"(٢).

وهذه الأخبار لو لم تفد اليقين فإن الظن الغالب يستفاد بها كما يقول ابن القيم:

"إن هذه الأخبار لو لم تفد اليقين، فإن الظن الغالب حاصل منها، ولا يمتنع إثبات الأسماء والصفات بها كما لا يمتنع إثبات الأحكام الطلبية بها.

ولم تزل الصحابة والتابعون وتابعوهم وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبار في مسائل الصفات والقدر والأسماء والأحكام ولم ينقل عن أحد منهم البتة أنه جوز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الإخبار عن الله وأسمائه وصفاته"(٣).

يقول ابن تيمية رحمه الله:

"وأئمة أهل السنة والحديث من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/ ٩٦)، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) لوامع الأنوار البهية (١/ ١٩).

(٣) مختصر الصواعق (٢/ ٤١٢).

يثبتون الصفات الخبرية، لكن منهم من يقول: لا نثبت إلا ما في القرآن والسنة المتواترة، وما لم يقم دليل قاطع على إثباته نفيناه كما يقول ابن عقيل[(١)] وغيره أحياناً.

ومنهم من يقول: بل نثبتها بأخبار الآحاد المتلقاة بالقبول، ومنهم من يقول: نثبتها بالأخبار الصحيحة مطلقاً.

ومنهم من يقول: يعطى كل دليل حقه، فما كان قاطعاً في الإثبات قطعنا بموجبه وما كان راجحاً ـ لا قاطعاً ـ قلنا بموجبه، لا نقطع في النفي والإثبات إلا بدليل يوجب القطع.

وما قام دليل يرجح أحد الجانبين رجحان أحد الجانبين، وهذا أصح الفرق"[(٢)].

ويقول في موضع آخر:

"وخبر الواحد المتلقى بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وهو قول أكثر أصحاب الأشعري كالأسفرائيني وابن فورك، وإن كان في نفسه لا يفيد إلا الظن، لكن مما اقترن به إجماع أهل العلم بالحديث على تلقيه بالتصديق، كان

---

(١) هو الإمام العلامة شيخ الحنابلة أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي المتكلم صاحب التصانيف، ولد سنة ٤٣١هـ ثم انحرف عن السنة بعد أن أخذ علم العقليات من شيوخ المعتزلة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٤٣).

(٢) درء التعارض لابن تيمية (٣/ ٣٨٣).

بمنزلة إجماع أهل العلم بالفقه على حكم مستندين في ذلك إلى ظاهر أو قياس أو خبر واحد فإن ذلك الحكم يصير قطعياً عند الجمهور وإن كان بدون الإجماع ليس بقطعي، لأن الإجماع معصوم، فأهل العلم بالأحكام الشرعية لا يجمعون على تحليل حرام ولا تحريم حلال، كذلك أهل العلم بالحديث لا يجمعون على التصديق بكذب ولا التكذيب بصدق، وتارة يكون علم أحدهم لقرائن تحتف بالأخبار توجب لهم العلم، ومن علم ما علموه حصل له من العلم ما حصل لهم"[1].

والصحيح ما عليه الأكثرون: أن العلم يحصل بكثرة المخبرين تارة، وقد يحصل بصفاتهم لدينهم وضبطهم وقد يحصل بقرائن تحتف بالخبر يحصل العلم بمجموع ذلك"[2].

"فالخبر الذي رواه الواحد من الصحابة والاثنان إذا تلقته الأمة بالقبول والتصديق أفاد العلم عند جماهير العلماء، ومن الناس من يسمي هذا المستفيض. والعلم هنا حصل بإجماع العلماء على صحته فإن الإجماع لا يكون على خطأ ولهذا كان أكثر متون الصحيحين مما يعلم صحته عند علماء الطوائف من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والأشعرية وإنما خالف في ذلك فريق من أهل الكلام"[3].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ٤٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/ ٤٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١٨/ ٧٠).

يقول الشيخ الألباني حفظه الله:

"وإن من أعجب ما يسمعه المسلم العاقل اليوم ما يردده الكثيرون بقولهم حديث الآحاد لا تثبت به عقيدة.

وموضع العجب أن قولهم هذا هو في نفسه عقيدة، وبناء على ذلك فإن عليهم أن يأتوا بالدليل القاطع المتواتر على هذه الشبهة التي أصبحت عندهم عقيدة، ولا دليل لهم إلا مجرد الدعوى، ومثل ذلك مردود في الأحكام فكيف في العقيدة.

وبعبارة أخرى: لقد فروا من القول بالظن الراجح في العقيدة فوقعوا فيما هو أسوأ منه وهو قولهم بالظن الموجوح فيها: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر:٢]"[1].

ولعلنا بهذا النقل نختم الحديث عن حجية خبر الواحد في العقائد بعد أن ظهر أن الحديث الصحيح لا يشترط فيه التواتر بل قد يصح الحديث ويعمل به ويفيد العلم وإن كان آحاد.

---

(١) الحديث حجة بنفسه الألباني ص(٤٨).

الخاتمة

وتشمل على:

- أهم النتائج.
- أهم التوصيات.

أهم النتائج

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه وبعد:

فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي أو جزها في النقاط التالية:

أولاً:

- أن لفظ الشيعة يطلق على الجماعة.

- أن الشيعة مصطلح تغير بتغير الزمن فكان يطلق على أنصار علي بن أبي طالب ﵁ في فترة من التاريخ، ويطلق في زماننا على من يكفر عثمان والزبير وطلحة ومعاوية ويتبرأ من الشيخين.

- أن الشفاعة عند الشيعة ثابتة ولكنهم أفرطوا فيها فلم يجعلوها خاصة بالنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والشهداء بل فتحوا الباب على مصراعيه لكل من يوافق هواهم.

ثانياً:

- إن مادة خرج في اللغة تعني الظهور لإبرام الأمور وأحكامها.

- إن لفظ خارجي يطلق على من يخرج بنفسه ويشرف بها من غير أن يكون له قديم.

- إن الخوارج: هم الذين خرجوا على إمام زمانهم ـ علي بن أبي طالب ـ لما حكم الحكمين.

- إن الخوارج تنكر نوعاً من أنواع الشفاعة وهو شفاعته ﷺ لأهل الكبائر بناءً على أصولهم الفاسدة.

ثالثاً:

- إن لفظة عزل تطلق ويراد بها تنحية الشيء وإمالته.

- والمعتزلة هم فرقة من القدرية وهم أصحاب العدل والتوحيد فيما يزعمون.

- إن الشفاعة عندهم ثابتة ولكن الخلاف فيمن تثبت له الشفاعة عندهم لأنهم يقولون بتخليد مرتكب الكبيرة في النار.

رابعاً:

- الأشاعرة هم أصحاب أبي الحسن الأشعري الذي كان معتزلياً ورجع عن ذلك.

- الماتريدية هم أتباع أبي منصور الماتريدي وهم يشبهون في غالب آرائهم الأشاعرة.

- الأشاعرة والماتريدية يقرون بالشفاعة على طريقة أهل السنة والجماعة إلا أنهم يتمسكون في الإثبات بالدليل العقلي.

خامساً:

- إن الفلسفة ترجع إلى أصل أعجمي هو فيلاسوفيا ومعناه محب

الحكمة.

- أنكرت الفلاسفة المعاد الجسماني بناء على امتناع المعدوم بعينه.

- إن الشفاعة جزء من أحداث اليوم الآخر الذي يقولون إنه عبارة عن تخيلات لتقريبها للعوام فجعلوا الشفاعة من هذا الجانب.

سادساً:

- يرجع أصل تسمية الصوفية إلى عدة أصول منها: الصفة ـ الصفاء ـ الصف الأول ـ الصفَّة ـ الصوف، ولعل الأخير هو الأقرب.

- التصوف هو مذهب الغرض منه تصفية القلب عن غير الله والصعود بالروح إلى عالم التقديس بإخلاص العبودية للخالق والتجرد عما سواه.

- إن الصوفية قسمان: أصحاب طريقة الإشراق وهذه ليس لها قول في الشفاعة وأصحاب طريقة البرهان وهؤلاء يثبتون الشفاعة على مذهب الأشاعرة.

سابعاً:

- إن الشفاعة ثابتة بالكتاب والسنة الصحيحة.

- إن الشفاعة تنقسم إلى قسمين شفاعة دنيوية وشفاعة أخروية.

القسم الأول: منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم.

والقسم الثاني: منه الشفاعة الثابتة المقبولة بإذن الله ومنه الشفاعة المنفية المردودة بحكم الله.

- للشفاعة شروط هي: الأذن من الله للشافع. والرضا عن المشفوع له.

- إن الشفاعة أنواع منها ما هو خاص بالنبي ﷺ وهي الشفاعة العامة ـ شفاعته في السبق إلى الجنة ـ شفاعته لأهل الكبائر ـ ومنها ما هي عامة لغير النبي ﷺ.

- والشفاعة لها أسباب ولها موانع.

فمن أسبابها الجالبة:

- توحيد الله والإخلاص له بالعبادة.

- قراءة القرآن.

- الدعاء بما ورد عند الأذان.

- سكنى المدينة المنورة.

- الصلاة على النبي ﷺ.

- صلاة جماعة من المسلمين على الميت المسلم.

- كثرة السجود.

وأما الموانع:

- الإتصاف بالبدع كالمرجئة والقدرية.

- الاتصاف بالكذب بالشفاعة.

- الاتصاف بكثرة اللعن.

ثامناً:

موقف أهل السنة من منكري الشفاعة يتجلى في الردود التالية:

- أن الشفاعة ثابتة بالقرآن والسنة الصحيحة.

- الإجماع من السلف على تلقي هذه الأخبار بالقبول دليل قاطع على صحة عقيدة أهل الحق وفساد مذهب المنكرين.

- أن أهل الحق قد جمعوا بين الآيات الواردة في نفي الشفاعة والآيات الدالة على إثبات الشفاعة.

- حجية خبر الواحد في العقائد والأحكام.

هذه هي أهم النتائج التي توصلت إليه عبر هذه الدراسة ويمكن أن يستخلص القارئ نتائج أخرى وأسأل الله العلي القدير أن ينفعنا بها علمنا ويعلمنا ما ينفعنا ويزيدنا علماً وعملاً، آمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أهم التوصيات

١- وجوب الاهتمام بالإيمان بالله واليوم الآخر والغيب كله لما له من أثر ولما يقوم عليه من دليل.

٢- وجوب عناية الخطباء والدعاة من معلمين وغيرهم بهذا الجانب وحرصهم على تذكير المسلمين بأمور العقيدة لأنها هي الأساس فإذا سلمت سلم ما يقوم عليها من بناء وإذا عدمت أنهار البناء أوكاد.

٣- إن فصول هذه الرسالة لا زالت مفتوحة قابلة للمزيد من الإضافات لأنني قد اهتممت بالخطوط العريضة وتركت لغيري ممن يوفقه الله أن يبني على ما درست وأن يضيف إليه ما يفتح الله به عليه فالعلم لا يعرف الكلمة الأخيرة ويتسع لغيري من الباحثين والباحثات.

٤- أوصي من يكتب في هذا الموضوع بعدي أن يعنى بالرد على منكري الشفاعة من المعاصرين لعل الله أن يهديهم فيرجعوا عن أفكارهم ويقتنعوا بالثابت من الدين بالدليل.

٥- كذلك أوصي بإلقاء الضوء على الشفاعة في الديانات الأخرى خاصة عند النصارى وذلك لتتم الفائدة ويكتمل الموضوع.

والله من وراء القصد

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

آل عمران

النساء

فهرس الأحاديث والآثار

الحديث	رقم الصفحة

ـ هـ ـ

ـ و ـ

ـ ي ـ

فهرس المصادر والمراجع

١. **الإبانة عن أصول الديانة**، للأشعري

* تحقيق: فوقية محمود

* تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط:١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م، دار البيان.

٢. **ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره**، لمحمد الحربي، ط:١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، عالم الكتب.

٣. **اتحاف السادة المتقين**، للزبيدي، ط:١، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، دار الكتب العلمية.

٤. **الإتقان**، للسيوطي، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

٥. **الأحكام**، للآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، ١٤٠٢هـ دمشق، بيروت.

٦. **الأحكام في أصول الدين**، لابن حزم، مكتبة عاطف.

٧. **إحياء علوم الدين**، للغزالي، دار القلم.

٨. **أخبار الآحاد في الحديث النبوي**، لعبد الله بن جبرين، ط:١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م، دار طيبة.

٩. **الأذكار**، للنووي، دار الفكر.

١٠. **آراء المعتزلة الأصولية**، لعلي بن سعد الضويحي، ط:١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، مكتبة الرشد.

١١. **الأربعين في أصول الدين**، للرازي، تحقيق: أحمد حجازي السقاط، ط:١، ١٤٠٦هـ، مكتبة الكليات الأزهرية، دار التضامن.

١٢. **الإرشاد**، للجويني، تحقيق: أسعد تميم، ط:١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، مؤسسة الكتب العربية.

١٣. **الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والألحاد**، لصالح الفوزان، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٠هـ.

١٤. **أساس البلاغة، للزمخشري، ط:٢، ١٩٧٢م، دار الكتب.**

١٥. **أساس التقديس**، لمحمد بن عمر الرازي، مطبعة كردستان العلمية، مصر.

١٦. **الاستغاثة**، لابن تيمية، تحقيق: عبد الحميد شانوحة، ط:١، دار المطبوعات الحديثة.

١٧. الاستغاثة: **المعروف بالرد على البكري**، لابن تيمية، ١٣٤٦هـ، المطبعة السلفية.

١٨. **الأسماء والصفات**، للبيهقي، دار الكتب العربية.

١٩. **الإشارات والتنبيهات**، لابن سينا، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة.

٢٠. **أشراط الساعة**، ليوسف بن عبد الله الوابل، دار ابن الجوزي.

٢١. **الأصول الإيمانية لدى الفرق الإسلامية**، لعبد الفتاح أحمد فؤاد، ١٩٩٠م، دار المعرفة الجامعية.

٢٢. **أصول الدين**، للبغدادي، ط:١، ١٣٤٦هـ ١٩٢٨م، مطبعة الدولة، استانبول.

٢٣. **أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية**، لعائشة يوسف المناعي.

٢٤. **أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة**، لمحمد بن عبد الرحمن الخميس، ط:١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، دار الصميعي.

٢٥. **أصول مذهب الإمام أحمد**، للدكتور عبد الله التركي.

٢٦. **أصول مذهب الشيعة**، للقفاري، ط:٢، ١٤٠٥هـ ١٩٩٤م، دار النشر، مكتبة العبيكان.

٢٧. **الأصول من الكافي**، للكليني، صححه وعلق عليه: علي أكبر القفاري، دار الأضواء.

٢٨. **أضواء البيان**، للشنقيطي، عالم الكتب.

٢٩. **أضواء على الشيعة**، للهادي حمو، دار التركي للنشر.

٣٠. **الاعتصام**، للشاطبي، مطبعة السعادة، مصر.

٣١. **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، للرازي، علق عليه: محمد البغدادي، دار الكتاب العربي.

٣٢. **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد**، لأبي بكر البيهقي، تحقيق: السيد الجميلي، ط:١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، دار الكتاب العربي.

٣٣. **الأعلام**، للزركلي، ١٩٨٤م، دار العلم للملايين، بيروت.

٣٤. **أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة.**

٣٥. **أعلام العرب في العلوم والفنون**، لعبد الصاحب عمران الوجيلي، ط:٢.

٣٦. **إغاثة اللهفان**، لابن القيم، تحقيق: محمد سيد كيلاني، النور الإسلامية.

٣٧. **أمالي الطوسي**، قدم له: محمد صادق، بحر العلوم، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.

٣٨. **الإمام محمد بن نصر المروزي جهوده في بيان عقيدة السلف**، لموسم بن منير بن مبارك النفيعي، ط:١، ١٤١٦هـ، دار الوطن.

٣٩. **الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد**، لأبي الحسين عبد الرحيم الخياط المعتزلي، تحقيق: تيبرج ١٩٨٧م، دار الندوة الإسلامية.

٤٠. **الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين (١٣-١٤) وآثارهما في حياة الأمة**، لعلي بن بخيت الزهراني، دار الرسالة.

٤١. **الإنصاف**، للباقلاني، تحقيق: عماد الدين حيدر، ط:١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م، عالم الكتب.

٤٢. **أهم الفرق الإسلامية**، لمحمد الطاهر النيفر، تحقيق: كمال الحوت، الشركة التونسية.

٤٣. **أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة**، لأحمد النجمي.

٤٤. **إيثار الحق على الخلق**، لأبي عبد الله محمد بن المرتضى اليماني، مكتبة العلم، جدة، مكتبة ابن تيمية.

٤٥. **إيقاظ الهمم في شرح الحكم**، لابن عجيبة، تقديم: محمد أحمد حب الله، دار المعارف.

٤٦. **الإيمان**، لابن تيمية، تحقيق: حسين يوسف الغزال، ط:٣، ١٩٨٦م، دار إحياء العلوم.

٤٧. **الباعث على إنكار البدع والحوادث**، لأبي شامة، تحقيق: عثمان عنبر، ط:١، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، دار الهداية، مطبعة السعادة.

٤٨. **البستان (معجم لغوي)**، لعبد الله البستاني اللبناني، المطبعة الأمريكانية.

٤٩. **بحار الأنوار**، لمحمد بن باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء.

٥٠. **بد المعارف**، لابن سبعين، تحقيق: د.جورج كتورة، دار الأندلس.

٥١. **البداية والنهاية**، لابن كثير

* ط:٢، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م، مكتبة المعارف.

* ط:٣، ١٩٨٠م، مكتبة المعارف.

٥٢. **البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان**، لعباس منصور السكسكي الحنبلي، تحقيق: خليل الحاج، ط:١، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، دار التراث العربي.

٥٣. **البعث والنشور**، للبيهقي، تحقيق: عامر حيدر، ط:١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية.

٥٤. **البينات في الرد على أباطيل المراجعات**، لمحمد الزعبي، ط:١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

٥٥. **تاج التراجم**، لأبي الفداء قاسم بن قطلوبغا السوداني.

٥٦. **تاج العروس**، للزبيدي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي.

٥٧. **تاريخ التصوف في الإسلام**، لقاسم غنى، ١٩٧٠م، مطبعة مصر.

٥٨. **تاريخ الفرق الإسلامية**، لعلي مصطفى الغرابي، ط:١، ١٩٤٨م، مطبعة السعادة.

٥٩. **تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام**، لمحمد أبو ريان، ١٩٧٤م، دار الجامعات المصرية.

٦٠. **تاريخ الفلسفة العربية**، لحنا الفاخوري وخليل الجراح، ط:٢، ١٩٨٢م، دار الجيل.

٦١. **تاريخ الفلسفة في الإسلام**، ث.ج.دي بور، تعريب: محمد أبو ريدة، ط:٤، ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٦٢. **تأسيس الشيعة**، لحسن الصدر، مؤسسة النعمان.

٦٣. **تأويلات أهل السنة**، للماتريدي، تحقيق: إبراهيم عوضين، والسيد عوضين، ١٩٧٦م، القاهرة.

٦٤. **التأويل الإسماعيلي الباطني**، لعبد العزيز سيف النصر، ط:١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٦٥. **تأويل مختلف الحديث**، لابن قتيبة، ط:١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية.

٦٦. **تبصرة الأدلة**، للنسفي.

٦٧. **تبيين كذب المفتري**، لابن عساكر، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، دار الكتاب العربي.

٦٨. **تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي**، دار الكتب العلمية.

٦٩. **تدريب الراوي**، للسيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ١٣٩٩هـ بيروت، دار الكتب العلمية.

٧٠. **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**، للقرطبي، دار الرياض للتراث.

٧١. **ترتيب المدارك**، لعياض بن موسى بن عياض، محمد الطيخي، ١٩٨٣م، وزارة الأوقاف، المغرب.

٧٢. **تصحيح المفاهيم في جوانب العقيدة**، لمحمد أماني الجامي، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، مكتبة ابن الجوزي.

٧٣. **التصوف طريقاً وتجربة ومذهبا**، لمحمد كمال إبراهيم جعفر، ١٩٨٠م، دار المعرفة.

٧٤. **التصوف المنشأوالمصادر**، لإحسان إلهي ظهير، ط:١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، إدارة ترجمان السنة.

٧٥. **التعرف لمذهب أهل التصوف**، لأبي بكر محمد الكلاباذي، ط:١، ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية.

٧٦. **التعرف لمذهب أهل التصوف**، تعليق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية.

٧٧. **التعرف لمذهب أهل التصوف**، تعليق: محمد النواوي، ط:٣، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، المكتبة الأزهرية.

٧٨. **التعريفات**، للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط:٢، ١٤١٣هـ

١٩٩٢م، دار الكتاب العربي.

٧٩. **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير، دار الشعب.

٨٠. **تفسير القرطبي**، ط:٣، ١٢٨٧هـ ١٩٦٧م، دار الكتاب العربي.

٨١. **التفسير الكبير**، للفخر الرازي، ط:١، دار الفكر.

٨٢. **تفسير المنار**، لمحمد رشيد رضا، ط:٤، دار المنار.

٨٣. **تفسير النسفي**، لعبد الله بن أحمد النسفي، دار الكتاب العربي.

٨٤. **التفسير والمفسرون**، للذهبي، ط:٢، ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م، دار الباز.

٨٥. **تلبيس إبليس**، لابن الجوزي، مطبعة المدني.

٨٦. **تلخيص الشافي الطوسي**، قدم له: حسين بحر العلوم، ط:٣، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م، دار الكتب الإسلامية.

٨٧. **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، للباقلاني، تحقيق: عماد الدين حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية.

٨٨. **التمهيد**، لابن عبد البر، تحقيق: محمد بوخبزة، ١٣٩٧هـ-١٤١٠هـ ١٩٦٧م-١٩٩٠م، الدار البيضاء.

٨٩. **التمهيد لقواعد التوحيد**، لابن المعين النسفي، تحقيق: حبيب الله حسن أحمد، ط:١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، دار الطباعة.

٩٠. **التنبيه والرد**، للملطي، علق عليه: الكوثري، ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م، دار الثقافة.

٩١. **تهافت الفلاسفة**، للغزالي، تحقيق: سليمان دنيا، ط:٦، دار المعارف.

٩٢. **التهذيب**، للذهبي.

٩٣. **تهذيب التهذيب**، لابن حجر.

٩٤. **تهذيب السنن**، لابن القيم، تحقيق: أحمد شاكر، محمد فقي.

٩٥. **تهذيب اللغة**، للأزهري، تحقيق: عبد الحليم النجار، الدار المصرية.

٩٦. **توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم**، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، المكتب الإسلامي.

٩٧. **تيسير العزيز الحميد**، لسليمان بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة.

٩٨. **تيسير مصطلح الحديث**، لمحمود الطحان، ط:٨، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، مكتبة المعارف.

٩٩. **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٠. **جامع الأصول**، لابن الأثير، ط:٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار الفكر.

١٠١. **جامع بيان العلم وفضله**، لابن عبد البر، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٢. **جامع البيان في تفسير القرآن**، لابن جرير، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، دار الحديث.

١٠٣. **الجامع الصغير**، للسيوطي، المكتب الإسلامي.

١٠٤. **جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، الملقب بـ ستور العلماء، لعبد النبي عبد الرسول الأحمد نكري، ط:٢، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م، مؤسسة منشورات الأعلمي.

١٠٥. **جذور الفتنة في الفرق الإسلامية منذ عهد الرسول ﷺ حتى اغتيال**

السادات، للواء حسن صادق، ط:١، ١٤١١هـ ١٩٩١م، مكتبة مدبولي.

١٠٦. **جمهرة اللغة**، لابن دريد، ط:١، ١٣٤٥هـ، دار صادر.

١٠٧. **جلاء العينين في محاكمة الأحمدين**، للألوسي البغدادي، مطبعة المدني.

١٠٨. **حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع**، جمع عبد الرحمن بن قاسم، ط:٢، ١٤٠٥هـ، مؤسسة فؤاد بعينو.

١٠٩. **حاشية السيالكوتي على شرح المواقف**.

١١٠. **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**، للإمام أبو القاسم الأصبهاني، تحقيق: محمد ربيع المدخلي، ط:١، ١٤١١هـ ١٩٩٠م، دار الراية.

١١١. **حجية الآحاد في العقيدة ورد شبهات المخالفين**، لمحمد الوهيبي، ط:١، ١٤١٥هـ، دار المسلم.

١١٢. **حديث الآحاد حجة بنفسه في العقائد والأحكام**، للألباني، المكتب الإسلامي.

١١٣. **الحسنة والسيئة**، لابن تيمية

* دار المعرفة.

* تحقيق: محمد الخشت، دار الكتاب العربي.

١١٤. **الحق الدامغ**، لأحمد بن أحمد الخليلي (مصور).

١١٥. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، للأصفهاني، ط:٣، دار الكتاب العربي، بيروت.

١١٦. **الحور العين**، لنشوان الحميري، حققه: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر.

١١٧. **الخطط المقريزية**، للمقريزي، مكتبة المثنى.

١١٨. **الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام**، لناصر العقل، ط:١، ١٤١٦هـ، دار الوطن.

١١٩. **الخوارج الحروريون**، لأحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية.

١٢٠. **الخوارج في العصر الأموي**، لنايف محمود معروف، دار الطليعة للطباعة والنشر.

١٢١. **الخوارج في المغرب الإسلامي**، لمحمود إسماعيل، ١٩٧٦م، دار العودة.

١٢٢. **الخوارج**، لمصطفى حلمي، ط:١، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م، دار الأنصار.

١٢٣. **دائرة المعارف الإسلامية**، انتشار جهات.

١٢٤. **دائرة المعارف القرن (الرابع عشر ـ العشرين)**، لمحمد فريد وجدي، ط:٣، ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م، مطبعة دائرة.

١٢٥. **درء التعارض العقل والنقل**، لابن تيمية، ١٤٠٣هـ جامعة الإمام، الرياض.

١٢٦. **دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة**، لأحمد جلي، ط:١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٢٧. **دراسات في الصوفية نشأتها وتطورها**.

١٢٨. **دراسات في عقائد الشيعة الإمامية**، للسيد محمد علي الحسيني، مؤسسة النعمان.

١٢٩. **دراسات في الفرق**، لصابر طعيمة، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، مكتبة المعارف، الرياض.

١٣٠. **دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية**، لعرفان عبد الحميد، ط:١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، مؤسسة الرسالة.

١٣١. **دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة**، لعبد الله الأمين، ط:١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، دار الحقيقة، بيروت.

١٣٢. **الدرة فيما يجب اعتقاده**، لابن حزم، تحقيق: أحمد بن ناصر الحمد، سعيد بن عبد الرحمن القزقي.

١٣٣. **دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه**، لابن الجوزي، تحقيق: حسن السقا، ط:٣، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، دار الإمام النووي.

١٣٤. **دقائق التفسير**، لابن تيمية، ط:١، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، مطبعة التقدم.

١٣٥. **الدين الخالص**، للسيد محمد صديق حسن، دار التراث.

١٣٦. **رجال الشيعة في الميزان**، لعبد الرحمن الزرعي، ط:١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، دار الأرقم، الكويت.

١٣٧. **رجال النجاشي**، طبع بومباي سنة ١٣١٧هـ.

١٣٨. **الرحيق المختوم**، لصفي الرحمن المباركفوري، ط:١، ١٤٠٦هـ، دار القلم، بيروت.

١٣٩. **الروح**، لابن القيم الجوزية، مكتبة المدني.

١٤٠. **الرد على الأخنائي**، لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي،

١٤٠٤هـ دار البحوث العلمية.

١٤١. **رسالة أضحوية في أمر المعاد**، لابن سينا، تحقيق: سليمان دنيا، ط:١، ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م، دار الفكر العربي.

١٤٢. **رسالة في أهل الثغر**، للأشعري، تحقيق: محمد السيد الجليند، مكتبة العلوم والحكم.

١٤٣. **رسالة العدل والتوحيد**، ليحيى بن الحسن، تحقيق: محمد عمارة، دار الهلال.

١٤٤. **رسالة في أصل الاعتقاد**، لعمر الأشقر، الدار السلفية.

١٤٥. **الرسالة القشيرية**، للقشيري، تحقيق: رزين وعلي بلطه جي، ط:٢، ١٤١٠هـ، دار الجيل.

١٤٦. **الرسالة**، للشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، ١٣٥٨هـ ١٩٨٩م.

١٤٧. **رفع الملام عن الأئمة الأعلام**، لابن تيمية، تحقيق: مرشد محمد، ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م، مكتبة القدس.

١٤٨. **الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية**، للحسن بن عبد المحسن المشهور بأبي عذبة، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب.

١٤٩. **زاد المسير في علم التفسير**، لأبي الفرج ابن الجوزي، ط:١، المكتب الإسلامي.

١٥٠. **سبل السلام**، للصنعاني، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٥١. **سلسلة الأحاديث الضعيفة**، للألباني، المكتب الإسلامي.

١٥٢. سنن أبي داود.

١٥٣. السنة، لابن أبي عاصم.

١٥٤. سنن الترمذي.

١٥٥. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، للسباعي، المكتب الإسلامي.

١٥٦. سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط:٧، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، مؤسسة الرسالة.

١٥٧. شبهات حول الشيعة، لعباس علي الموسوي، دار مكتبة الرسول.

١٥٨. شذرات الذهب، لابن العماد، ط:٢، ١٣٩٩هـ ١٩٦٩م، بيروت.

١٥٩. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي.

١٦٠. شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، تحقيق: عبد الكريم عثمان، ١٩٨٨هـ، مكتبة وهبة.

١٦١. شرح السنة، للبغوي، المكتب الإسلامي.

١٦٢. شرح صحيح مسلم، للنووي، راجعه الخليل الميس، ط:١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، دار القلم.

١٦٣. شرح العقائد النسفية، للتفتازاني، حققه: كلود سلامة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

١٦٤. شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، تحقيق: الألباني وجماعة من العلماء، ط:٢، المكتب الإسلامي.

١٦٥. شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق التركي.

١٦٦. **شرح العقيدة الواسطية**، لمحمد خليل هراس، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

١٦٧. **شرح العقيدة الواسطية**، لابن عثيمين، خرج أحاديثها سعد الصميل، ط:٢، ذو القعدة ١٤١٥هـ، دار ابن الجوزي، مكتبة شمس.

١٦٨. **شرح كتاب الفقه الأكبر**، لملا علي القارئ، دار الكتب العلمية.

١٦٩. **شرح كتاب الفقه الأكبر**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

١٧٠. **شرح المقاصد**، لمسعود بن عمر التفتازاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط:١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، عالم الكتب.

١٧١. **شرح المواقف**، للشريف الجرجاني، ط:١، ١٣٢٥هـ-١٩٠٧م، مطبعة السعادة، منشورات الشريف الرضى.

١٧٢. **الشريعة**، للآجري، أنصار السنة المحمدية.

١٧٣. **شرح نهج البلاغة**، لابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:٢، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م، عيسى البابي الحلبي.

١٧٤. **الشفاعة**، لعبد الرحمن بن يوسف بن حسين، ط:١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، مكتبة مدبولي.

١٧٥. **الشفاعة عند أهل السنة**، لناصر الجديع، دار أطلس للنشر والتوزيع.

١٧٦. **الشفاعة**، للوادعي، ط:١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، مكتبة ابن عباس.

١٧٧. **الشيعة في الميزان**، لمحمد جواد مغنية، دار التعارف، بيروت.

١٧٨. **الشيعة في الميزان**، لمحمد يوسف النجرامي، دار المدني.

١٧٩. **الشيعة وأهل البيت**، لإحسان إلهي ظهير، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، إدارة ترجمان السنة.

١٨٠. **الشيعة وتحريف القرآن**، لمحمد مال الله، ط:٣، رمضان ١٤٠٩هـ مكتبة ابن تيمية.

١٨١. **الشيعة والتشيع**، لإحسان إلهي ظهير، ط:١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، إدارة ترجمان السنة.

١٨٢. **الشيعة والتصحيح**، لموسى الموسوي، ١٩٨٨م.

١٨٣. **الصارم المنكي في الرد على السبكي**، لابن عبد الهادي، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، إدارة البحوث العلمية.

١٨٤. **الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية**، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط:٣، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، دار الملايين.

١٨٥. **صحيح البخاري**، دار الفكر.

١٨٦. **صحيح سنن أبي داود**، للألباني، مكتب التربية لدول الخليج العربي.

١٨٧. **صحيح سنن ابن ماجه**، للألباني، مكتب التربية لدول الخليج العربي.

١٨٨. **صحيح سنن الترمذي**، للألباني، مكتب التربية لدول الخليج العربي.

١٨٩. **صحيح مسلم**.

١٩٠. **الصراع بين الإسلام والوثنية**، لعبد الله القصيمي، ط:٢، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

١٩١. **الصفدية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم،

١٩٣٦م، مطابع حنيفة، الرياض/ مكتبة ابن تيمية.

١٩٢. **الصوفية عقيدة وأهداف**، لليلى بنت عبد الله، ط:١، ١٤١٠هـ، دار الوطن.

١٩٣. **الصوفية في نظر الإسلام**، لسميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني.

١٩٤. **صون المنطق**، للسيوطي، تحقيق: سامي النشار، دار الكتب العلمية.

١٩٥. **الصواعق المرسلة**، لابن قيم الجوزية، تحقيق: علي دخيل الله، ط:١، ١٤٠٨هـ، دار العاصمة.

١٩٦. **طبقات الأولياء**، لابن الملقن، تحقيق: نور الدين شريبة، دار المعرفة.

١٩٧. **طبقات الأولياء**، لابن الملقن،، دار التأليف.

١٩٨. **طبقات الصوفية**، للسلمي، دار الكتاب العربي، القاهرة.

١٩٩. **طبقات الصوفية**، للسلمي، تحقيق: نور الدين شريبة، ط:٢، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، دار الكتاب النفيس، مصر.

٢٠٠. **العدل الإلهي**، لمرتضى المطهر.

٢٠١. **العقل وفهم القرآن**، للحارث المحاسبي، حققه: حسين القوتلي، دار الكندي، دار الفكر.

٢٠٢. **عقيدة الإمام ابن عبد البر**، لسليمان الغصن، دار العاصمة.

٢٠٣. **عقيدة أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، وأبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم**، جمع أبي عبد الله محمود الحداد.

٢٠٤. **عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي**، لمحمد أحمد عبد القادر،

تقديم: أحمد محمود صبحي، دار المعرفة.

٢٠٥. **عقيدة السلف وأصحاب الحديث**، لأبي عثمان الصابوني، تحقيق: ناصر الجديع، ط:١، ١٤١٥هـ، دار العاصمة.

٢٠٦. **عقيدة الشيعة**، لدوايت م.رونلدس، تعريب: ع. م.، ط:١، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، م مؤسسة المفيد.

٢٠٧. **العقيدة في الله**، لعمر الأشقر، ط:٢، ١٩٧٩م، مكتبة الفلاح.

٢٠٨. **العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية**، للجويني، تحقيق: أحمد حجازي السقا، ط:١، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، مكتبة الكليات الأزهرية.

٢٠٩. **العقيدة النظامية**، للجويني، صححها الكوثري، ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م، مطبعة الأنوار.

٢١٠. **العقيدة والشريعة**، لجولد تسهير، نقله للعربية: محمد يوسف موسى، علي حسن عبد القادر، عبد العزيز عبد الحق، ط:٢، دار الكتب الحديثة.

٢١١. **عوارف المعارف**، ملحق مع إحياء علوم الدين، دار القلم.

٢١٢. **عوارف المعارف**، للسهروردي، تحقيق: عبد الحكيم محمود، محمود بن الشريف، مطبعة السعادة.

٢١٣. **عوارف المعارف**، للسهروردي، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م، مطبعة القاهرة.

٢١٤. **الغنية لطالب الطريق الحق**، لعبد القادر الجيلاني، مكتبة سليمان الصنيع، مطبعة الميرية.

٢١٥. **الفائق في غريب الحديث**، لمحمود عمر الزمخشري، تحقيق: البجاوي

محمد أبو الفضل، ط:٢، عيسى الباب الحلبي وشركاه.

٢١٦. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لابن حجر العسقلاني، دار الفكر/ دار المعرفة.

٢١٧. **فتح القدير**، للشوكاني، دار الفكر.

٢١٨. **الفرق الإسلامية**، لمحمود البشبشي، ط:١، ١٣٥٠هـ ١٩٣٢م، المطبعة الرحمانية.

٢١٩. **الفرق بين الفرق**، للبغدادي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ١٩٦٥م، دار المعرفة، بيروت.

٢٢٠. **فرق الشيعة**، للنوبختي، ط:٢، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، دار الأضواء.

٢٢١. **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، لابن حزم، تحقيق: محمد نصر، عبد الرحمن عميرة، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، دار الجيل.

٢٢٢. **الفصول المهمة في معرفة أصول الأئمة**، لعلي بن محمد بن أحمد المالكي.

٢٢٣. **الفوائد**، لابن القيم، ط:٦، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، دار النفائس.

٢٢٤. **فلسفة ابن الرشد**، لمحمد بن أحمد، ط:٣، ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م، المكتبة المحموديةالتجارية.

٢٢٥. **الفناء في المشاهدة**، لمحمد بن العربي، ط:١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية.

٢٢٦. **الفهرست**، لابن النديم.

٢٢٧. **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، لابن تيمية، علق عليه: السيد الجميلي، ط:١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، دار الكتاب العربي.

٢٢٨. **قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق**، لابن تيمية، تحقيق: سليمان الغصن، دار العاصمة.

٢٢٩. **قاموس اللغة وإصلاح الوجوه والنظائر في القرآن**، للحسين بن محمد الدامغاني، ط:٣، مايو ١٩٨٠م، دار العلم للملايين.

٢٣٠. **القاموس المحيط**، للفيروزآبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

٢٣١. **قراءة جديدة في موقف الخوارج وفكرهم وأدبهم**، لأحمد سليمان معروف، ط:١، ١٩٨٨م، دار طلاس.

٢٣٢. **القصد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين**، لحسين بن غنام، تحقيق: إبراهيم يوسف، ط:١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٢٣٣. **قضايا الفكر الإسلامي**، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، مكتبة دار العلوم.

٢٣٤. **قواعد التصوف**، لأحمد بن أحمد بن زروق، صححه: محمد زهري النجار، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م، مكتبة الكليات الأزهرية.

٢٣٥. **الكامل في الضعفاء**، للذهبي، دار بيروت للطباعة والنشر.

٢٣٦. **كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد**، لمحمد بن عبد الوهاب، ط:١، ١٤١١هـ محمد التميمي، دار السلام.

٢٣٧. **كتاب التوحيد**، للإمام أبي منصور الماتريدي، تحقيق: فتح الله خليف، دار الجامعات.

٢٣٨. **كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب**، لابن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، دار الرشد.

٢٣٩. **الكشاف**، للزمخشري، دار الفكر.

٢٤٠. **كشف المحجوب**، للهجوري، دراسة وتعليق: سعاد قنديل، راجع الترجمة: أمين بدوي ١٩٨٠م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

٢٤١. **الكشف عن حقيقة الصوفية**، لمحمود عبد الرؤوف القاسم، المكتبة الإسلامية.

٢٤٢. **الكفاية في علم الرواية**، للخطيب البغدادي، تحقيق: أحمد عمر هاشم، ١٤٠٥هـ.

٢٤٣. **الكواشف الجلية**، للسلمان، ط:١١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م، مطابع المجد.

٢٤٤. **لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول**، لأبي الحجاج المكلاتي، ط:١، ١٩٧٧هـ، دار الأنصار.

٢٤٥. **لسان العرب**، لابن منظور، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، قدم له: عبد الله العلايلي، دار لسان العرب، بيروت.

٢٤٦. **اللمع في التصوف**، لأبي نصر عبد الله الطوسي السراج، تحقيق: عبد الحليم محمود طه، عبد الباقي سرور، ١٣٨٠هـ، دار الكتب الحديثة، مصر.

٢٤٧. **اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع**، للأشعري، ط:١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م، دار لبنان للطباعة والنشر.

٢٤٨. **الله والعالم في الفكر الإسلامي**، لمحمد جلال شرف، ١٩٨٠م، دار النهضة العربية.

٢٤٩. **لمحة عن الفرق الضالة**، ط:١، ١٤١٦هـ.

٢٥٠. **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية**، لمحمد السفاريني، تنبيه: عبد الرحمن أبابطين، سليمان بن سحمان، ط:٢، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي.

٢٥١. **الماتريدية دراسة وتقويم**، لأحمد الحربي، ط:١، ١٤١٣هـ، دار العاصمة.

٢٥٢. **مباحث في العقيدة في سورة الزمر**، لناصر بن علي الشيخ، مكتبة الرشد.

٢٥٣. **متشابه القرآن**، للقاضي عبد الجبار، تحقيق: عدنان زرزور، دار التراث.

٢٥٤. **مجمع الزوائد**، للهيثمي، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، دار الكتاب العربي.

٢٥٥. **مجموعة الحواشي البهية على شرح العقائد النسفية**، للتفتازاني، ملا أحمد الجندي، الخيالي، عبد الحكيم السيالكوتي، ١٣٢٩هـ، مطبعة كردستان العلمية.

٢٥٦. **مجموعة الفتاوى**، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، دار إحياء الكتب العربية.

٢٥٧. **مجموعة فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، جمع فهد السلمان، ط:٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، دار الثريا.

٢٥٨. **محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين**، للرازي، ط:١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، دار الكتاب العربي، مكتبة الكليات الأزهرية.

٢٥٩. **مختصر التحفة الاثني عشرية**، لشاه عبد العزيز الدهلوي، تعريب: غلام محمد الأسلمي، اختصار محمود شكري الألوسي، تحقيق وتعليق: محب الدين الخطيب، ١٤٠٤هـ طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٢٦٠. **مختصر الصواعق المرسلة**، للموصلي، ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م، دار الندوة الجديدة.

٢٦١. **مختصر طبقات الحنابلة**، لمحمد البغدادي، دراسة فؤاد الزملي، ط:١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، دار الكتاب العربي.

٢٦٢. **مدارج السالكين**، لابن القيم، تحقيق: حامد فقي، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م، دار الكتاب العربي.

٢٦٣. **المذاهب الإسلامية**، لأبي زهرة، المطبعة النموذجية مكتبة الأدب.

٢٦٤. **مذاهب الإسلاميين**، للبدوي، ط:١، ١٩٧١م، دار العلم للملايين.

٢٦٥. **المرشد الأمين إلى موعظة المتقين**، للغزالي، ط:٣، ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م، مكتبة مصطفى الباب الحلبي.

٢٦٦. **مروج الذهب ومعادن الجواهر**، للمسعودي، ١٤٠٤هـ ، دار الأندلس، بيروت.

٢٦٧. **المسائل الخمسون في أصول الدين**، لفخر الدين الرازي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع.

٢٦٨. **مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة**، لناصر القفاري، ط:٤، ١٤١٦هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع.

٢٦٩. **المسامرة لكمال بن أبي شريف في شرح المسايرة**، لكمال بن الهمام، ط:٢، مطبعة السعادة.

٢٧٠. **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم النيسابوري، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٧١. **المسودة في أصول الفقه**، لآل تيمية مجد الدين أبو البركات شهاب الدين أبو المحاسن تقي الدين أبو العباس، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة.

٢٧٢. **مشارق العقول**، للسالمي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط:١، ١٩٨٩م، دار الجيل.

٢٧٣. **المصادر العامة للتلقي عند الصوفية**، لصادق سليم، ط:١، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، مكتبة الرشد.

٢٧٤. **المضنون به على غير أهله**، للغزالي، منشورات دار الحكمة.

٢٧٥. **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، لحافظ الحكمي، علق عليه: عمر أبو عمر، ط:١، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، دار ابن القيم.

٢٧٦. **المعتزلة وأصولهم الخمسة**، لعواد بن عبد الله المعتق، ط:١، ١٩٧٢م، دار العاصمة.

٢٧٧. **المعتزلة**، لزهدي حسن جار الله، ١٣٦٦هـ ١٩٤٧م، مطبعة مصر.

٢٧٨. **معجم أعلام الفكر الإنساني**، تقديم: إبراهيم مذكور، ١٩٨٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٧٩. **المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن**، ابن عباس، ابن قتيبة، مكي بن أبي طالب أبو حيان، إعداد: عبد العزيز السيروان، ط:١، ١٩٨٦م، دار العلم للملايين.

٢٨٠. **المعجم الصافي في اللغة العربية صالح العلي**، لأمينة أحمد، ط:١، ١٤٠٩هـ مكتبة الناصر.

٢٨١. **معجم المصطلحات الصوفية**، لأنور فؤاد، ط:١، ١٩٩٣م، مكتبة لبنان.

٢٨٢. **معجم الألفاظ والأعلام القرآنية**، لمحمد إسماعيل إبراهيم، ط:٢، دار الفكر العربي.

٢٨٣. **معجم ألفاظ القرآن الكريم**، مجمع اللغة العربية، ط:٢، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

٢٨٤. **المعجم الفلسفي**، لجميل صليبا، ط:١، ١٩٧٣م، دار الكتاب اللبناني.

٢٨٥. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن**، لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.

٢٨٦. **المعجم الوسيط**، لإبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالي، محمد خلف الله أحمد، دار إحياء التراث الإسلامي.

٢٨٧. **معجم المؤلفين**، لرضا كحالة، دار إحياء التراث.

٢٨٨. **مع رسل الله وكتبه واليوم الآخر**، لحسن أيوب، دار القلم.

٢٨٩. **المغني للإمامين شمس الدين والإمام موفق الدين**، لابن قدامة، ط:١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٢٩٠. **المفردات في غريب القرآن**، للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة.

٢٩١. **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، ط:٢، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م، مكتبة النهضة المصرية.

٢٩٢. **مقاييس اللغة**، لابن فارس، تحقيق: شهاب الدين أبو عمر، ط:١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، دار الفكر.

٢٩٣. **مقدمة ابن خلدون**، لابن خلدون، ١٤١٣هـ دار الكتب العلمية، دار المصحف بالقاهرة.

٢٩٤. **مقدمة ابن الصلاح**، لابن حجر، تحقيق: عائشة عبد الرحمن، ١٩٧٤م، دار الكتب.

٢٩٥. **الملل والنحل**، للشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط:٢، دار المعرفة.

٢٩٦. **منار الهدى لطالبي بيان الحق والهدى**، لمحمد أولي بن المنذر الأنصاري، ط:١، ١٤٠٥هـ مطابع المدينة.

٢٩٧. **المنتقى من شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، للالكائي، اختصره: أبو معاذ محمد بن إمام بن منصور آل موافي.

٢٩٨. **المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام الرفض والاعتزال**، اختصره الذهبي، حققه: محب الدين الخطيب، دار المطبعة السلفية.

٢٩٩. **المنجد في اللغة والأدب والعلوم**، للويس معلوم، ط:٥، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

٣٠٠. **المنجد في اللغة والأعلام**، ط:٢٣، دار المشرق، بيروت.

٣٠١. **من لا يحضره الفقيه**، لابن بالويه القمي، تحقيق: حسن الموسوي الخرساني ١٤٠١هـ ١٩٨١م، دار صعب، دار التعارف.

٣٠٢. **منهاج السنة النبوية**، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط:١، ١٩٨٦م، إدارة الثقافة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣٠٣. **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية**، لابن تيمية، ١٣٢٢هـ، مطبعة الأميرية بولاق.

٣٠٤. **منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة**، لعثمان بن حسن، ط:١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، مكتبة الرشد.

٣٠٥. **منهج علماء الحديث في أصول الدين**، لمصطفى حلمي، دار الدعوة.

٣٠٦. **المنهج في تاريخ الفلسفة العربية**، لحسن عاصي، ط:١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م، دار المواسم.

٣٠٧. **المنية والأمل**، للقاضي عبد الجبار، جمعه: أحمد المرتضى، دار المعرفة.

٣٠٨. **الموسوعة العربية العالمية**.

٣٠٩. **الموسوعة العربية الميسرة ندوة الشباب العالمي**.

٣١٠. **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، د.محمود قاسم، ١٩٨٤م.

٣١١. **موسوعة الملل والنحل**، لأبي فتح الشهرستاني، ط:١، ١٩٨١م، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت.

٣١٢. **موطأ الإمام مالك**.

٣١٣. **موقف ابن تيمية من الأشاعرة**، لعبد الرحمن المحمود، ط:٢، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، مكتبة الرشد.

٣١٤. **موقف الإمام ابن تيمية من التصوف**، لصادق سليم، ط:١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، مكتبة الرشد.

٣١٥. **ميزان الاعتدال**، للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية.

٣١٦. **نثر اللآلئ**، لعلي نظم الأمالي عبد الحميد الألوسي، ١٣٣٠هـ، مطبعة الشابندر.

٣١٧. **نخبة الفكر**، لابن حجر.

٣١٨. **نظرية الإمامة**، لأحمد محمود صبحي، دار النهضة العربية.

٣١٩. **النكت على ابن الصلاح**، لابن حجر، تحقيق: ربيع بن هادي، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، الجامعة الإسلامية.

٣٢٠. **نهاية الإقدام**، للشهرستاني، تحقيق: الفرد جيوم، مكتبة المتنبي، القاهرة.

٣٢١. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير، تحقيق: محمود الطناحي، طاهر الزواوي، مكتبة أنصار السنة المحمدية.

٣٢٢. **النهاية في الفتن والملاحم**، لابن كثير، تحقيق: أحمد عبد الشافي، ١٤١١هـ ١٩٩١م، دار الكتب العلمية.

٣٢٣. **نهج البلاغة**، للإمام علي شرح محمد عبده، دار المعرفة.

٣٢٤. **هذه مبادئنا رد على كتاب (الإباضة عقيدة ومذهبا)**، د.صابر طعيمة، إعداد: أحمد مصلح، محمود الأندلس، عاشور، كسكاس مهنى التبواجي (مصور).

٣٢٥. **الوشيعة في نقض كلام الشيعة**، لموسى الجار الله، مطبعة الكيلاني.

٣٢٦. **وفيات الأعيان**، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس (١٩٦٩م - ١٩٧٠م)، دار الثقافة.

٣٢٧. **وفيات الأعيان**، لابن خلكان، دار الصادر.

٣٢٨. **ولاية الله والطريق إليها دراسة وتحقيق، قطر الولي على حديث الولي**،

للإمام الشوكاني، بقلم: إبراهيم إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني.

٣٢٩. **الوافي بالوفيات**، للصفدي، ١٤١٣هـ-١٩٩٧م، دار النشر، تراتزشتايز.

المخطوطات

٣٣٠. **أبكار الأفكار**، للآمدي، مصور من مكتبة تركيا رقم ٣٥/ ب من جامعة الملك سعود (ميكروفيلم).

٣٣١. **تكفير الشيعة الشنيعة**، لمطهر بن عبد الرحمن بن علي بن إسماعيل، نسخة مصورة بالفتوستات من الأصل المخطوط في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة (ميكروفيلم).

٣٣٢. **رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾** برقم ٠٨٢/ م ميكروفلم من جامعة الملك سعود.

الرسائل غير المطبوعة

٣٣٣. **الاستغاثة المعروف بـ"الرد على البكري"**، لابن تيمية عبد الله السهلي، رسالة ماجستير من جامعة الملك سعود ١٤١٦هـ.

٣٣٤. **الشفاعة دراسة واستدلال**، لموسى محمد عطية الحواجري، رسالة ماجستير من كلية أصول الدين بالقاهرة.

مجلات

٣٣٥. **مجلة المنار ح٨ مجلد ٢٤، عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب.**

فهرس الموضوعات